# اليهود
# في الأدب الفلسطيني
# بين ١٩١٣-١٩٨٧

د. عادل الأسطة

عادل الأسطة

# (اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣-١٩٨٧)

صدر عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين
في الضفة الغربية وقطاع غزة
ط١ آب ١٩٩٢

## الإهداء

## إلى روز وفائزة

نابلس ١٠/٤/١٩٩٢

تشكل هذه الدراسة اطروحة الدكتوراة التي تقدمت بها لجامعة بامبرغ في المانية الغربية عام ١٩٩١ ٠ وأتقدم بالشكر للأستاذة الدكتورة روتراود فيلادندت / جامعة بامبرغ ٠ والأستاذ الدكتور استيفان فيلد / جامعة بون ، اللذين اشرفا على هذه الدراسة بين العامين ١٩٨٨-١٩٩١ ٠ كما أتقدم بالشكر لكل من جامعة النجاح الوطنية ومؤسسة الـ DAAD الألمانية اللتين مكنتاني من التفرغ للبحث وتمويل فترة إقامتي في جمهورية ألمانية بين ١٩٨٧/٩/٢٨ - ١٩٩١/٧/١٠ ٠ ولكل من د٠ أفنان القاسم ، و د٠ عز الدين المناصرة ، وجبرا ابراهيم جبرا ، ود٠ خليل الشيخ ، ود٠ عبد الجليل عبد المهدي وآخرين كل احترام لتعاونهم معي في توفير ما احتجت اليه من نصوص ادبية ، ما كان للبحث ان يكتمل بدون الحصول عليها ٠

## المقدمة

لم تشكل الكتابة عن اليهود في الأدب العربي حتى منتصف القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ -خلافاً لما هو الحال في الآداب الأوروبية(١)- ظاهرة أدبيةً لافتة للنظر ٠ وإذا ما غضضنا الطرف عن القرآن باعتباره ليس شكلاً أدبياً ، فانّ النصوص الأدبية العربية شعراً ونثراً لم تجعل من اليهود موضوعاً يكثر الخوض فيه ٠

ونحن لا نعثر في الأدب على امتداد عصوره منذ الجاهلية ، إلاّ على نصوص قليلة جداً ، ذكرت اليهود(٢) ، نصوص ربما لا يلمّ بها أصلاً سوى واحد من اثنين : دارس متخصص في الأدب العربي، أنفق من سني عمره الكثير وهو يبحث وينقّب في مظّان الكتب ، ليؤرخ لمراحله المختلفة ، مثل الدكتور شوقي ضيف ، ودارس آخر(٣) يبحث في شأن اليهود تحت حكم الأكثرية العربية المسلمة عبر التاريخ الإسلامي ، مستقصياً ابعاد هذه العلاقة ، ليس في كتب التاريخ وحدها ، -وإن كان قسم من هذه الكتب يحتوي على قصائد قيلت في حدث تاريخي ما- بل وفي انعكاسها في النصوص الأدبية التي تعبّر عن مشاعر الناس ، مختلفة بذلك عن الرواية التاريخية التي تهتم بالحقائق في الدرجة الاولى ٠

وقبل بروز السؤال الفلسطيني الذي أبرز هذه الفكرة بشكل لافت، فانّ ما كتب منذ عام ١٨٣٢ وحتى عام ١٩١٤ ظل ضعيفا ، كما يرى الدكتور علوان الذي خلص إلى ما يلي :

*{In conclusion , it must be admitted that 19th century Arabic Literature presents afactured view of the jews . Nevertheless , the relation between Arabs and jews in this period appears to be less complicated that it is today and certainly less bloody}(4)*

ومع أنّ دراسة علوان تغفل اول قصيدة قالها فلسطيني عام ١٩١٣ في التحذير من الخطر الصهيوني ، فانها تشير ، وان بكلمات غير محددة ، الى ان المشكلة الفلسطينية كانت السبب الرئيسي في ازدياد الكتابة ، كماً ونوعاً ، عن اليهود ، ولذلك فليس غريباً ان يكتب دارس اسرائيلي هو شموئيل موريه ما يلي :

«في حالات الصراع بين شعبين يحاول كل طرف تشويه شخصية الطرف الآخر والتدقيق في سلبياته بوساطة عدسة مكبرة • ويؤدي التوتر الناجم عن الصراع إلى تصعيد الاتجاه لدى كل طرف من الطرفين نحو إبراز المتناقضات الاجتماعية والثقافية والدينية وتشويهها إلى حدّ التأكيد على التمايزات في المظهر الخارجي مثل اللباس وبنية الجسم وتقاطيع الوجه ولون الشعر والجلد وما إلى ذلك(٥) •

ويرى موريه انّ هذا يميز ، بشكل خاص ، الصراع الاسرائيلي العربي • وفي عرضه لصورة اليهودي في الأدب العربي يرى أنه «جرى تشويه شخصية الانسان اليهودي في الأدب العربي بتأثير عوامل داخلية وخارجية ، بدءاً من القرآن والحكايات الشعبية ، وحتى اللاسامية الأوروبية عموما ، والنازية خصوصاً»(٦) •

ولكن موريه ، واعتماداً على دراسة بعض الكتّاب الاسرائيليين لصورة العربي في الأدب العبري ، ينفي ان يكون الأديب العبري قد انزلق في هذا المنزلق حين صوّر العربي • وان كانت دراسات كتاب عرب حول هذا الموضوع ، توضح ان صورة العربي في الأدب العبري(٧) ، وفي الأدب الصهيوني النزعة المكتوب بالانجليزية(٨) ، هي عكس ما يذهب إليه موريه تماماً •

تهدف هذه الدراسة ، على اية حال ، إلى تتبع صورة اليهود في الأدب الفلسطيني ، وبالتالي فانّها لن تجيب عن سؤال تحتاج الاجابة عنه إلى دراسة الأدب العبري بالتفصيل ، سؤال يدور حول أيهما شوه صورة الآخر أكثر : الكاتب العربي أم الكاتب العبري •

وتركز هذه الدراسة على النصوص الأدبية التي بدت فيها الكتابة عن اليهود لافتة للنظر ، مستثنية بذلك أعمالا يوصف فيها اليهود وصفا عابراً لا يضيف أية اضافة تشكل معلماً بارزاً مميزاً يختلف عن التصور الذي تقدمه الأعمال المدروسة(٩) ٠

ولا تقتصر هذه الدراسة على جنس أدبي معين ، فهي تشمل الشعر والقصة والمسرحية ٠ وعلى الرغم من أن الشعر يوجز غالبا - وبخاصة الشعر العربي الكلاسيكي الذي بحكم طبيعته الغنائية وبنائه الفني الذي يعتمد اساساً على القافية ، مما يعيق الشاعر من الاستطراد - فانّ أخذه بعين الاعتبار هنا امرٌ لا غنى عنه ٠ فهو الجنس الأدبي الأول الذي يرد فيه تصوّر لليهود ٠ ولم تعرف القصة والمسرحية في فلسطين إلا مع بدايات العقد الثالث من هذا القرن ، وأول رواية نعرفها يعود تاريخ إصدارها إلى عام ١٩٢٠(١٠) ٠

لقد كان للشعر ، إذن دور الريادة ، ولكنه ، ومع نموّ فن القص لم يعد يشكل الجنس الأدبي المميز في الكتابة عن اليهود ، فقد احتلت القصة مكانة بارزة في هذا المضمار ٠ وبعض الشعراء البارزين مثل سميح القاسم ، أخذوا في فترة متأخرة من حياتهم الأدبية يكتبون النثر الذي نلحظ فيه تصوراً اوضح لليهود بحكم طبيعة النثر ٠ ومن هنا فقد ركزنا في الفصل الثالث من القسم الأول على النثر ، بخلاف الفصلين : الأول والثاني ، اللذين ورد فيها دراسة نماذج شعرية ، جنبا إلى جنب مع النثر ٠

زمانيا : فان هذه الدراسة تبدأ منذ عام ١٩١٣ ، تاريخ اول نص أدبي قاله شاعر فلسطيني في الحديث عن الخطر الصهيوني ، وأتى فيه على وصف اليهود٠ وتنتهي مع نهاية عام ١٩٨٧ ٠ والتوقف عند هذا العام يرجع إلى أمرين : الأول تاريخ بداية الدراسة ، والثاني أنّ ثمة أحداثا مميزة شهدتها الضفة الغربية وقطاع غزة -بداية انتفاضة الشعب الفلسطيني في هذه المناطق- ونعتقد أنّ أدبا يكتب في هذه المرحلة يعطي تصوراً قد لا يتشابه مع التصور الذي نعثر عليه في النصوص المدروسة ، على الرغم أيضاً من أنّ الأدب كله كتب في أجواء خيمت عليها ظلال الحروب٠ وليس أدلّ على ذلك من قصيدة محمود

درويش التي نشرها في بداية عام ١٩٨٨ ، والقصيدة التي أثارت ردود فعل عنيفة من الجانب الاسرائيلي • فالتطرف الاسرائيلي الذي يرفض الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة يخلق تطرفا مضاداً •

مكانيا : ويبدو ان تحديد بقعة جغرافية لهذه الدراسة امر صعب . ففلسطين حتى عام ١٩١٧ كانت جزءاً من بلاد الشام التي كانت تتكون من أربعة أقاليم إدارية توزعت عليها فلسطين الممتدة بين نهر الأردن شرقا والبحر المتوسط غربا ، وبين رأس الناقورة شمالاً ورفح جنوبا • ومع تأسيس دولة اسرائيل ١٩٤٨ -لم يبق من فلسطين سوى اسمها في ذاكرة سكانها ، وباستثناء قطاع غزة الذي ضم إداريا إلى مصر- فقدت فلسطين كبقعة جغرافية حضورها على الخارطة • هنا تصبح فلسطين حاضرة فقط في الذاكرة الفلسطينية أينما حلّ أصحابها : في اسرائيل وغزة والأردن وسوريا ولبنان وأماكن أخرى من هذا العالم الواسع •

وضمن تحديد جغرافية المكان ، نحدد ايضا جغرافية اللغة • إن الدراسة تقتصر على النصوص الادبية المكتوبة باللغة العربية لكتاب عرب فلسطينيين مسيحيين ومسلمين • وهي بذلك تستثني النصوص المكتوبة بلغات اخرى كالفرنسية والعبرية والانجليزية ، كما تستثني كتابات كتاب يهود كتبوا بالعربية ، وعاشوا ، فيما بعد ، في اسرائيل •

واما السبب في استثناء الكتابات المكتوبة بلغات اخرى غير العربية فيعود الى امور منها : ان اصحابها قصدوا في المقام الاول التوجه إلى قارىء غير عربي • لقد اراد ابراهيم الصوص ممثل م•ت•ف في باريس ، من خلال روايته ، مخاطبة القارىء الفرنسي اساسا(١٢) ، واراد انطون شماس(١٣) الذي يعيش في اسرائيل مخاطبة القارىء اليهودي بلغته • إنّ هذين الكاتبين لم يكن في ذهنهما ، حين كتبا ما كتبا ، ما كان في ذهن كاتب عربي توجه لقارىء عربي في خطابه • وفي حالة الصراع العربي الاسرائيلي ، فان الكاتب العربي ، حين يتوجه بالخطاب لقارىء عربي ، لا يتوجه إليه باعتباره قارئا علاقته بما يجري كعلاقة الفرنسي • هنا تختلف لهجة الكتابة ، وقد تنعكس

ايضا بالمقدار نفسه على تصور الآخر ٠

ان دراسة النصوص المكتوبة بلغة غير العربية ومقارنتها بالنصوص المكتوبة بالعربية يقتضي الخوض في قضايا ادبية اخرى مثل : العلاقة بين الكاتب والجمهور الذي يكتب له ، والكتابة باللغة الأم واللغة المتعلمة ٠ وبالتالي فان هذا يجعل من الدراسة دراسة فضفاضة متشعبة٠

وأمّا استثناء كتابات الكتاب اليهود الذين يكتبون بالعربية(١٤) ، فعلاوة على انهم قدموا الى فلسطين من اقطار عربية اخرى ، فانّ الكتابة عن اليهود هي في المقام الاول هنا ، هي تصور الذات لذاتها ٠ وقد يقال ان بعض اليهود العرب ينتمون الى عروبتهم اكثر من انتمائهم ليهوديتهم، فأين إذن ، تصنف كتابة هؤلاء؟ حتى لو اخذنا بذلك فما لا شك فيه ان فارقاً سيظل بين كاتب عربي يهودي وآخر عربي مسيحي او مسلم يكمن في تصور اي منهم لليهود ، ولا ينتفي هذا الفارق إلاّ إذا تحرر الكتاب نهائيا من الدين الذي ينتمون إليه ، وعاشوا ، فوق هذا ، في بيئة لا يلعب الدين فيها ادنى دور في الحياة العامة ٠ ولهذا فقد ادرجت هذه الدراسة تحت عنوان «اليهود في الأدب الفلسطيني» ، وليس الاسرائيلي ٠ ولا يعود السبب في ذلك الى تقسيم العالم الى يهود ولا يهود -يهود وعرب هنا- أو إلى تحديد موقف سياسي كالاعتراف باسرائيل وعدمه ٠ إنه -اي السبب- يرجع أولا إلى ان اسرائيل لم تكن قائمة حتى عام ١٩٤٨ ، وبالتالي لم يكن هناك حديث عن اسرائيلي قبل هذه الفترة ، وإنّما كانت هناك كتابة عن يهود ٠ وبما أنّ هذه الدراسة تعاين نصوصاً قبل عام ١٩٤٨ ، فالأصح ان نستخدم هنا المفردة المستخدمة التي تعكس ايضا تصوراً معينا قائما ٠ وثانيا فانّ لفظة الاسرائيلي لم تشمل بعد تاسيس دولة اسرائيل المواطنين اليهود فقط ، وإنما السكان العرب الذين ظلوا مقيمين في مدنهم وقراهم التي اصبحت جزءاً من دولة اسرائيل ٠ وهؤلاء السكان يحملون الجنسية الاسرائيلية٠ وإن كان يفهم ضمنا لدى العرب انّ الاسرائيلي هو اليهودي- واستخدامنا لفظة الاسرائيليين يُدْخلنا في متاهات نحن في غنىً عنها

لأننا هنا نريد ان ندرس تصوّر طرف لطرف آخر ، واليهود الاسرائيليون ، وقبل ١٩٤٨ اليهود ، هم هنا الطرف الآخر ٠

وتتبع الدراسة ، ايضا ، استخدام الكتّاب للمفردات : اليهودي - الصهيوني - الاسرائيلي - وتطوّر ذلك ٠ ونحن في تحليلنا لنص ادبي نستخدم المفردة التي يستخدمها الكاتب معبرا بذلك عن موقفه ٠ إنّ من يستخدم مفردة اليهودي يعني انه يكتب اساساً عن اليهود ، ومن يستخدم مفردة الصهيوني يعبّر عن موقف معين يتمثل في أنّه ليس ضد اليهود ، وإنما هو ضد الصهيونية ٠ وقليلون هم الذي استخدموا مفردة اسرائيلي ، إنّهم يقصدون بذلك : اليهودي المقيم في اسرائيل ٠

وضمن تحديد المفردة المستخدمة نذكر ايضاً اننا نستخدم احيانا مصطلح «اليهود الغربيين» أو «اليهود الاوروبيين» ، ومع ان الاصطلاح الأول اشمل ، إذ ان من استخدمه يقصد من ورائه اليهود القادمين من اوروبا وامريكا ، إلاّ ان ذلك لم يمنع من استخدام الثاني، فبعض الكتّاب حين يستخدمون ، يقصدون فقط اليهود القادمين من اوروبا ٠

واقتصار الدراسة على الادب الفلسطيني ، دون الادب العربي ، يعود إلى اسباب ، منها أنّ ثمّة دراسات تتبعت صورة اليهودي في الأدب العربي عموماً(١٥) ٠ صحيح انّها دراسات موجزة ، إلاّ انها تعطي تصوراً معقولا ٠ ومن الاسباب ايضا ، انّ الكتاب الفلسطينيين كانوا اكثر من خاض في هذا الموضوع(١٦) ٠ وهم لإقامتهم في بلدان عربية متفرقة تأثروا ، بلا شك ، بلهجة الخطاب العربي السائد في هذا القطر او ذاك ٠ وبالتالي فان كتاباتهم تتشابه مع كتابة الكتاب العرب الذين نشأوا في هذا القطر او ذاك ، وإن كانت التجربة مختلفة ٠

وركزنا ، في تحليل النصوص ، على المضمون دون الالتفات إلى الناحية الفنية ، فالدراسة تتبع تصور طرف ، من خلال ادبه ، لطرف آخر ٠

ولأنّ كثيراً من النصوص مجهولة للقارىء العربي والأوروبي ، إلاّ

اقلها(١٧) ، ولأن الدراسات التي كتبت عنها باللغات الاوروبية قليلة وعابرة ، ولم تركز ايضا سوى على علمين او ثلاثة(١٨) ، فقد اكثرنا من الاستشهاد بفقرات منها ، وبخاصة ما فيها من تصوّر للآخر ٠

ولم تركز الدراسة على الاعلام البارزة في الادب الفلسطيني(١٩) ، وانما تناولت ايضا كل نص ورد فيه تصور لليهود، حتى لو كان مؤلفه مغموراً(٢٠)٠

إنّ هذه الدراسة لا تهدف ايضا إلى اجراء مقابلة بين صورة اليهود كما وردت في النصوص الادبية ، وكما هي في الواقع ٠ فالدارس -وهو فلسطيني- يعرض للصورة كما رسمها الكتّاب الفلسطينيون في مؤلفاتهم ، ويستعين احيانا ببعض كتب التاريخ والسياسة والاجتماع ، لا لتأييد موقف ما ، ولكن لاضاءة نقطة قد تساعد في فهم العمل الادبي والسبب مِنْ وراء تأليفه ٠ ولذلك فان السؤال الأساس الذي يثيره الدارس هنا هو : كيف سيكون تصور الكتاب الفلسطينيين لليهود لو لم يُقم اليهود وطنا قوميا لهم في فلسطين؟

من هنا لم نتوانَ ، احيانا ، في الاستشهاد بمقدمة الكاتب لعمله الادبي ، إذ انه يقول لنا رأيه مباشرة ، ودون ان يلجأ إلى التواري خلف شخصية من شخصيات نصه ٠ إنه يحدّد موقفه مباشرة ، واراء الكتّاب هذه تعبّر في نهاية المطاف عن تصوّر الشريحة المثقفة من الشعب الفلسطيني لليهود ، وهو ما لا يظهر بالضرورة في النصوص الادبية التي قد يصوّر مؤلفوها نماذج فلسطينية تنتمي الى شرائح اخرى ٠

وتتكون الدارسة من قسمين وخاتمة ٠ امّا القسم الاول فيشكل عماد الدراسة ، وهو يتتبع الكتابة عن اليهود منذ ١٩١٣ حتى ١٩٨٧ ، ويقع في ثلاثة فصول ٠ الأول يقف عند عام ١٩٤٨ ، عام تأسيس دولة اسرائيل ، وفيه حاولنا ان نتلمس موقف الكتّاب في تصويرهم لليهود من حيث تعميمهم القول وعدمه ، ثمّ ايضا تصورهم لهم ٠

وأما الفصل الثاني الذي ينتهي مع حرب حزيران ٦٧ ، فقد درسنا فيه ،

على حدة ، كلا من تصور ادباء المنفى وتصوّر الكتاب المقيمين في اسرائيل ، لا لسبب سياسي ، ولكن لأنّ لهجة الكتابة تختلف اختلافا كليا ، ففي الوقت الذي عبّر اديب المنفى عن رأيه بحرية تامة ، كان الاديب المقيم في اسرائيل يلجأ إلى عدم المباشرة ، لإقامته تحت حكم اسرائيلي لا يسمح بنشر اعمال ، اقل ما يمكن ان يقال فيها أنّها ذات طابع تحريضي ضده ٠

اما الفصل الثالث فيبدأ زمنيا مع حرب ١٩٦٧ التي اعقبها بروز الحس الوطني الفلسطيني واستعداد الفلسطينيين للتعايش مع اليهود في دولة علمانية يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون ٠ وانعكس ذلك بشكل واضح على لغة النص الادبي ، سواء في ذلك المكتوب تحت الحكم الاسرائيلي او في المنفى، ولذلك آثرنا عدم الاستمرار في دراسة كل ادب على حدة ، وان اشرنا ، احيانا ، الى مكان اقامة الاديب ٠

واما القسم الثاني فيشمل المراحل الثلاث ٠ انه يتتبع الصفات التي الصقت باليهود ليرى ما ثبت منها ، وما انتفى ، وما جدّ ايضا ٠ ويشمل هذا القسم ايضا تخيل المتخيل ٠ نعني تصوّر الكتاب لتصوّر اليهود للعرب ٠

وبذلك فانّ هذه الدراسة تبين لنا ، بالدرجة الاولى ، تصوّر الفلسطينيين لليهود ، وتبين لنا ايضا -بايجاز- تصوّر الفلسطينيين لأنفسهم(٢١) ٠ وتصورهم لتصور اليهود لهم ٠ ولم تفرد فصلا لتصورهم لتصور اليهود لأنفسهم، فقد كنّا نشير الى ذلك في اثناء تحليل النصوص ٠

وامّا الخاتمة فتثير سؤالاً اثاره الدارس في بداية الدراسة ٠ وهو : لم لو يكن هناك صراع بين الطرفين ، سببه تأسيس الوطن القومي لليهود ، اكان من الممكن ان تكون الكتابة عن اليهود لافتة للنظر كماً ونوعاً ؟ وهنا يثير الدارس ايضا تساؤلاً آخر هو : كيف سيكون تصوّر الفلسطينيين لليهود في الفترة القادمة ؟

## هوامش المقدمة

١- انظر *Daemmrich* ص١٩١-١٩٦ ٠

٢- على سبيل المثال ، قصيدة ابي اسحق الالبيري الأندلسي ٠ انظر ديوان ابي اسحق ، بيروت ١٩٧٦ ٠ ص٩٦-١٠٠ حول هذه القصيدة انظر : *Lewis : Eslam . 158 - 165 .*

٣- انظر *Lewis : Juden* ٠

٤- *Alwan , 53*

٥- موريه ، دموتو ، ٢٥ ٠

٦- نفسه ، ٢٥ ٠

٧- على سبيل المثال : مزعل ٠

٨- على سبيل المثال : كنفاني : الصهيوني ٠

٩- يوصف اليهود في هذه الروايات بأنهم سفاحون ومجرمون ، ولا نعثر على غير هاتين المفردتين ٠ من ذلك روايتا جبرا ابراهيم جبرا «السفينة» و«صيادون في شارع ضيق» ٠

١٠- خليل بيدس : الوارث ٠

١١- حول هذه انظر متن ملاحظتي ١٠،١١ من الفصل الثالث ٠

١٢- نشر ابراهيم الصوص ، بالفرنسية ، رواية عنوانها «بعيداً عن القدس» ، باريس ١٩٨٨ ، ونصاً نثريا على شكل رسالة تحت عنوان: رسالة الى صديق يهودي ٠ باريس ١٩٨٨ ايضاً ٠

١٣- شماس ، انطون : (عربسكوت) تل ابيب ١٩٨٦ ٠ وترجمت الرواية الى الانجليزية والفرنسية والالمانية ٠

١٤- في كتابته عن الادب العربي في اسرائيل يتحدث شموئيل موريه عن كتابات الكتاب اليهود العرب ، معتمداً في ذلك على عنصر اللغة في تحديد قومية الادب ٠ انظر

*Moreh : Studies , 161 - 172 .*

١٥- انظر - *Alwam , Altoma , Le Gassick , Cachia , Rowland :*

*251 - 290 , Abraham , and Stehli 113-144 .*

١٦- انظر : الخطيب ، ٨٣ ٠ وموريه : دموتو ، ٣٠ ٠ وحول فكرة فلسطين في الادب العربي الحديث انظر : صالح الطعمة : فكرة فلسطين في الادب العربي الحديث ١٩١٧ -١٩٧٠ ، القاهرة ١٩٧٣ (بالانجليزية) ٠

١٧- من الكتاب الذين ترجمت اعمالهم : غسان كنفاني ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق فياض ٠

١٨- اكثر من كتب عنهم هم ، غسان كنفاني ومحمود درويش ٠

١٩- الاسماء الشعرية المشهورة هي محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ومعين بسيسو ٠ والاسماء النثرية المشهورة هي غسان كنفاني واميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا ٠

٢٠- ندرس هنا اعمالاً كتبها مؤلفون يعيشون في اسرائيل ، ولم يطلع عليها خارج هذا النطاق إلاّ مؤرخو الادب ٠ ومنها قصص توفيق معمر وعطا الله منصور وعبد الله عيشان ومحمود عباسي ومصطفى مرّار ٠ والأسماء الأربعة الاخيرة طبعت مؤلفاتها مؤسسات تابعة للحكم الاسرائيلي ، ولذلك لم تلق اي التفات من دارسي الادب في العالم العربي ، وبخاصة دارسي الادب الفلسطيني، واذا ما اشير الى هذه الأعمال ودرست ، فيقترن ذلك بالحديث عن قرب مؤلفيها من السلطة الحاكمة في اسرائيل ٠ من الدارسين الذين فعلوا ذلك غسان كنفاني في كتابه «الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ٤٨ - ١٩٦٨ ، بيروت ١٨٨١ ط٢ ٠ ودراسة احمد ابو مطر» ، الرواية في الادب الفلسطيني بين ٤٨-١٩٧٥ ، بيروت ١٩٨٠ ٠

٢١- حول صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية انظر واصف ابو الشباب ، صورة الفلسطيني في القصة الفلسطيسنية ٤٨-١٩٧٣، بيروت ١٩٧٣ ٠

## ١- صورة اليهود بين ١٩١٣ - ١٩٤٨ :

١٠١ مدخل :

على الرغم من إقامة يهود في فلسطين قبل عام ١٩١٣(١) ، إلاّ أنّ الحديث عنهم في الأدب الفلسطيني لم يكن حاضراً ٠ ويسأل المرء نفسه عن سبب ذلك ، وبخاصة أنّ ثمة كتابات عنهم بدأت تترجم من اللغات الأوروبية في نهاية القرن التاسع عشر ، وانّ كتابا عرباً بدأوا ايضا ينظمون اشعاراً ويؤلفون رواياتٍ تذكر اليهود إنْ سلباً او ايجاباً(٢) ٠

فهل يعود السبب في ذلك إلى أنّ الحياة الادبية في فلسطين لم تكن ، في حينه ، نشطة ، كما كانت عليه في بيروت والقاهرة ، أم إلى انّ عرب فلسطين لم يروا في اليهود حتى بداية النشاط الصهيوني فئةً غريبةً ، يجد المرء فيها ما يغري بالكتابة عنها ؟

يمكن ان يأخذ المرء بالسببين معاً ، فالحياة الأدبية حتى بدايات القرن العشرين ، كانت ضعيفة ، والشعر -اللون الادبي الوحيد الذي كان معروفا في حينه- لم يتجاوز الموضوعات التقليدية للشعر العربي من مديح وتهنئة ووصف٠ وقد تأثر الشعر في هذه البلاد بالأدب العربي دون أن يؤثر فيه ٠ ولم تكن الكتابة عن اليهود في الادب العربي ، في حينه ، لافتة للنظر ٠ وما كتبه الشدياق عام ١٨٣٢ ظل مخطوطاً(٣) ٠ ولم تبدأ الترجمات التي قام بها بعض المسيحيين العرب إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر(٤) ٠

وكانت العلاقة بين العرب واليهود في هذه الأثناء عادية ، ولم يكن لليهود حتى عام ١٨٨٢ أي طموح في وطن قومي(٥) ٠ ولقد لاحظ أول قنصل بريطاني في القدس ، في تقاريره الأولى عن حالة اليهود ، مدى التسامح الديني السائد(٦) ، ولا سيما بين المسلمين ازاء اليهود ، فقد سمح المسلمون لليهود بالإقامة في الأحياء الإسلامية ، وكانوا ايضا يجيرونهم عند الحاجة ٠

ولم يتبدل الوضع إلاّ بعد ان اخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول عن الطابع الديني والمعايشة ، الى الطابع الاستعماري الزراعي بوحي من

الأفكار الصهيونية(٧) ٠

لقد بدأ بعض المثقفين الفلسطينيين ، من مسلمين ومسيحيين، يطلع على بعض المقالات التي نشرت في الغرب عن الصهيونية ، في الوقت الذي بدأت فيه نشاطها في فلسطين ٠ ورأى هؤلاء فيها خطراً يهدد مستقبل البلاد ٠ وكان نجيب نصار(٨) ، الذي تلقى عام ١٩٠٥ من صديق انجليزي نسخة مقال عن الصهيونية نشر في الانسكلوبيديا اليهودية ، اول من فعل ذلك ٠ لقد انهمك نصار في دراسة هذا المقال ، وعرف من خلاله حقيقة الصهيونية ،ووقف منها موقفا حاداً(٩) ٠

واخذت حالة العداء تنمو منذ عام ١٩١٧ ، عام اصدر بلفور وزير خارجية بريطانيا قراراً ينص على حق اليهود في وطن قومي في فلسطين ٠ ورافق ذلك ازدياد نشاط اللجان الصهيونية التي رحّب يهود البلاد بها ٠ ولم يميز عرب فلسطين ، في اضطرابات يافا عام ١٩٢١ ، بين يهود البلاد الاصليين والمستوطنين الجدد(١٠) ٠ وكان العداء ، مع ذلك ، يشتد ويضعف ، وحتى عام ١٩٢٩ كان سكان البلاد العرب مستعدين لأن يعيشوا مع اليهود بسلام ، شرط ان يتخلى الأخيرون عن سياسة الوطن القومي اليهودي(١١) ٠ ولكن العداء اخذ يستعر في الثلاثينات من جديد ، وذلك يعود إلى الهجرات اليهودية المتزايدة بسبب ملاحقة اليهود في اوروبا اثر اشتداد الخطر النازي(١٢) من ناحية ، ومن ناحية ثانية بسبب خوف العرب من فقدان اراضيهم(١٣) ٠ وكانت النتيجة ان صعد العرب مقاومتهم ضد الصهيونية والانجليز ، واستمرت هذه المقاومة منذ ١٩٣٦-١٩٣٩ ٠ ولم يختلف الوضع في الاربعينات عنه في الثلاثينات ٠ في ظل هذه الأجواء عاش الكتاب الذين سندرس اعمالهم ٠

وعلى الرغم من انّ ما يهمنا هو صورة اليهود في الأدب ، إلاّ اننا لا نستطيع تجاهل حالة العداء الموصوفة سابقا ٠ إن نظرة الذات الى الآخر تتأثر باستمرار بالظروف السائدة بين الطرفين ، وهي بالتالي غالبا ما تكون سلبية في ظروف كتلك التي مرّ بها -وما زالوا- العرب واليهود ٠ وعلى الرغم من ذلك فانّ الكتّاب الذين عاشوا بين عام ١٩٠٠-١٩٤٨ لم يتطرقوا جميعا الى هذه الفكرة ،

فكرة تصوير الآخر • ولم يذكر بعض هؤلاء الكتّاب اليهود ، إن سلبا وإن ايجاباً(١٤) • فعبد الكريم الكرمي ، وهو واحد من ابرز شعراء هذه الفترة ، لم يذكر اليهود إلاّ مرة واحدة ، وذلك في قصيدته التي شنّع فيها على الحكام العرب والانجليز(١٥) • ولم تكن الكتابة عن اليهود مفصولة غالباً عن الكتابة عن الانجليز والاستعمار بشكل عام ، وكثيراً ما كان يشار إلى اليهود باعتبارهم تابعين للاستعمار(١٦) • وقد حمل اول نص شعري هاجم فيه ناظمه اليهود عنوان "الخطر الصهيوني"(١٧) • وقد كتبه الشاعر سليمان التاجي الفاروقي(١٨) ، أساساً ، رداً على مقال نشر في جريدة فلسطين يبين فيه كاتبه خطر الصهيونية • ولا يميز النص ، على الرغم من دلالة عنوانه المهمة ، بين اليهود • ويستخدم الشاعر مفردة "اليهود" ، ويشير إلى قضية الأرض التي أرقت سكان فلسطين العرب ، ويصف اليهود بأنهم ابناء الذهب الرنّان ، وأنهم خداعون ، ويملكون المال كل المال(١٩) • يقول سليمان التاجي الفاروقي في قصيدته :

بني الأصفر الرنّان خلوا خداعكم — فلسنا من الأوطان بالمال نخدع
اقل شعوب الأرض ، اهون امة — تساومنا في أرضنا ، كيف نهجع
يهود ، وما أمر اليهود بخائل — ولكنه شعب له المال اجمع
أحكامنا وما خطبكم ، ما اصابكم — ألم يأن أن تصحو ، ألم يأن أن تعوا
لقد أطمع الأعداء فينا سكوتكم — فهل كلمة منكم ، فنرضى ويقلعوا

## ٢٠١ اتجاهات رئيسة في تصوير اليهود :

كما هو في القصيدة السابقة ، فانّ المرء لا يستطيع في كتابات هذه المرحلة ان يضع خطوطاً فاصلة نهائية ، يميز من خلالها بين اليهود واليهود الصهاينة ، او بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين• وغالباً ما يعثر المرء على شخصيات يسقط الكاتب عليها فكره المسبق •

على الرغم مما سبق يمكن ان يميز الدارس بين اتجاهات ثلاثة ، نذكرها

هنا بايجاز ثم نكتب عنها بالتفصيل في هذا الفصل: الاتجاه الاول ليس لأصحابه موقف واضح ، يفصلون فيه بين اليهود والصهيونية • واصحاب هذا الاتجاه يتحدثون مرة عن اليهود والصهيونيين دون تمييز ، ومرة يميزون بين الفئتين ، ذاهبين إلى أنّ اليهود قد خدعوا من الصهيونية • ويلجأ اصحاب هذا الاتجاه ، غالبا ، الى التعميم ، وهذا ما يلحظه المرء في أشعار وديع البستاني •

واما الاتجاه الثاني فيقف اصحابه ، من اليهود عامة، موقفا معاديا • ولا يشيرون إلى ما يدل على أنّ هناك فارقا بين يهودي ويهودي صهيوني ، وسواء في ذلك ، أذكر اصحاب هذا الاتجاه اليهود ام ذكروا الصهيونية • ويلحظ هذا في نصوص خليل بيدس وابراهيم طوقان ومحمد العدناني وبرهان الدين العبوشي •

واما الاتجاه الثالث فيميلُ اصحابه الىالتعميم ، ويميز هؤلاء بين يهود ويهود ، هذا يعني بين يهود ايجابيين ويهود سلبيين • وابرز كاتبين نلحظ هذا في ادبهما هما اسحق موسى الحسيني ونجاتي صدقي •

ولكن مما يلاحظ هو أنّ صورة اليهود في نصوص الاتجاهات الثلاثة لا تختلف عن بعضها البعض كثيراً • ويكرر كل من خليل بيدس وابراهيم طوقان ومحمد عزة دروزة ومحمد العدناني وبرهان الدين العبوشي ونجاتي صدقي ، يكرر هؤلاء صفة واحدة ينعتون اليهود بها ، وهي صفة حب المال •

وتتكون المصادر التي تشكل صورة اليهود لدى هؤلاء الكتاب من القرآن والعهد القديم ونصوص ادبية اوروبية ، وايضا من خلال الالتقاء باليهود(٢٠) •

لقد ذكر القرآن(٢١) اليهود تحت مفردتين : اليهود وبني اسرائيل • ومدح بنو اسرائيل تارة ، وذموا طوراً • وغالبا ما كان ذمهم يعود الى مخالفتهم للأنبياء والرسل • وعموما وصف اليهود بالتالي :

- لهم قلوب قاسية ، بل واقسى من الحجارة •
- لقد نكثوا عهدهم مع الله بأن قتلوا بعض الأنبياء •
- لقد تعاملوا بالربا مع أنّ هذا محرم كتابيا •
- لقد المح مرتين الى انهم بسبب عصيانهم مسخوا إلى قرود وخنازير •

وكي يعزّز الكتاب العرب فكرتهم التي تقول إنّ اليهود يوظفون نساءهم لخدمة اهدافهم ، فانّهم يعتمدون عل قصة ابراهيم ، في العهد القديم ، حين كان في مصر · وهناك ادّعى أنّ سارة زوجته هي اخته ، حتى ينجو بنفسه من فرعون(٢٢) ·

وابرز نص ادبي اوروبي يعتمد عليه الكتاب ، وذكر مراراً في اعمالهم ، هو مسرحية شكسبير المشهورة «تاجر البندقية»(٢٣) · ويكتب الادباء ، في الأعم الاغلب ، عن صفات اخلاقية لا عن صفات شكلية(٢٤) ·

## ١٠٢٠١ الاتجاه الأول : اتجاه غير واضح :

إنّ أبرز شاعر يمثل هذا الاتجاه هو الشاعر وديع البستاني(٢٥) ·

لقد نظم رئيس بلدية الرملة ، الشيخ مصطفى الخيري ، عام ١٩١٨ بيتين من الشعر هما :

وكيف تقيلون اليهود عثارهم ... وهم قتلّوا يحيى وهم كفروا عيسى
لكم منهم ظهر التودد خدعة ... وفي حلقهم منكم كجزّك بالموسى(٢٦)

وردّ عليه البستاني بالأبيات التالية ، وفيها يهاجم اليهود مباشرة :

وأتى ، لمّا أتاكم مَلِكٌ ، ... مَلَكٌ يحيي من القبر الرميما
فطلبتم موته في ذلّة ... وعليكم بقي الذّل مقيما
صدق الله الذي أنزلها ... آيةً ، إن تقرأوا الذكر الحكيما
فارعووا عن كفركم واستغفروا ... يا عباد المال رحمانا رحيما
لستم للسيف إلاّ جزراً ... لستم في نارنا إلاّ هشيما(٢٧) ·

وواضح ان الخيري في تصوره لليهود يعتمد على ما ورد عنهم في القرآن الكريم · إنّهم خدّاعون ، وقد كفّروا عيسى ·

ويكرر البستاني ، ما كان الفاروقي قد قاله : (يا عباد المال ، بقي الذل

عليكم مقيما) • وصيغة الكلام في النص لا تظهر تمييزاً بين يهودي وآخر • لكن هناك قصائد للبستاني اشار فيها إلى ان الصهيونية تشكل خطراً على اليهود أنفسهم •

ويكتب البستاني قصيدة في ذكرى الأربعين لروحي بك الخالدي الذي ألّف كتابا بين فيه مخاطر الصهيونية ، -ولم ينشر المؤلف لأن صاحبه توفي قبل ان يطبعه ، وكانت حكومة الانتداب قد منعت ايضا إقامة حفل التأبين- ويذكر فيها انّ اليهود لو كانوا قرأوا ما ورد ، في الكتاب الذي ألّفهُ الخالدي ، من حديث عن الصهيونية ، لأخذوا يصلون مؤمنين بمحمد والمسيح • ويشير البستاني في قصيدة اخرى الى ان هناك فرقا بين اليهود العرب واولئك القادمين عبر البحار • لقد زار الشاعر العراقي معروف الرصافي فلسطين ، والقى امام المندوب السامي البريطاني اليهودي الديانة ، هربرت صموئيل ، قصيدة ذكر فيها ان العرب واليهود ابناء عمومة • وعرف البستاني بالأمر ، فردّ على الرصافي قائلا :

أجل عابر الأردن كان ابن عمنا ولكننا نرتاب في عابر البحر(٢٨) •

البستاني ، وهو مسيحي ، يعتقد ان اليهود هم الذين صلبوا المسيح ، وانهم تاهوا وضلّوا وضللوا غيرهم ، وانهم ايضا لم يفقهوا ما جاء في حكمة السفر •

ويسخر البستاني من معتقدهم بأنّ القدس هي دار الحشر ، وهذا غير ما يذهب إليه المسلمون والمسيحيون(٢٩) •

وما يلحظ في اشعار البستاني بوضوح ، هو انه يغلّب المشاعر القومية على المشاعر الدينية ، وليس غريبا ان نراه يقف امام الانجليز موقفا حاداً ، ذاهبا إلى أنّ نصارى البلدان العربية هم عرب قبل ان يكونوا اي شيء آخر • يقول البستاني في قصيدته التي عنوانها «فتنة المبكى» :

أيشاء الله ان يجتمعوا بعدما فرّقهم ايدي سبأ

والورى عنيّ وعنك انفلتوا ليحوطوا الناطح المنتحبا

ليس دهر الله هذا : إنّه دهر جيل يعبدون الذهبا

دول الأرض علينا اجتمعت ورأينا السيد المنتدبا
حامي الايمان إجلالاً ، وما همّه الإيمان إلاّ لقبا
فلنا الله ، وهذي ارضه يا رعاها الله امّا وابا
امس كنّا ، والنصارى بعضنا ومضى الليل فقمنا عربا
إإذا أمّ غريب دارنا خالنا في الدار بعض الغربا(٣٠) ٠

وهكذا نجد في قصائد البستاني مواقف مختلفة ازاء اليهود ٠ فمن الصيغة التعميمة (اليهود ككل) إلى التمييز بين اليهود القادمين عبر الأردن واولئك القادمين من اوروبا ، ومن هؤلاء يرتاب ، ويتحدث أيضا عن اليهود الذين ضللتهم الصهيونية ٠

ولكنّ اليهود اذلاّء حتى الأبد ، وهم عباد مال ، وكفرة ، وقتلة المسيح ، وهم ايضا ضالون مضللون ، ونسوا ، فوق هذا ، ما ورد في اسفارهم ٠ وسنرى انّ هذه الصورة لا تختلف كثيراً عنها في اشعار ابراهيم طوقان ٠

## ٢٠٢٠١ : الاتجاه الثاني : اتجاه تعميمي سلبي :

لا يرى اصحاب هذا الاتجاه ، وهم خليل بيدس وابراهيم طوقان وبرهان الدين العبوشي ومحمد العدناني ، لا يرى هؤلاء ادنى فرق بين اليهودية والصهيونية ٠ هناك يهود يشكلون حالة ثابتة ، حالة لا تتأثر بتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وكأنّ اليهود يرثون معا صفاتهم الجسدية والاخلاقية ٠ ولأنّ كل اليهود سواء ، فاننا لا نعثر في كتابات هؤلاء -إلا نادراً- على وصفٍ للمظهر الخارجي للشخصية اليهودية ٠ واذا ما عثرنا على فارق واحد كتعصب احد اليهود دينيا ، او اهتمام احدهم مثلا بالعلوم الانسانية، فانه ليس بالفارق المهم ، ذلك أنّ اليهود يلتقون ، في نهاية الامر ، حول امر واحد يمثل جوهر كينونتهم : يهوديتهم ٠

وما من شك في أنّ هذا النمط من الكتابة ، إذا ما درس بمعزل عن الظروف

السياسية التي شهدتها فلسطين في زمن كتابته ، ليس سوى ضرب من الكتابة التعميمية غير المقنعة • وعلى الرغم من أنّ المرء يلحظ أنّ الكتاب يستخدمون في كتابتهم مفردة «يهود» وينعتون هؤلاء بأسوأ الصفات ، إلاّ انه إذا امعن النظر جيداً في النصوص ، فانه سيكتشف انها تحمل في داخلها هشاشتها •

لقد هاجم ابراهيم طوقان اليهود ، وشنّع عليهم في قصائده ، ولم يميز في صيغة الخطاب بينهم ، ومع ذلك فلم يتوان عن ان يذكّر زعماء وطنه الذين هجاهم بقصائد عديدة هجاءً قاسيا لانشغالهم بالبحث عن مكاسب خاصة ، ولانصرافهم عن المصلحة العامة الى البحث عن المصالح الخاصة ، لا يتوانى طوقان عن ابراز صورة ايجابية للزعماء اليهود وما يقوم به هؤلاء من جهود لصالح المجموع ، ليعرضها من ثمّ امام زعماء بني قومه •

ويبدو هذا ايضا واضحا في رواية محمد العدناني «في السرير»• إن طريف ، بطل الرواية ، الذي يمجد العرب ويذم الاجانب ، ويعمم القول في اليهود ، لا يتردد حين يلتقي بأشخاص يتعارض سلوكهم وما يحمله شخصيا من اراء مسبقة عنهم ، لا يتردد في القول ان الناس سواسية كاسنان المشط ، وان من بين العرب ، وكذلك الاجانب، من هو جيد ومن هو سيّء •

ان الكتاب الذين يندرجون تحت هذا الاتجاه ، يلتقون ايضا في انهم يصفون اليهود بحب المال ، وبأنهم خداعون يلجأون إلى وسائل غير شريفة لتحقيق أهدافهم •

## ١٠٢٠٢٠١ : خليل بيدس : صورة اليهود التقليدية :

نشر خليل بيدس(٣١) عام ١٩٢٠ اول عمل روائي فلسطيني ، عنوانه «الوارث»(٣٢) • ولم تعد هذه الرواية متوفرة ، وبالتالي فانّ دراستها اعتمادا على نص المؤلف غير ممكن • والتصور الذي سنعرضه هنا -على ما هو الامر عليه في الدراسات الادبية الاخرى لهذه الرواية - يعتمد اساساً على مضمون الرواية الذي اورده الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «خليل بيدس رائد

القصة العربية الحديثة في فلسطين» ٠

وقد كتب بيدس على غلاف روايته انها «رواية اجتماعية غرامية»(٣٣) ٠ يصف القاص فيها علاقة غرامية بين عزيز الشاب السوري الذي هاجرت اسرته الى مصر ، واستير الفتاة اليهودية ٠ وعلى الرغم من وجود شخصيات يهودية متعددة في الرواية ، إلاّ انها لا تختلف ، من حيث الصفات التي تميزها كحب المال والحصول عليه بالوسائل غير الأخلاقية ، عن بعضها البعض ٠

لاستير الغانية اليهودية اللعوب غير عاشق ٠ وتستثير هذه غيرة عزيز لكي تسلبه امواله ، ولتحقيق ذلك فانها تلجأ الى طرق مختلفة ٠ فهي تطلب منه ان يحصل على المال من متجر عمه الشيخ نعمان ، خلسةً ، وتدفعه -حين يرفض فعل ما ارادت منه- إلى اقتراض المال من مراب يهودي ، ثم تشجعه على الزواج من ابنة عمه نجلاء ، حتى ينال حصته من ميراث عمه ٠ ويحكم علاقة استير بعزيز شيء واحد فقط هو طمعها في امواله ٠ وهي لذلك لا توافق على الالتقاء بعزيز إلاّ إذا اعطاها مبلغاً من المال ٠ وتساعد راحيل ، عمة استير، وهي امرأة كهلة ، تساعد استير في حيلها ٠

ومن الشخصيات اليهودية في الرواية ناثان المرابي الذي يوهم عزيز بصعوبة الحصول على المال ، حين يلجأ اليه الاخير طالباً منه بعض المال ٠ يقترح ناثان على عزيز بأن يشتري آلاتٍ موسيقية من تاجر يهودي يبيعه اياها هذا بصكوك الى اجل ٠ وحين يحتاج عزيز ، مرةاخرى ، مالاً ، يرهن الآلات الموسيقية عند التاجر نفسه ، ويكون الفرق واسعاً بين الثمن الأصلي الذي سجّله عزيز على نفسه وبين المال النقدي الذي حصل عليه ٠ ويشتري ناثان لعزيز ايضا اثاثا فاخراً من امرأة يهودية تظاهرت بانها مضطرة لبيعه من اجل السفر ٠ وكان ناثان ، في كل هذا ، يتظاهر كما لو انه صديق لعزيز ، وكما لو انّه يتكلف المشاق لتيسير الأمر عليه وتحقيق رغبته ٠

وباستثناء عزيز فان الشخصيات الروائية العربية هي شخصيات اخلاقية٠ يصف القاص الاسرة السورية بانها شريفة ، فالشيخ نعمان رجل وقور ، وابنته نجلاء تحرص على عزيز زوجها ، وتقف الى جانبه حين يقع في مأزق ، فتقدم

اليه الأموال ٠

ولعل المؤلف قصد ان يكون عزيز مستهتراً ، فالرواية ذات مغزى اخلاقي تربوي ، يقصد مؤلفها من ورائها ان يحذر الشباب العرب من الوقوع في شباك استير وامثالها من الفتيات اللعوبات ٠ ويكتشف عزيز ذلك بنفسه ، وفيما بعد يقارن بين سلوك استير وسلوك نجلاء حتى «لم يبق في فؤاده اقل ميل لاستير واقل رغبة في مقابلتها»(٣٤) ٠

ونحن لا نستطيع ان نعرف موقف السارد من الشخوص ، او موقف الشخوص من بعضها البعض ، نظراً لانعدام توفر النص الروائي كاملا بين ايدينا ٠

وما اقتبسه الدكتور الأسد من الرواية يوضح لنا مايلي : إن موقف الشيخ نعمان من استير محكوم بموقفه الأخلاقي منها ، ويثور الشيخ نعمان ويهدد عزيزا ، حين يخبره هذا عن حبه لاستير ، بحرمانه الميراث ، بل ويقرن ذلك بضرورة اقتران عزيز بنجلاء ، وبقطع كل صلة بتلك الغانية اللعوب(٣٥) ٠

وتذهب نجلاء الى المسرح مع عزيز ، فتشاهد هناك استير وهي ترقص ، فتنفر من طريقة رقصها ، ومن حركاتها ، ومن ملابسها(٣٦) ٠ ونفورها يعود إلى افعال استير بالدرجة الاولى ، لا لكون هذه يهودية ٠

ويصف القاص الشكل الخارجي لاستير على النحو التالي :

"وقد افرغ عليها الشباب اجمل حلله ، فأصبحت ابهى طلعة من شمس الضحى ، وارق لطفاً من نسمات السحر"(٣٧) ٠

ولا نعرف فيما اذا كان للقاص موقف آخر من استير ، غير هذا الذي يوضحه النص الذي اقتبسه الأسد ٠

ولا شك في ان القاص قد بالغ في تصوير اليهود ٠ إنّ من يقرأ عن واقعهم في مصر ، في تلك الاثناء ، سيجد انهم لم يكونوا جميعاً صيارفة او مرابين ٠

لقد عاش اليهود في مصر ، وكان منهم الفقراء الذين عاشوا مع المصريين، وتعلموا في مدارسهم ، وفرحوا لأفراحهم ، وحزنوا لأحزانهم ، وكان منهم متوسطو الحال والأغنياء الذين ارسلوا أبناءهم إلى المدارس التي تعلم اللغات

الأوروبية ، ليحصلوا على جنسيات الدول التي تتبع المدارس لها(٣٨) ٠ ومع ذلك فمما عرف ايضا هو انّ اليهود كانوا اجتماعيا اكثر تحرراً من غيرهم ، فلم يترددوا في مزاولة مهن معينة وفنون كالغناء والرقص والتمثيل(٣٩) ٠

## ٢٠٢٠٢٠١ : ابراهيم طوقان : الأدب كرد فعل :

يعتبر ابراهيم طوقان(٤٠) ابرز شاعر ، في زمنه ، كتب اشعاراً هاجم فيها اليهود بحدة ٠

لقد نظم اشعاره في فترة كانت فيها العلاقات بين العرب واليهود ، بسبب الهجرات اليهودية المتزادية ، وما رافق ذلك من تأسيس مستوطنات جديدة تتوتر باستمرار ٠ ولقد بدت فكرة إقامة الوطن اليهودي كأنها قاب قوسين أو أدنى ٠ وكان يوازي ذلك هجوم على العرب وسخرية منهم ٠ و تمثلت هذه السخرية في قصيدة كتبها شاعر يهودي اسمه (رئوبين) اثارت حفيظة ابراهيم طوقان ، الذي ردّ عليها بقصيدة قدم لها بما يلي :

"نشرت الجريدة اليهودية (دوار هايوم) قصيدة لشاعر اليهود رئوبين ، نقلتها الى العربية جريدة فلسطين ، وعنوان القصيدة "انشودة النصر" ، اتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مشيداً بذكر اليهود وشجاعتهم ٠٠ في الطعن والضرب زاريا على العرب (ابناء هاجر واسماعيل ٠٠!) خوفهم ووحشيتهم وهزيمتهم ! زاعماً تارةً انهم عزّل مظلومون ، وأنّ العرب على تسليح الانجليز لهم كانوا لصوصاً وقطاع طرق ، واهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشيوخ والنساء ٠ وقد نظمت هذه القصيدة رداً على أنشودة النصر غير معترضٍ كثيراً على الحوادث بقدر اعتراضي إلى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل ، وما هم عليه اليوم من الادعاء الباطل والغدر ونكران الجميل مما يناقض كل ما ادعاه الشاعر رئوبين وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق"(٤١) ٠

إذن ، رداً على رئوبين ينظم طوقان اعنف قصيدة هجاء لليهود في الأدب الفلسطيني في تلك الفترة ٠

واقوال كهذه حول اليهود ، كما لاحظناها في رد طوقان على رئوبين ، كانت قد ظهرت في قصيدة للشاعر اللبناني : أحمد فارس الشدياق ، الذي نظم عام ١٨٣٢ قصيدة بالحدة نفسها لكي يعبر عن رأيه السلبي في اليهود ٠

وينهي الشدياق قصيدته بالبيت التالي :

ظنون في جنون في مجون  مجون في جنون في ظنون(٤٢) ٠

مظهراً ، كما يذهب بعض دارسي القصيدة ، بأنّ نظرته لليهود كما اوضحها في قصيدته ليست جدية تماماً (٤٣) ٠ وهذا ما لم يفعله طوقان في قصيدته٠

حقاً ان ابراهيم طوقان كان نشر قصيدته هذه في إحدى المجلات(٤٤) ، ولكنه لم يدرجها ضمن القصائد التي اختارها لتشكل ديوانا شعريا يرضى عنه ، وقد يكون سبب ذلك ان الشاعر رأى في القصيدة تعبيراً عن حالة غضب انتابته اثر قراءته لقصيدة (رئوبين)، ليس اكثر ٠

لم يكتف طوقان ، على اية حال ، بالردّ على (رئوبين) ، بل عاد إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني ، وعكف على دراسة سيرة السموأل الشاعر اليهودي الذي ضرب العرب بوفائه المثل ٠ لانه اختار ان يفي بوعده وإن ضحى بابنه(٤٥) ٠

لقد اذاع طوقان حديثه هذا ، بعد سبع سنوات من نظم قصيدته ، في الاذاعة الفلسطينية ، ونفى فيه ما كتب عن وفاء السموأل ٠ ورأى طوقان ان السموأل ضحى بابنه حين خيّر بين المال وابنه ، لأن غريزة حب المال تغلبت على حب ولده فضحى بابنه على مذبح حرصه وطمعه(٤٦) ٠

وشك طوقان ايضا في ان تكون القصيدة التي تنسب إلى السموأل من نظمه٠ واعتمد في شكه على أمرين؛ اولهما ان لغتها ليست لغة الشعراء الجاهليين ، وثانيهما ان قائلها هو السموأل ٠ ويستغرب طوقان ان يقول شاعر يهودي قصيدة تتضمن هذه المعاني "فما اغرب ان يكون هذا القول من

السموأل" ٠

وفي رده يتحدث طوقان عن اليهود الأعداء ، فاليهود هم يهود حتى قبل أن يكونوا أعداءً للفلسطينيين ، منذ تيههم في الصحراء وخروجهم من مصر ، ومنذ زاغوا عن الحق ٠ ويفتخر طوقان بالعرب، ويعيّر اليهود بأنّ امهم حسود وعجوز عقيم ، ويمجد انساب العرب ، مشيراً إلى ضياع انساب اليهود منذ سبي بابل ، ويرى طوقان ان يهود اليوم لقطاء ٠

ويذكر طوقان اليهود بذلهم واستعبادهم ، ويشير إلى انهم يجهلون التوراة التي تتحدث عن اخلاقهم ، وهي خلائق ذميمة منذ بدايتها وحتى نهايتها ٠ إنهم يعبدون المال ويتخذونه إلاهاً بدل الإله٠ لقد باع ابوهم يهوذا يوسف ، لأنّ حب الدينار فيهم قديم ٠ ويأتي طوقان على ذكر شيلوك ، ويرى أنّ ما وصفهم به شكسبير خالد فيهم ٠

ويتابع طوقان هجومه : لقد نبذ اليهود الوصايا العشر ، وهم ايضا يخصصون سبتهم للمكر والغدر لا للعبادة ، وعندهم ان القتل والفسق مباحان ، وهم ايضا يؤذون الجار ويهضمون حقه ، ويصيحون ، مع ذلك ، بأنّ حقهم مهضوم ٠ لقد ضلوا في الارض ، واخذوا -كالذباب- يحومون حول القاذورات ، وقد شتت الله شملهم لأنه غضب منهم ٠ واليهود -هكذا يرى طوقان- جبناء ، يتوارون خلف الشبابيك حتى إذا ما رأوا الأطفال اخذوا يقذفونهم بالقنابل ٠ وقد احالوا -فوق كل ما ذكر- لبن الأرض الى سم زعاف وإلى دم ٠

ويختتم طوقان قصيدته بالبيت التالي :

يا يهودي لا عليك سلامٌ  وإذا شئت لا عليك شلوم(٤٨) ٠

ولا يختلف تصوره لليهود في اشعاره الأخرى كثيراً ، ان اليهود -منذ كانوا- صيارفة وخداعون ومحبون للمال منذ القدم ، وهم ايضا اعداء البلاد والمعتدون والآثمون والغاصبون والمحتالون الذين يقتنصون الفرص ٠

ولكن طوقان هاجم ايضا الزعماء من بني قومه ، وهاجم السماسرة ايضا هجوما لم يكن بأقل حدة من هجومه على اليهود -باستثناء قصيدته في الرد

على رئوبين- ، ولقد كان احياناً يعير زعماء قومه بجهود اليهود ونشاطهم ٠ يقول طوقان ، في احدى قصائده ، مخاطبا بني قومه :

اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً وانظروا ما لخصمكم من جهود
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً شاد أركانه بعزم وطيد
شاده فوق مجدكم وبناه مشمخراً على رفات الجدود(٤٩) ٠

وتذكر فدوى طوقان في مقالها الذي كتبته تحت عنوان "اخي ابراهيم" ونشرته في مقدمة الديوان ، تذكر ما يلي :

"كان لابراهيم -رحمه الله- مصحفٌ صغير ، لا يخلو منه جيبه ، تبركاً به من جهة وليكون في متناول يده كل حين من جهة اخرى"(٥٠) ٠

وكان ابراهيم في هجومه على اليهود ، وتحديد موقفه منهم ينطلق اساساً من هذه الزاوية ، فاليهود ضالون منذ زاغوا وخالفوا الأنبياء ٠ ويستعير ، فوق هذا ، الصورة السلبية التي رسمها لهم شكسبير في مسرحيته "تاجر البندقية"(٥١) ٠

ويبقى للجانب السياسي تأثيره الكبير ، فاليهود اعداؤنا ، كما يرى ابراهيم طوقان ، لأنهم أعداء البلاد -أي اهلها- وهم يريدون ان يسلبوا الناس اراضيهم حتى يقيموا عليها دولتهم ٠ وقد اشار ابراهيم في غير قصيدة إلى الهجرات اليهودية التي كانت تتدفق على البلاد ، وفيها رأى الخطر الأكبر(٥٢)٠

## ٣٠٢٠٢٠١ : العبوشي : رؤية اسلامية عربية ريفية -كما يرى العبوشي- ٠

لا ينفر برهان الدين العبوشي(٥٣) في نصه المسرحي "وطن الشهيد" (١٩٤٧) من اليهود لأنهم يهود ، أو لأنهم من خلال الحركة الصهيونية ارادوا

تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين -لايفرق الكاتب بين اليهودية والصهونية- إنه ينفر منهم لأنه يرى في اخلاقهم ، بالدرجة الاولى ، تهديداً للأخلاق العربية الريفية الأصيلة · وهذا الموقف هو للمؤلف الذي نشأ في مدينة عربية صغيرة ، هي في عاداتها وتقاليدها اقرب الى الريف من حيث الميل إلى المحافظة والانغلاق · وهو يدرك هذا ، كما جاء في المقدمة التي كتبها ، ويدافع عن عروبة فلسطين ، وقبل اي شيء عن الاخلاق العربية · وتحت مفردة العروبة يدرج المؤلف المسلمين والمسيحيين ويستثني اليهود قاطبة · إن اليهود ، كما يرى ، «لم يكونوا فيها سوى عصاة متمردين على الله والرسل وعلى أنفسهم ، مشردين في الآفاق ، فقد جنى عليهم طمعهم واستكبارهم ومكرهم وحقدهم وانانيتهم ، وانّ اخلاقهم شذت قبل الإسلام وبعده · وستظل ماثلة فيهم إلى يوم البعث»(٥٤) ·

إنه يسمهم بالطمع والاستكبار والمكر والحقد والانانية · وان اخلاقهم شذت قبل الاسلام ، كما يرى ، وبعده ، وانها ستظل ماثلة فيهم إلى يوم القيامة·

ان رؤيته تعتمد على الإسلام ، واليهود -كما يرى- حالة ثابتة ساكنة لا تتبدل ولا تتغير · لقد كانوا هكذا ، وسيظلون ، كذلك ، إلى ابد الآبدين ·

ويشدّد العبوشي ، في مقدمته ، على ضرورة الوقوف امام اخلاق هؤلاء ، متوجها في خطابه ، في الاساس ، نحو الريف الفلسطيني ، فالريف ما زال «حصناً لم تتسرب إليه مبادىء المستعمرين ، ولا خنوثة المستنوقين ، ولم يتلوث دمه ، بل ظلّ عربيا صافيا يستمد مبادئه من قرآنه العربي ، واخلاقه الكريمة المتوارثة»(٥٥) ·

هنا يمزج الكاتب بين اليهود والمستعمرين · إنّ الخطر الذي يهدد الاخلاق العربية قادم مع المستعمرين انفسهم · وهنا يثير المرء سؤالاً : لقد كان اليهود موجودين في العالم العربي الاسلامي ، ولم يكونوا يشكلون خطراً على الاخلاق العربية الريفية ، فلماذا عمّم الكاتب القول في اليهود إذن ؟

لا يفرق الكاتب في اقواله بين اليهود المحليين والقادمين من أوروبا ،

الذين تشكل اخلاقهم خطراً على العرب • ولعل السبب يعود في ذلك إلى موقف يهود البلاد من اللجان الصهيونية ، التي رحبوا بها، وبالتالي فان ولاءهم كان للدين الذي ينتمون إليه لا للشعب الذي اقاموا بينه ، ولم ير هؤلاء في الصهيونية حركة استعمارية • وعلى العكس من ذلك كان موقف المسيحيين العرب من البريطانيين ، فمع انهم ابناء دين واحد إلاّ ان مسيحيي فلسطين رأوا في البريطانيين مستعمرين ، وبالتالي فلم يرحبوا بهم • ولقد غلّبوا مشاعرهم القومية على مشاعرهم الدينية ، وقد عكس البستاني ذلك ، بوضوح في اشعاره• وقد كان هناك من المسيحيين العرب من ثار على اليهود القادمين من اوروبا ، لانهم رأوا في اخلاق القادمين ما يتنافى والاخلاق العربية • وقد عكس ذلك في اشعار شاعر عربي مسيحي(٥٦) •

لقد افسد الحكم البريطاني في فلسطين ، هكذا يرى العبوشي ، الأخلاق السائدة فيها ، وذلك حين لم يفعل شيئاً امام ظاهرة العري واختلاط الرجال بالنساء • تلك الظاهرة التي احضرها اليهود الأوروبيون معهم • ولم يقتصر فهم العبوشي للأخلاق على التشديد على ضرورة عدم قبول معايير اجتماعية ، مثل حريةالمرأة في اللباس، او مبدأ اختلاط الرجال بالنساء حين لا يكون الرجل والمرأة مقترنين شرعا •

إنّ العبوشي يرى الأخلاق في جانبها المعنوي ايضا • لقد احضر الاستعمار معه مبادىء اخرى منها استعمار القوي للضعيف وطغيان المادة على الروح ، والجانب الاخلاقي غير موجود لا عند البريطانيين ولا عند اليهود • وكما يذكر العبوشي في مقدمته التي كتبها لنصه المسرحي ، فان اليهود يتصفون بالحرص والطمع والأنانية والغدر •

لقد وعد الغرب العرب بمساعدتهم إذا ما وقف الأخيرون الى جانبهم ضد الأتراك ، ولكنهم اخلفوا الوعد وساعدوا الحركة الصهيونية على انشاء وطن قومي لليهود •

ويجسد النص المسرحي تصوّر المؤلف كما أورده المؤلف في المقدمة : إنّ اليهود ماكرون وحاقدون ولاأخلاقيون ، وهم فوق هذا جبناء ، ولولا وقوف

الانجليز إلى جانبهم لما استطاعوا تحقيق ما حققوه ٠

اما تصوره للعرب فيختلف عن ذلك ٠ ان هؤلاء مناضلون شجعان يدفعون حياتهم ثمنا للحفاظ على عروبتهم ، وقلة قليلة منهم تخرج عن اطار هذا التصور ٠ هذه القلة القليلة هي التي تقع في شباك الفتيات اليهوديات اللعوبات اللاتي يصادقن العربي للحصول على امواله او من اجل حثه عل بيع ارضه ٠ وهنا يكرر العبوشي الموتيف الذي كرره كل من خليل بيدس ومحمد عزة دروزة : إنّ اليهود يوظّفون فتياتهم لتحقيق أهدافهم ، فهم يرسلونهن إلى الشباب العرب ليعملن على اغرائهم دون مراعاة ادنى اعتبار للأخلاق ٠

ويغص النص المسرحي بالشخصيات العربية حتى ليزيد عددها على الثمانين شخصية ٠ واذا عرفنا ان النص المسرحي لا يزيد في عدد صفحاته على الثمانين صفحة ، ادركنا أنّ تصوير شخصية ما تصويراً مفصلا وعميقا يبدو أمراً صعبا ٠ وقد اشار المؤلف في هامش ص٨٢ إلى هذه الظاهرة ، ظاهرة كثرة شخصيات المسرحية ، واقترح إن مثلت المسرحية ، ان يقوم الممثل الواحد بعدة ادوار ٠

وعلى سبيل المثال يبلغ عدد الشخصيات اليهودية سبع عشرة شخصية ، تظهر في المنظرين الأول والثاني من الفصل الثاني ، وفي المنظرين الأول والثالث من الفصل الثالث ، والمنظر الأول من الفصل الخامس ٠ وأمّا باقي الفصول فلا نعرف عن اليهود إلاّ من خلال تصوّر الشخصيات العربية لهم ٠

وعلى العموم ، فان صورة اليهود سواء من خلال تصور الشخصيات اليهودية في النص المسرحي لهم ، او من خلال تصوّر الشخصيات العربية لليهود، هي واحدة ٠ وهناك اربع شخصيات يهودية رئيسة نستمع إليها معبرة عن تصوّرها لذاتها وتصورها للآخر -طبعا ضمن تخيل المؤلف- وهي : وايزمان وشلومو والياهو وكلفر سكي ٠ اما باقي الشخصيات اليهودية الاخرى فهي شخصيات عابرة ، ينطقها الكاتب بعبارة او عبارتين تدعم فيها رأيا ما ، ثم لا تعود للظهور ثانية ٠

وتقترب الشخصيات الأربعة من بعضها في أنها تتصف بحب المال

والتعالي على الآخرين ، وهي ايضا لا ترى ضيراً في استعمال الرشوة والخداع والكذب واللجوء إلى الإيقاع بين الآخرين ، كل هذا من اجل الوصول إلى اهدافها• وتتشابه هذه الشخصيات في سلوكها على الرغم من اختلافها في التفكير • إن وايزمان ، مثلاً ، يهودي عالمٌ يميل إلى العلمانية ، وخلافاً له فان الياهو يؤمن بالتوارة ايمانا عميقا • وكأن العبوشي يودّ القول : إنّ اليهود على الرغم من اختلافهم ، احيانا في نظرتهم للحياة ، فانّ ولاءهم اولاً واخيراً يظل ولاءً ليهوديتهم • هذا يعني انهم يهود بالدرجة الاولى • وتظهر في النص فتاتان يهوديتان لعوبان تصادقان الشباب العرب ، وتعملان على إفسادهم والحصول على اموالهم ، وتحثانهم على بيع ارضهم للوكالة اليهودية •

ولا يختلف تصوّر اليهود لأنفهسم عن تصوّر الشخصيات العربية لهم • وما يقوله العرب ، في النص المسرحي ، عن اليهود ، يقر به اليهود ، ايضا في النص المسرحي ، انفسهم • وهكذا لا ترى الشخصيات اليهودية في حب المال ، على سبيل المثال ، منقصة •

إنّ استعراض كل شخصية من الشخصيات اليهودية ، او استعراض رأي كل شخصية عربية في اليهود ، ليس سوى ضرب من التكرار • وهنا نورد رأي الشاعر ، إحدى شخصيات المسرحية - ومن خلفه يستتر الكاتب نفسه - لمعرفة تصوّر العرب لليهود • يصف الكاتب ، في المنظر الثالث من الفصل الثالث ، شباب الريف الفلسطيني• ويظهر إن من هؤلاء من يحافظ على أخلاقه ، ومنهم من يبيع ارضه لليهود لينفق ثمنها على الغانيات اليهوديات • ولهؤلاء الأخيرين يقول الشاعر في النص المسرحي :

«لو كنت ممن يعقلون ويحذرون العاقبة
ما كنت تحفل باليهود وبالنقود الذاهبة
انى تطيب لك الحياة وذي بلادك ساغبة
وشباب قومك عاطلون وذي نساؤك نادبة
اتبيع قومك بالدارهم لليهود الغاصبة
وهم العدو ابن العدو وإن بدوا كالراهبة

يبغون حكمك بالنقود وبالوعود الكاذبة
حتى إذا عصروك ألقوا بالفريسة عاطبة
ورموا بقومك في القفار وبالصحارى الشاحبة(٥٧)

واليهود هنا غاصبون واعداء ، وهم يلجأون إلى حكم الآخرين من خلال ما يملكون من نقود ، وهم ايضا كذّابون ٠

ونستمع في موقع آخر من النص المسرحي إلى صوت سماوي يخبرنا عن اساليب اليهود ٠ وما من شك في أن ما يقوله هذا الصوت السماوي ليس سوى تعبير عن رؤية الكاتب الدينية في اليهود٠

هنا يتطابق ما ورد في المسرحية مع ما ذكره المؤلف في المقدمة ، وهو ما يمثل رأيه الشخصي ٠ وتتكيء المفردات التي يستخدمها الشاعر ، وكذلك الأوصاف التي ينعت بها اليهود ، على القرآن الكريم ٠ يقول الشاعر في النص المسرحي :

«يا أيها الطامعون المفسدون إذا اخفيتم الغدر فالعلاّم يفضحه
كدتم لموسى ، فتهتم في فدافدها وكل كيدٍ فسيف الحقّ يكبحه
اردتم الملك ، رغم الله ، ويحكم الملك للمؤمنين الله يمنحه ٠
انا الملاك سفير الرسل انذركم أن لا تعيثوا ، فخير النصح افصحه(٥٨) ٠

هكذا يصف اليهود : طامعون ومفسدون وغدّارون ومكارون وخالفوا نبيهم موسى ، فقضى الله عليهم بأن يتيهوا في الصحراء ٠ ويلتقي العبوشي هنا مع ابراهيم طوقان ٠ كلا الكاتبين اسبغ عليهم من الصفات ما ورد عنهم في القرآن٠ ويلتقي ايضا مع بيدس حين يكرر الحديث عن تسخير اليهود للفتيات من اجل افساد اخلاق الشباب العرب ٠

وتحتوي المسرحية على تصور المؤلف للذات ٠ إن المسرحية تحفل بالعديد من الشخصيات العربية التي تضحي بنفسها من اجل وطنها ومبادئها ٠ أما الشخصيات العربية السلبية فقليلة ، وقد قصد الكاتب ، من وراء تصويرها

على هذه الشاكلة ، أن يحذر الآخرين من ارتكاب سلوك شائن ،كذاك الذي ارتكبته الشخصيات السلبية في المسرحية ، كانت عاقبته وخيمة ٠

## ٤٠٢٠٢٠١ : محمد العدناني : آراء مسبقة يؤيدها الواقع أويدحضها ٠

تتكرر صورة اليهود ، كما لاحظناها في مسرحية العبوشي ، في قصيدة للشاعر محمد العدناني(٥٩) ، كان الشاعر قد نظمها بعد ان وافقت بعض دول العالم على قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ٠ ويذكر العدناني ، في المقدمة التي كتبها للقصيدة التي عنوانها «الدولة اليهودية» ، انّ عدداً كبيراً من ممثلي الدول الذين وافقوا على قرار التقسيم قد رشاهم اليهود بمبالغ طائلة ٠ ويصف دولة اليهود بالتالي :

| | |
|---|---|
| اجهضت هيئة الأمم | عندما باعت الذمم |
| جهضها دولة الربا | والمواخير والنقم |
| جيشها المكر والنساء | تبذل العِرْضَ في الظلم |
| تحسب المال أنه | يخلق العزّ والشمم |
| وترى فيه فخرها | وذرا مجدها الأشمّ |
| وترى الخلق أنّه | لا يساوي سوى العدم |
| بئس والله دولة | للخنا ترفع العلم |
| ولدت امس ميتة | دولة الشر والقرم |
| فاشهدي دفنها غداً | ويك يا هيئة الأمم(٦٠) |

ويصف العدناني ، في قصيدة أخرى نظمها إثر مذبحة دير ياسين(٦١) ، اليهود بأنّهم نفايات وحثالة البرايا وجراثيم وقتلة وذئاب ومدمرون(٦٢) ٠

عام ١٩٤٦ نشر العدناني رواية «في السرير»(٦٣)، وكتب تحت العنوان «قصة واقعية» ٠ وذكر العدناني في مقدمة الرواية أنّ «هذه قصة حقيقية

وقعت لي حوادثها كلّها إبّان مرضي الطويل ، وفيها من الحوادث الطريفة ، وغرائب المصادفات ما يجعلها اقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة» ٠

وينتحل المؤلف شخصية له يسميها طريف ، يسرد القاص ما حدث معه / مع طريف إبان فترة حياته / حياة طريف ، اصيب العدناني / طريف في اثنائها بمرض اضطر ، من اجل معالجته أن ينتقل بين مستشفيات القاهرة وبرلين ٠ وخلال الفترة التي قضاها العدناني / طريف متنقلاً بين القاهرة وبرلين وما بينهما من مدن ، يكون التقى بالعديد من الشخصيات ، ومن بينها عرب وانجليز وبولونيون ورومانيون والمان ويهود ٠ ويذكر ما كان من امره / من امر طريف معها ٠

ويصف السارد / العدناني كيف انه / طريف متحمس لعروبته٠ فهو يغار على العرب ويدافع عنهم ، وله موقف حاد من الأجانب ، ولا تخلو الشخصيات التي يلتقي بها العدناني / طريف من منقصة باستثناء الأستاذ (زاور بروخ) و(مدام وهبه) من الألمان ٠ ولولا هذان الألمانيان الجيدان «لما نجا ، الشعب الألماني كله من حملة طريف الشفوية الشعواء»(٦٤) ٠

ويذكر اليهود غير مرة في الرواية ٠ وكانت المرة الاولى التي يلتقي فيها طريف ، مع يهود يوم ان كان في احدى مستشفيات مصر ٠ وهناك كان من بين المرضى الذين التقى بهم مريض يهودي خالف الآخرين الذين كشفوا عن سواعدهم لحقن ماء الكلس في أوردتها ، حيث كشف عن عجزه ، ويسأله احد المرضى عن سبب ذلك ، فيرد عليه اليهودي دون تردد «لكل امرىء من دهره ما تعودا»(٦٥) وغير خفي ما يرمي إليه المؤلف من وراء ذلك ٠

ولا يعقب طريف نفسه او السارد على اليهود بشيء ٠ ولكنّ السارد حين يقص عن اقامة طريف في المانيا ، يبين لنا اعجاب الطبيب الألماني بطريف الذي قام بالترجمة بينه وبين مريض انجليزي ، ويضيف السارد "مما كان دعاية طيبة لقومه في بلاده شوّه فيها اليهود وانصارهم سمعة العرب بدعايتهم المضللة"(٦٦) ويكرر طريف هذا في اثناء حديثه الى الجرّاح الالماني ، ويتهم هنا الاستعمار اولاً ويصف الصهيونيين بأنهم اذناب للاستعمار(٦٧) ٠

ويعبر العدناني / طريف ، وهو في المانيا ، عن موقف عام من اليهود ٠ وهناك يجاوره مريض اسمه يعقوب ، فيظن طريف انه يهودي ، ولذا يثور ، ويطلب من الممرضة أن تنقله من الغرفة لأنّ فيها يهوديا(٦٨) ٠ ويقول ليعقوب بأن "اسمه يكاد يكون محصوراً بطائفة الطفيليات البشرية ، طاعون الأمم ، طائفة اليهود"(٦٩) وتصف الممرضة الالمانية اليهود بأنهم اعداء الإنسانية(٧٠) ٠

وعندما سمع يعقوب طريفا ، وهو يقول عنه إنه يهودي ، «تموج بلحمه المترهل فوق السرير ، فصال وجال وتراقص شارباه حنقا ، وجحظت حدقتاه غضبا ، وراح يهدد ، دون ان يفهم طريف من أقواله إلاّ أنه تأثر للإهانة التي لحقت به»(٧١) ٠

وقد يكون موقف الممرضة ويعقوب ، من اليهود في حينه ، ممكناً ٠ لقد كان طريف في المانيا عام ١٩٣٨ ، في وقت كان فيه العداء لليهود قد بلغ ذروته ٠ ومع ذلك فلا نستغرب ان يصف طريف اليهود بهذه الصفات وامثالها ٠ لقد كان طريف يصف كل من لا يروق له بصفات مشابهة ، حتى لو كان هذا من العرب الذين اظهر غير مرة افتخاره بهم ٠ ولا تعجب طريفاً اخلاق بعض اصحابه من العرب الذين يزورونه يوم كان مريضا في القدس ، وحين ينصرف هؤلاء يصفهم طريف بأنهم حشرات سامة(٧٢) ٠ ويكرر هذا وهو في مستشفى حلوان في مصر ٠ لقد انفق بعض ماله ، هكذا يقول طريف ، حفاظاً على مكانته الاجتماعية ، وإشباعاً لأطماع بعض من التف حوله(٧٣) ٠

ويلتقي طريف ، وهو على ظهر الباخرة بيهودي يعزز لديه ما قرأه عن صفات اليهود في مسرحية «شكسبير» ٠ ولم يكن عمر هذا اليهودي يتجاوز الخامسة والعشرين ، ومع ذلك فانه يحب امرأة انجليزية يقترب عمرها من الستين عاما ، طمعا في اموالها ٠ وكانت الانجليزية هذه قد احبته لشبابه ٠ ويخبر اليهودي طريفا بانه يعطي المرأة مخدرات ، تتناولها هذه ، حتى يعجل من موتها ٠ ولم ير طريف أية علامة على وجه اليهودي تدل على تبكيته ضميره ، أو اية إمارة للخجل مما اقترفت يداه(٧٤) ٠

يقص السارد كيف انعكست هذه التجربة على طريف كما يلي :

«كان ختام الرحلة مسكاً ، إذ اتاح الله لطريف فيها دراسة النفسية الشيلوكية عن كثب ، كما صوّرها شكسبير ، فرأى ما كدسته الوراثة والعادات من لؤم وخسّة في نفس اليهود ، الذين غضب الله عليهم فشردهم في انحاء الأرض ، وبث في نفوسهم الذعر والقلق»(٧٥) ٠

وفي اثناء رحلة طريف من «كيراكوف» إلى «كونستانزا» ، يلتقي طريف بشخص ما ، يستأنس به ويساعده في الحصول على فندق له ٠ ويستأجر طريف غرفة بسريرين لعدم توفر غرف بسرير واحد ٠ وحين يصحو طريف صباحاً يجد هذا الشخص نائماً في السرير الآخر ٠ ويذهب طريف إلى الحمام ، وحين يفرغ من غسل وجهه ويعود إلى غرفته لا يجد جاره ٠ ويسأل طريف موظف الفندق عن ذلك ، فيخبره هذا أنّ الرجل كان قد أدّعى بأنه سكرتير طريف ٠ ويستفسر موظف الفندق عن الرجل من السائق الذي اقل طريف إلى المكان فيخبره بأن هذا الرجل «يهودي من كونستانزا ، وانه مشهور بالنصب والاحتيال»(٧٦) ٠

ويعقب السارد على ذلك قائلاً :

«فحمد الشاعر الله لأنه جعل المسألة تقتصر على غرامة مالية بسيطة مع أنّ حقائبه كانت حافلة بالهدايا الثمينة» ويتابع «قاتل الله الاحتيال والمحتالين واليهود الملاعين»(٧٧) ٠

ولا يصفه بأكثر من هذا ، وإنما يتفقد «متاعه وجيوبه فوجد أنها لم تنقص شيئاً»(٧٨) ٠

ولا يلتقي طريف في اثناء تنقله بيهودي ايجابي ٠ ولا ندري اصلاً إن كان التقى بنموذج من هذا النوع ولم يكتب عنه ٠ ولكن سير الرواية يوضح لنا أنّ طريف لم يكن ليتردد في ذكر نموذج ايجابي لو التقى به ٠ إنه يفخر بالعرب ، ولكنه حين يلتقي بمصريين سلبيين، يذكر هذا ٠ وهو يتحدث عن سرقات المصريين(٧٩) وانتشار الرشوة بينهم(٨٠) ٠ ويذكر اتصافه بالعنجهية التي هي من صفات العرب(٨١) ٠ وعلى الرغم من انه يمدح العرب

امام غير العرب ، إلاّ انه يؤمن في صميم نفسه بأن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط(٨٢) ٠

ويظهر طريف في الرواية انه يكن الكراهية للأجانب ، ولكنه لا يتوانى عن ذكر صفاتهم الايجابية حين يراها ٠ لقد عاشر الألمان الذين وصفهم غير مرة بالعنجهية والتفوق ٠ ولكنه يذكر اهتمامهم بالنظافة(٨٣) ، ويتحدث عن لطفهم(٨٤) ، وعن مهارتهم في اعمالهم(٨٥) ٠

طبعا فان طريف يعمم ويبالغ ٠ وهو يملك اراء مسبقة عن شعوب ، ولكنه حين يرى نقيض ذلك يكتب عن هذا ، كما انه يعزز اراءه إذا وجدها صحيحة ٠ واللافت للنظر هو ان طريف يمارس نقدا ذاتيا ٠

## ٣٠٢٠١ : الاتجاه الثالث : التمييز بدل التعميم :

يلتقي اسحاق الحسيني ونجاتي صدقي في انهما لا يلجئان إلى التعميم ، ليس في الكتابة عن العرب وحسب ، بل وفي الكتابة عن اليهود ايضا ٠ كلاهما يرى في ان ليس هناك أمّةٌ خيرة ، وثانية شريرة ، وكلاهما يرى ايضا ان الانسان هو محصلة ظروفه ، فاذا ما تغيرت هذه فانه قابل ايضا للتغير ٠ واليهود جزء من البشرية يتأثرون ايضا بظروفهم ٠ انهم ليسوا حالة ثابتة ٠ إنهم يتغيرون بتغير الزمان والمكان وما يلمّ بهذين من تغيرات ٠

ويصور الحسيني في روايته «مذكرات دجاجة» هذا ، وفيه يتحدث عن يهود محليين وآخرين طارئين ٠ وكلا المجموعتين عاشت في بيئة مختلفة ، وبالتالي كان نمط حياتهم مختلفا عن نمط حياة الآخر ٠ لقد فسد اليهود المحليون -هكذا يرى الحسيني- على مرّ العصور ، ولكنهم كانوا ايضا قابلين للاصلاح حين وجدوا من ساعدهم على ذلك وأخذ بيدهم ٠ واضطهد اليهود الطارئون في بلادهم الاصلية ، ثم حملوا الى فلسطين ، وفيها لم يكونوا مستعدين للعيش بسلام مع غيرهم ٠ لقد ارادوا السيادة ، ولعلّ الحسيني يرمز بهذا إلى الحركة الصهيونية التي هدفت إلى انشاء وطن قومي لليهود تقوده

الحركة نفسها ٠

لقد عاش الحسيني في القدس ، هذه المدينة التي شهدت تعايشاً بين ابناء الديانات الثلاثة ، وهي اصلا لم تشهد حالة العداء في شكلها الحاد إلاّ مع بداية الجمعيات الصهيونية في تعزيز نشاطها الهادف إلى إقامة الوطن القومي اليهودي ٠

وعلى الرغم من انّ الرواية "مذكرات دجاجة" كتبت في الأربعينات ، الفترة التي شهدت تأزما في العلاقة بين العرب واليهود، إلاّ أنّ الحسيني يميز بين يهود وآخرين ، ولم يؤثر عليه المناخ السياسي ليوصله إلى درجة يرى فيها فقط الأبيض والاسود ٠

ونجاتي صدقي الذي يذكر اليهود غير مرة ، مستخدما مفردة اعداء في وصفهم ، يصور ايضا نماذج يهودية مختلفة ، نماذج من لحم ودم ، نماذج ليس مفصلة وفقا لأفكار قرأها او عرفها مسبقا ٠ لقد عاش نجاتي صدقي فترة في روسيا ، وهناك درس الأدب الروسي ، وعمل على ترجمة نماذج منه ، ولم يكتف بذلك بل كتب ايضا دراسات عن ابرز اعلامه كتشيخوف وجوركي وبوشكين ٠ ولعله استفاد كثيراً في تصويره لشخوصه القصصية من طريقة هؤلاء في الكتابة القصصية ٠ ونحن نعثر في قصصه على نماذج يهودية متعصبة دينيا ، تمارس الشعائر الدينية فتتعامل بالربا ولا تثق بالنساء ، كما نعثر على نماذج يهودية قدمت من اوروبا تختلف اختلافا كليا عن النماذج الاولى التي انتقاها اغلب الظن من افراد الطائفة اليهودية التي كانت تقيم اساسا في فلسطين قبل بدايات الاستيطان اليهودي المنظم ٠

ونجاتي صدقي ، في هذا ، هو من ابرز الكتّاب الذين لم يسقطوا فكرهم على الواقع ٠ لقد صوّر الواقع كما هو ، لا كما يرغب ان يكون، ولم يكن اسير النمطية والقولبة ٠

ليس غريبا اذن ان نقرأ له -وهو اليسارى النزعة حيث كان عضوا في الحزب الشيوعي الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨- قصة عنوانها «الشيوعي المليونير» ينتقد فيها سلوك بعض الشيوعيين الذين يتناقض فكرهم مع

ممارستهم ٠

## ١٠٣٠٢٠١ : اسحق الحسيني : نماذج ايجابية واخرى سلبية في بيئة واحدة :

نشر اسحق موسى الحسيني(٨٦) عام ١٩٤٣ روايته الوحيدة "مذكرات دجاجة"(٨٧) ٠ معتمدا في ذلك على اسلوب الرمز ، محتذيا اسلوب ابن المقفع في "كليلة ودمنة" ٠ ويرى الحسيني فيها ان ثمة ظواهر ايجابية واخرى سلبية يمكن ان تلتقي في جماعة ما ، في بيئة ما ، وان هذه الظواهر قابلة للتغيير ، فالله لم يمنحها لقوم ما يتوارثونها ، دون غيرهم ، حتى الأبد ٠

وتقص الدجاجة -مستخدمة ضمير المتكلم- قصتها منذ نقلت من الريف ، حيث نشأت ، إلى بيئتها الجديدة ٠ تقص علينا نبذة عن حياتها ، في كنف زوجها الصالح ، وعن ضرائرها ايضا ٠ لقد كانت الدجاجات يعشن بطمأنينة وسلام ولم يعكر عليهن صفو عيشهن ، إلاّ عدوٌ مخيف هبط على ديارهن ، وخاض مع زوجهن صراعا عنيفا ، خرج الزوج ، على إثره ، ظافراً حيث خرج المعتدي خارج الجدار ٠ ولم يمر وقت طويل على هذا الانتصار حتى انتقلت الدجاجات من طور اليقظة إلى طور التخدير ، فقد انتابت الزوج المنتصر حالة ضعف ، لم يستطع بسببها ان يعدّ الدجاجات لمواجهة الخطوب ٠

ويمكن القول ان هذا الصراع الذي دار بين الزوج والخصم ، ليس سوى تعبير رمزي عن الصراع الذي شهدته فلسطين في اثناء فترة الحروب الصليبية، ولعلّ حالة التخدير التي انتابت الدجاج تعبير ايضا عن الحالة التي مرت بها الامة الاسلامية إثر خروجها منتصرة في تلك الحروب ٠

وتقص الدجاجة ، بعد هذا ، بتوسع عن الغرباء الذين جاؤوا إلى هذه الديار، فهناك حديث عن دجاج ذي وجه غريب عاش مع الدجاج دون مشاكل ، ثم هناك العمالقة الذين ظهروا في هذه الديار ، واخيراً هناك الدجاج الغريب الذي حمل إلى هذه الديار حملا ٠ (اليهود السفارديهم - البريطانيون - اليهود الغربيون)٠

لقد رأت الدجاجات في الدجاج الغريب الوجه الذي أمّ المأوى (فلسطين) من بعيد ، مخلوقات ضعيفة لا خطر منها ، وإن كانت دجاجة واحدة قد عبرت عن مشاعرها الرافضة ، فان الدجاجة القاصة ، على النقيض من هذه ، تسعى إلى التعرف على سّر الدجاجة الغريبة وترى فيها

«مخلوقا مثلنا ، نحيل الجسم ، منهوك القوى ، زائغ البصر ، ترتعد فرائضه ارتعاداً شديداً»(٨٩) ٠

وتذهب الدجاجة القاصة إلى الدجاجة الغريبة ، فتحاورها ، وتأخذ بيدها ، وتسير معها إلى ساحتها ، وتستمع إليها وهي تقص عن أسرتها :

«نحن أسرة كبيرة ، كثيرة العيال ، رقيقة الحال ، نبحث عن الطعام فلا نكاد نصل إلى ما يسّد الرمق ، ونحن فوق هذا في قتال دائم ، لا تكاد إحدانا تقع على حبة سمينة ، أو هِنَةٍ رطبة حتى تهجم عليها سائر الأسرة»(٩٠) ٠

وحول سؤال الدجاجة القاصة لها "أهذا دأبكن حياتكن كلها» تجيب :

"نعم ٠ إني ما أعرف طعم النعمة حتى أصفها لك ، وإنّما ذقت ألوان الحرمان والشقاء والفاقة ، واستطيع أن أحدثك عنها أياماً طوالاً»(٩١) ٠

وتصف هذه الدجاجة الغريبة الوجه زوجها قائلة :

«زير نساء ، نهم أكول ، زوجاته كثيرات ، وعياله عديدون كثيرون ، وليس في وسعه أن يدفع عنّا ضيما أو ييسر لنا رزقا"(٩٢) ٠

وأسرتها ، كما ترجح ، "عاشت في الماضي كما تعيش الآن ، ولو كان الفقر طارئا لوجد من يعالجه أو يدفعه بسبيل من السبل ، ولكن الأسرة ألفت الضيق ، ورئمت المذلة ، وتعودت الشقاء"(٩٣) ٠

وهي يائسة ، على أية حال ، من إصلاح وَضْعها ووضع مجتمعها فزميلاتها "مشغولات بالحسد والنفاق والكذب والخداع ، وما يسلم يوم من شرّ يبيّت ، أو مكيدة تنصب"(٩٤) ، وليس من بينهن "من يضحي بنفسه في سبيل غيره"(٩٥) وحول مأواهن "جدار لا يجتازه إلاّ المستميت ، كما يعشن في سجن فيه قسوة المادة التي لا ترحم ولا تلين ، وهنّ ما عرفن المحسن حتى يميزنه من المسيء"(٩٦) ٠

هكذا إذن تصف الدجاجة الغريبة بني قومها : العزلة وحب المادة وإساءة الأقوام الأخرى لها ولقومها ٠

أمّا الدجاجة الساردة فترى خلاف ذلك ٠ إنها ترى ان الجماعة الواحدة تحتوي على الخير والشر معا -هذا هو رأي الحسيني نفسه على أية حال- ٠ ولذلك فهي تحث زميلتها الغريبة على أخذ زمام المبادرة في قومها لإصلاحهن٠ وهذا ما تفعله الدجاجة الغريبة وتنجح فيه ٠ وتتقصى الدجاجة الساردة أخبار زميلتها ذات يوم فتراها وبني قومها "في حلقات يرقصون ، وإذا في وسط حلقة كبيرة صديقتي تغني فرحة ، ومن حَوْلها يردّ عليها"(٩٧) ٠

هذا التصور ، ولا شك ، هو تصوّر الكاتب لليهود الذين عاشوا في فلسطين قبل بداية الاستيطان الصهيوني فيها ٠

تلتقي الدجاجة الساردة وزميلاتها ، ذات يوم ، بـ "مخلوقات غريبة عنّا"(٩٨) ، تعمل على احتلال مكان الدجاج المحلي -رمز عرب فلسطين- وتسأل الدجاجة القاصة القادمات عن سبب ذلك ، فترد عليها انثى "لا تجزعي أيتها الأخت ٠ نحن مخلوقات مثلكم حملنا إلى هذا المأوى ، ولم نعرف أين نحمل ؟" فتسألها : "أهاربات من ضيم وعذاب أنتن ؟" وتجيبها "لا ٠ إنّما حملنا إليكم من بيوتنا"(٩٩) ٠

ولا يخفى هنا أن هذا الدجاج يرمز إلى اليهود الذين اقنعتهم الصهيونية ، بل وعملت أيضا ، بالهجرة إلى فلسطين ٠

تصف الدجاجة الساردة حياة القادمات الجدد وهي ترقبهن على النحو التالي: «فاذا خلاف يدب بينهن ، فهذه تستسمن حبة فما تكاد تصل إليها حتى تقفز إليها أخرى محاولة أن تنتزعها من فمها ٠ وإذا الكبيرات منهن يضربن الصغيرات ، ويمنعهن من التماس غذائهن»(١٠٠) ٠

وينفجر الصراع بين الدجاج المحلي والدجاج الطارىء ، ويكون سبب ذلك محاولة دجاجة من الطارىء الاستئثار بالمكان الذي تخيله زعيم الدجاج المحلي٠ وحين يحاول هذا الاخير اقناع الدجاجة باخلاء مكانه ، ترفض ذلك ٠

«فتأثر الزعيم من غلْطتها ، ولكنه تأدب وقال : لست أبخل عليك بمكاني ، ولكنّي كنت أحبّ أن تتلطفي معي بالكلام · فصاحت قائلة: ولمَ اتلطف بالكلام ؟ أيجرؤ صغير مثلك أن يمتنع عن تلبية طلبي»(١٠١) ·

لقد لاحظت ان المكان يلائم صحتها ، وهي عدا ذلك "أكبر من هذا الفتى سنا ، واسمى منه مقاما ، واشد منه قوة وبطشا"(١٠٢) ·

وتحاول الدجاجة القاصة أن تقنع المحتلة بالتنازل عن المكان حتى الغد ، فترفض المحتلة هذا و"دفعت الزعيم بعنف ، واستقرت حيث تريد"(١٠٣) ·

ازاء ذلك يرىالزعيم أن ليس هناك من بديل سوى العمل على طرد الاسرة الطارئة ، ويوافقه باقي الدجاج على ذلك ، إلاّ الدجاجة القاصة التي ترى ان العنف لا يحل مشكلة، وتقترح هذه -والحسيني يختفي خلفها- على زميلاتها ان ينتشرن في الأرض ، وينشرن الخلق بالخضوع للحق وحده ، وان يقنعن الباغي بأن بغيه يرديه ، وبذلك يحللن قضية عامة ، قضيتهن جزء منها · وتنجح الدجاجة القاصة في اقناعهن(١٠٤) ·

ويتضح من هذا ان الحسيني يميز بين دجاج وآخر ، ويرى أن الفاسد منه قابل للإصلاح ، إذا وجد من يقوم بذلك · ويرى أيضاً أن الخير والشر يمكن أن يكونا في البيئة الواحدة ، وهو ما تعبر عنه الدجاجة القاصة بوضوح حين تقول: "فلست أعرف بيئة خلت من أثر من أثار الطبائع البشرية ، أو لون من ألوان المساويء الاجتماعية"(١٠٥) ·

وهذه تذكر أيضاً أن من زميلاتها أصلا من يتصف بصفات الحسد والغيرة· ولا شك أن الدجاجة الطارئة التي حاولت الاستئثار بالمكان، ما هي إلاّ رمز لليهود الأوروبيين الذين هاجروا إلى فلسطين لاستيطانها · ويرمز العمالقة ، في النص، أيضا إلى البريطانيين الذين انتدبوا فلسطين ، وكانت صورتهم سلبية جدا · وما هو جدير بالملاحظة · هو إقتراح الحل الذي رأته الدجاجة القاصة : بدلا من اليهود ، يجب على الفلسطينيين الآن أن يذهبوا إلى المنافي لكي ينشروا الفضيلة بين الآخرين ·

## ٢٠٣٠٢٠١ : نجاتي صدقي : تصوير نماذج فردية :

كتب نجاتي صدقي(١٠٦) بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨ أربع قصص قصيرة ، نشرت مع قصص أخرى ضمن مجموعة "الأخوات الحزينات" ٠ وتظهر في هذه المجموعة شخصيات يهودية ، يصور صدقي جانبا من حياتها ٠ ويذكرهم القاص أحيانا كأعداء ، ويصورهم أحياناً أخرى أفراداً لهم حياتهم الخاصة ٠

ويظهر اليهود في قصتين من هذه القصص دون أن تكون لهم ملامح خاصة مميزة ٠ لقد وصفهم في قصته "حياة بلابسي"(١٠٧) جيران يخشاهم المرء ، ووصفهم بأنهم مجرمون لا يرحمون الجرحى ٠

وتختلف القصة الثانية ، وهي قصة "معركة صبيان"(١٠٨) (١٩٤٨) عن الأولى في أنها تظهر صورة مجسدة لضابط يهودي يلقي القبض على الأطفال العرب الذين يتعرضون للقوافل اليهودية المارة عبر القدس ٠

وعلى الرغم من واقع الحرب بين العرب واليهود ، فان الضابط يكتفي باعتقال موسى ، الطفل العربي ، ويضعه في مصفحة ، ويسير به متجها نحو الاحياء اليهودية ، مهدداً الطفل بفرك أذنه ، قائلا له : "إذا عدت إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال قبضت عليك ثانية وأنزلتك في هذه الأحياء"(١٠٩) ٠ ويعيد الضابط الطفل إلى المكان الذي أخذه منه ٠ ولا شك في أنّ هذه الصورة للضابط ذات دلالة مهمة ، وبخاصة في تلك الفترة ، حيث كانت الاجواء بين العرب واليهود متوترة ، وهذا ما تشير إليه القصة أيضا ٠

تتجسد صورة اليهود أكثر ، وبوضوح ، في قصتين هما "شمعون بوزاجلو" و"أيّام من العمر" ٠

ويختار نجاتي صدقي في قصة "شمعون بزاجلو" شخصية يهودية تنتمي إلى جماعة الحاسيد المعروفين بتعصبهم الديني ٠ وحين يصوره القاص ، يصوره يهوديا ينتمي إلى فئة دينية معينة تمثل شريحة من شرائح المجتمع

اليهودي ٠

وخلافا لهذا فان نجاتي صدقي يصور في قصة "أيام من العمر" امرأة يهودية حديثة الهجرة إلى فلسطين ، تمثل في ثقافتها ونمط حياتها الثقافة الأوروبية(١١٠) ٠

يقيم شمعون بوزاجلو في حي يهودي فقير ، تنبعث منه روائح كريهة ، فالمجاري تمتد على وجه الارض ٠ ويظهر هذا الحي هادئاً مسالماً لا يعرف شيئا من مشاكل الدنيا التي تعرفها الأحياء الأخرى المتكالبة على الماديات ، كما يظهر أن سكانه قانعون في حياتهم ، مكتفون بالعادات ، راضون بما يقتاتون مما تصنعه ايديهم وتنتجه مواهبهم(١١١)

غير أن حقيقة الشخوص التي ترد في القصة تناقض هذا الوصف٠ وربّما لهذا استخدم السارد لفظة و "يظهر" ، وكررها مرتين٠ فشمعون بوزاجلو أحد سكان هذا الحي يجمع المال بطريقة غير مقبولة مع أنه يملكه ٠ وهو يقوم بالعبادات ،ويتبع تعاليم الديانة اليهودية فيما يخص الطعام ، ويشهد له أهل الحي بأنه "رجل وقور ، طيب القلب ، هادىء الطبع ، لا ينقطع عن أداء فروض الصلاة في أيّام السبت"(١١٢) ٠ وهو من اصحاب الأملاك ومراب معروف يفضل إقراض الغوييم بفوائد متقلبة ٠ ولكن ما يحير اهل الحي حقا ، هو أنه يرتدي الملابس البالية ويتجه نحو المدينة ، دون أن يعرف أحد سّر ذلك ٠ ومع أنه اقترب من الخمسين إلا أنه لم يتزوج ، وذلك يعود إلى أنه "يخشى النساء ويمقتهن ، إذ هنّ في معتقده ماديات عنيدات انانيات ، لا يؤتمنّ على سر، و من طبيعتهن الغطرسة التي لا تحدّ بحدٍ ازاء من يتزلف لهنّ من الرجال او المسكنة التي لا تقاس بمقياس ، إذا ما وقعن في أسر الرجال ذوي الإرادة القوية"(١١٤) ٠

ويحثّ هذا الغموض في شخصيته ، وهذا الموقف من النساء ، يحث امرأة يهودية (سمحة) ، وهي "امرأة عليمة بنصب الشباك والمصائد" على تتبع أخباره، والعمل من اجل الايقاع به وتزويجه من ابنتها (روبابيكا) ، وتنجح في ذلك٠

ولا يصارح شمعون زوجته في أموره ، فهو يختفي أياماً دون أن تعلم ، هي أو أمها ، من أمره شيئا • وتتقصيا ، ذات يوم ، أثره فتعثرا عليه يتسول • وتنتهي القصة بالفقرة التالية :

"وقرأ الناس في الصحف يوما هذا الخبر الغريب : لزم شيخ يهودي موقف السيارات منذ اسبوع ، وقد اسدل قبعته على عينيه وأذنيه ، وكان يستعطف المارة ، ويستدر شفقتهم بعبارات تفتت الأكباد ، وتجمع الناس امس حول هذا الفقير ليشاهدوا أمرأتين تتقدمانه وتأخذانه بخناقه وتجرانه عنوةً ، وهو يقاوم ويستغيث"(١١٥) •

إن الشخصية الرئيسة في القصة هي شخصية المرابي الشحاذ ، والمرأة اليهودية تبدو في القصة عليمة بنصب الشباك والمصائد • ولكن القصة تظهر أيضا ان القاص لا يلجأ إلى التعميم •

إن شمعون فرد من مجموعة ، والمجموعة بدورها واحدة من مجموعات تنتمي إلى اليهودية ، بل إن افراد المجموعة نفسها يحتارون في أمر شمعون ، وحتى ان سمحة وروبابيكا اللتين تلجآن إلى اسلوب الخداع ترفضان ما يقوم به من تسول ، وتجرانه عنوة • وحين يصف السارد اسلوب سمحة في الاحتيال لا يفعل ذلك لكونها يهودية ، بل يقول إنها تلجأ إلى سلطان المرأة • وبالتالي فان سلوكها سلوك امرأة ، أية أمرأة ، بغض النظر عن دينها •

ويختار الكاتب في قصة "أيام من العمر" امرأة اوروبية بطلة لقصته • ولا يصف (ريتا) وزوجها (وولف) على أنهما يهوديان • إنه يصورهما مهاجرين يمثلان الحضارة الأوروبية • وحين تدرس القصة ضمن المعطيات التاريخية التي مرت بها فلسطين في تلك الفترة فان المرء ، على أية حال ، يذهب إلى انهما يهوديان(١١٦) •

يقص السارد ، في هذه القصة ، حدثا ليس بمستغرب ، وهو -أي السارد- لا يهدف ، من وراء قصته ، إلى تعليم الآخرين • إنه يقص ويترك للقارىء اتخاذ موقف ما من هذه الشخصية أو تلك • وبالتالي فان القارىء لا يتعاطف ، في هذه القصة ، مع ماجد الشخصية العربية، كما لا ينقم أيضا على ريتا التي تعمل

على استغلاله ٠

وماجد العربي يكتب العرائض ، إنه أكبر إخوته سنا ، ولقد تأخر في الزواج ، وهو الآن يفكر فيه ، غير أنه يريد فتاة لا تحب الماديات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، لايريد أن تكون الفتاة التي يوّد الاقتران بها صغيرة سنا ، فهذا قد يسبب له ، وهو الرجل الكبير ، المشاكل ٠

امّا ريتا السيدة الأجنبية التي هاجرت مع زوجها وطفلتها إلى فلسطين قادمة من المانيا ، فتلتقي بماجد ، وتطلب منه أن يكتب لها عريضة حتى تقدم إلى الحاكم املاً في ان يوقف الأخير امر الحبس الصادر بحقها نتيجة لتراكم الديون عليها ، ذلك أن النقود التي تحصل عليها لا تكفيها وطفلتها في اثناء غياب زوجها الذي خرج متطوعاً ليحارب في صفوف الجيش البريطاني ٠

وتتطور العلاقة بين ماجد وريتا ، ويصارح كل منهما الآخر بما يكمن في نفسه ، ويتفقان على أن يقيما معا ، إذا وافق ماجد على أن ينتقل من غرفته ويستأجر سكناً جديد ، وهو ما يفعله ماجد ٠ وهنا تبدأ ريتا باستغلاله ٠

في البداية تنظر في اشيائه القديمة فتأخذ ما راق لها منها ، وتقذف ما لم يرق لها ٠ وتستمر في استغلاله ، فتكثر طلباتها ، وتدعو زميلاتها وزملاءها إلى حفلة رأس السنة ، ويكون ماجد وحده قد تكفل بالنفقات ٠ يوازي هذا الاستغلال استغلال جنسي ، وحين تكون ريتا مع ماجد في الفراش تندفع الى مائدة الشهوة البهيمية ، كما لو أنّ فيها مساً ٠

ينفذ ماجد لريتا طلباتها كلها ، ويتحمل الإهانة في سبيلها ، فقد رأى أنّ جمالها يكمن في قلبها لا في وجهها وحسب ٠

ولا ينغص عليهما حياتهما هذه إلاّ عودة زوجها إليها ، ليقيم الثلاثة والطفلة في البيت نفسه ٠ ومع أنّ ريتا تقترح ، اساساً ، على ماجد أن يظل مقيما معها ، إلاّ أنها تبدأ بتفضيل زوجها على صديقها ، فهي تخصه بوجبات الطعام ، وهذا يدفع ماجد إلى الثورة ، فيتصارع مع الزوج ، ثم يذهب إلى الشرطة ليقدم ريتا وزوجها إلى المحكمة بحجة أنهما سرقاه ، ٠ أمّا وولف فيزعم أنّ ماجداً حاول الاعتداء على شرف زوجته ، وحين يخرج ماجد من البيت ، ينادي

وولف عليه بالالمانية قائلا : "*Majed , du bist ain Grosser aisel*"(١١٧) أي يا ماجد ، إنك لحمار كبير ٠

إن ريتا وزوجها نموذج لليهودي الغربي ، ويصور القاص ريتا على أنها نموذج للمرأة الغربية ، لا على انها نموذج للمرأة اليهودية ، وهي وان كانت في بعض سلوكها -وبخاصة وصفها بالاحتيال- لا تختلف عن صورة المرأة اليهودية إلاّ أنّ المرء لا يستطيع القول إنّ هذا التشابه يعود لكونها يهودية ٠

وأهم ما في القصة هو أنّ ماجد شخصية بسيطة ، لا يتعاطف معها بقدر ما يشفق عليها ، وماجد ليس صاحب موقف رافض لنمط الحياة الغربية او حتى لليهود الغربيين ٠ وهو قد قبل العيش مع ريتا ومع زوجها ، وما كان ليثور لو لم تهتم ريتا بزوجها ، او لو كان زوجها يشارك في نفقات البيت ٠

وليس لريتا او زوجها ، في القصة ، آراء او مواقف مسبقة من ماجد لكونه عربيا ، وهي وإن طلبت منه أن يقلد الحيوان في ليلة رأس السنة ، فانما كان ذلك للدعابة ٠ لقد عاشت ريتا معه في مسكن واحد ، وهذا له دلالته ٠

ويكتفي السارد بسرد الحدث دون أن يعقب عليه ، فجل قصده تصوير حادثة ممكنة الحدوث ٠ وهنا يمكن القول : إن نجاتي صدقي كان ابرز كاتب في زمنه ، صوّر الواقع كما هو ، دون أن يسقط اراء مسبقة عليه ، او حتى دون أن يصوره كما يرغب هو في أن يكون ٠

## هوامش الفصل الأول

١- حتى عام ١٨٨٢ كان يقيم في فلسطين ٢٤ ألف يهودي · ارتفع عددهم بين عامي ١٨٨٨-١٩١٤ إلى ٧١ ألفا واسس في هذه الأثناء ٢٦ مستوطنة · (*Bunzl , 17*) · وكان اليهود يقيمون في مدن القدس والخليل وصفد ونابلس وطبرية (*Parfitt , 11-88*) ·

٢- *Alwan , 36ff + Altoma , 60ff* .

٣- *Alwan , 47* .

٤- *Alwan , 51 + Haim , 307* .

٥- انظر *Bunzl , 17* .

٦- الكيالي ، ٤٠ · هنا نذكر ان هناك مسيحيين ايضا اخفوا يهوداً في بيوتهم · وعلى سبيل المثال فقد أخفى خليل السكاكيني ، في نهاية الحكم العثماني تقريبا ، يهوديا امريكيا مما سبب له بعض المشاكل · ويذكر السكاكيني هذا في كتابه "كذا أنا يا دنيا" (انظر مجلة لقاء ، عدد ٤-٥ ، خريف ١٩٨٦ · ص٩٤-١٠١) ·

٧- الكيالي ، ٤٠ وما بعدها ·

٨- نجيب نصار : (١٨٦٢-١٩٤٨) :

مسيحي من أصل لبناني ، درس في سوق الغرب حتى الشهادة الثانوية ، ثم ذهب إلى صفد للتدرب في صيدلية أخيه ، ثم عمل في طبرية كمساعد صيدلي ، واشترى بعد ذلك عدة افدنة وعمل بالزراعة · اصدر في حيفا مجلة "الكرمل" بين عام ١٩٠٩-١٩١٤ (قاسمية ، ١٠٣) · ويذهب بعض الدارسين إلى أنّ الكتابة عن اليهود في العالم العربي كانت ، في جانب منها ، متأثرة بحالة العداء التي كانت سائدة في أوروبا في ١٨٩٠ ، وان المسيحيين العرب الذين أخذوا ينافسون اليهود في التجارة مع اوروبا كانوا أول من بدأ الكتابة ضد اليهود ، او ترجمة ما كتب في أوروبا ضدهم (*Haim , 308 + Lewis : Juden , 165*) ·

٩- قاسمية ، ١٠٧ ·

١٠- غنيم ، ٢٢٨ ·

١١- نفسه ، ٢٢٨ ·

١٢- كانت نسبة السكان اليهود عام ١٩٣١ ١٧٪ من مجموع السكان ، وتضاعف عددهم عام ١٩٤٠ (انظر *Bunzl , 71 + Ansprenger , 292*) ·

١٣- انظر *Bunzl , 24-34* ·

١٤- من هؤلاء عبد الرحيم محمود ، عبد الخالق مطلق ، ومحمود سيف الدين الايراني ·

١٥- المناصرة ، ٢٦٧ ·

١٦- يلحظ هذا في رواية العدناني "في السرير" ص١٤٢ ، وفي مقدمة العبوشي لمسرحية "وطن الشهيد" ·

١٧- نشر النص في جريدة فلسطين بتاريخ ١٩١٣/١١/٢٧ · وكان الفاروقي قد نشر قبل ذلك قصيدة اثر المؤتمر الصهيوني المنعقد في بازل ١٩١٢ ، حذر فيها العرب من الخطر الصهيوني · ولم يأت في القصيدة هذه على ذكر اليهود او الصهيونية · انظر العودات ٥٠٤ + *Wild : Judentum , 265 + Peled , 163* , ·

١٨- سليمان التاجي الفاروقي : (١٨٨٢ - ١٩٥٨) :

ولد في الرملة ، وفقد بصره وهو في التاسعة من عمره · حفظ القرآن الكريم قبل ان يبلغ العاشرة · درس في الأزهر تسع سنين ، ثم عاد إلى فلسطين ، وغادرها الى الأستانة ليدرس المحاماة· اصدر في فلسطين جريدة الجامعة الاسلامية ١٩٣٢ · هاجر عام ١٩٤٨ إلى الأردن ، وهناك عاود إصدار جريدته ، ولكن السلطات الأردنية أوقفت ، كما فعلت السلطات البريطانية سابقاً ، الجريدة · (ابو حمد ، ١٩٣) ·

١٩- حول هذه القصيدة انظر *Wild : Judentum* ٠

٢٠- في رواية العدناني "في السرير" يلتقي طريف بطل الرواية بشخوص من يهود وهو في مصر ، وأيضا وهو على ظهر السفينة التي تقله إلى اوروبا ٠

٢١- ورد ذكر اليهود في القرآن في العديد من السور ومنها :

البقرة : الآيات ٤٠-٤٧ / ٥١-٥٤ / ٦٠-٦١/ ٧٨ ، ٩٦ ، ١٢٢ ٠

آل عمران : الآيات ٥٢-٥٤ / ١١٠-١١٢ ٠

النساء : الآيات ٤٦-٤٧ / ١٥٣-١٥٦ / ١٦٠-١٦٢ ٠

المائدة : الآيات ١٢-١٣ / ٦٠-٧١ / ٧٨-٨٢ / ١١٠ ٠

الحشر : الآية ٢ ٠

٢٢- كتب محمد عزة دروزة عام ١٩٣٤ نصا مسرحيا تحت عنوان "الفلاح والسمسار" ، يصور فيه الفتيات اليهوديات وهن يغرين الشباب العرب حتى يسلبوهم اموالهم التي حصلوا عليها بعد بيع أرضهم ٠ والنص غير متوفر حتى للكاتب نفسه (السعافين ، ٩٦) ٠

ويذكر دروزة في كتابه "تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم" (ج١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص٥٢) قصة ابراهيم وهو في مصر ٠ وحول القصة نفسها انظر : س ٠ ناجي ، المفسدون في الأرض ، دمشق ١٩٦٥ ، ص٦٢ و ٦٨ ٠

والشيء نلحظه لدى ابراهيم طوقان في قصيدته التي ردّ فيها على رئوبين الشاعر اليهودي حيث يعير اليهود باخلاقهم الذميمة الي ورد وصفها في العهد القديم ٠ (طوقان ٠ أ : ط١ ١٩٧٥ ص ٧٨) ٠

٢٣- يذكر محمد العدناني في روايته "في السرير" مسرحية شكسبير "تاجر البندقية" وشايلوك بالتحديد ٠ (العدناني ، ١٤٣) والشيء نفسه يفعله طوقان في قصيدته «في الرد على رئوبين» (انظر هامش ٥١ من هذا الفصل) ٠

٢٤- نادراً ما وصف الشكل الخارجي لليهود ٠ ووصف كهذا نعثر عليه في رواية بيدس "الوارث" وفي رواية العدناني ، وبايجاز ايضا في قصة نجاتي صدقي "أيام من العمر" ٠

٢٥- وديع البستاني : (١٨٨٦-١٩٥٤) :

ولد في ضبية ، قرية لبنانية في الشوف ٠ درس في الجامعة الاميركية في بيروت ، وعمل مترجما في القنصلية البريطانية في اليمن ٠ اقام سنوات في الهند وجنوب افريقيا موظفا في الادارة الانجليزية ٠ درس المحاماة وعمل موظفا في إدارة الانتداب في القدس ١٩١٧ ٠

واسس عام ١٩٢٣ الجمعيات الاسلامية المسيحية ٠ كان عضو الوفد العربي الثالث الذاهب إلى لندن ٠ ترجم كتبا من الانجليزية إلى العربية ، كما ترجم من الفارسية رباعيات الخيام ٠ جمعت قصائده في ديوان الفلسطينيات (بيروت ١٩٤٦) ٠ وتوفي في لبنان بتارخ ١٩٥٤/١/٢٠ ٠ (بتصرف عن , *Wild : Judentum* *268*) ٠

٢٦- البستاني ، ٨٥ ٠

٢٧- نفسه ، ٨٥ ٠ وحول قول الشاعر "وعليكم بقي الذل مقيما" انظر القرآن ١١٢/٣ (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ٠٠٠) ٠ ونعت الشاعر عبد الكريم الكرمي اليهود بهذه الصفة في قوله :

"وأذلهم وعد اليهود ولا أذل من اليهود" ٠

(انظر المناصرة ، ٢٦٧) ٠

٢٨- البستاني ، ١٠٥ ٠

٢٩- نفسه ، ٩٨ ٠

٣٠- نفسه ، ١٨٢ ٠

٣١- خليل بيدس ، (١٨٧٤-١٩٤٩) ولد في الناصرة ، وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الارثوذكسية هناك ، وهناك أيضا درس في المدرسة الروسية بين عامي ٨٦-١٨٩٢ ، وتخرج فيها ليتولى إدارة المدارس الروسية الابتدائية في انحاء سوريا وفلسطين • أصدر مجلة "النفائس" التي كان لها صدى بعيد في العالم العربي المعاصر بين عام ٠٨-١٩٢٤ • عمل مدرساً في القدس حتى عام ١٩٤٥ • وغادر القدس عام ١٩٤٨ ليقيم في بيروت ، وهناك توفي ١٩٤٩ • ألف وترجم الكثير ، ومن قصصه مجموعة بعنوان "مسارح الأذهان" (أبو حمد ١٥١ وما بعدها) •

٣٢- الأسد ، ٦٤-٧٨ •

٣٣- لا يتفق الدارسون فيما اذا كان بيدس متأثراً بالاوضاع السياسية السائدة في فلسطين حين كتب الرواية التي تدور احداثها في مصر • الدكتور الأسد يرى ان القاص لم يختر موضوعه من البيئة المحلية (الأسد ، ص٧٤) وفاروق وادي يذهب الى ان بيدس لم ير الصهيونية باطماعها الاستيطانية ، وانما رآها بنمطها التقليدي ، الشيلوكي (وادي : ثلاث ، ٢٢) والدكتور السعافين رأى ان بيدس اراد ان يعبر عن مواقف معينة من اليهود في فلسطين (السعافين ، ٢٥) •

٣٤- الأسد ، ٧٢ •

٣٥- نفسه ، ٦٧ •

٣٦- نفسه ، ٧٠ •

٣٧- يعقب الدكتور الاسد على لغة بيدس قائلا ان بيدس على الرغم من تحرره من الاغلال التي كانت تقيد أسلوب الكتابة في زمنه ، فانه كان يستخدم عبارات امحت دلالاتها لكثرة تكرارها ، من ذلك وصفه لاستير • (الأسد ، ٧٧) •

٣٨- *Lewis Juden , 461* •

٣٩- وصف اليهود في بعض الروايات العربية بهذا • انظر رواية احسان عبد القدوس "انا حرة" (ط٢ بيروت ٠د٠ت ، ٥٩-٦٣) وانظر رواية نجيب محفوظ "زقاق المدق" (ط القاهرة ١٩٤٧ ، ٣٠) •

٤٠- ابراهيم طوقان : (١٩٠٥-١٩٤١) :

ولد في نابلس ، ودرس في مدارسها ثم توجه إلى بيروت ، ودرس هناك في الجامعةالامريكية ، حيث درس الأدب واللغة العربية ، ثم عاد إلى فلسطين وعمل في اذاعتها لمدة خمس سنوات ، سافر بعدها الى بغداد وعمل هناك مدرسا • له ديوان مطبوع (ابو حمد ، ١٥) •

٤١- القصيدة موجودة في طبعة دار القدس ص٧٨ (بيروت ١٩٧٥) • ولم تظهر في طبعة (دار المحتسب - القدس) التي اعتمدت على طبعة دار شروق في بيروت • واعتمد ، باستثناء هذه القصيدة ، على طبعة دار المحتسب •

٤٢- *Alwan , 48* •

٤٣- نفسه ، ٤٨ •

٤٤- القصيدة كما نشرت في الصحيفة غير متوفرة لي • انظر ملاحظة ٤١ •

٤٥- عندما يصف العرب شخصا بالوفاء يقول اوفى من السمؤال • حول قصة السمؤال انظر الاغاني ج٢٢ ، بيروت، ص١١٦-١٢١ (نسخة مصورة عن طبعة القاهرة ١٩٦٣) •

٤٦- المحاسني ، ٥٨ • وهناك نشر النص كاملاً •

٤٧- نفسه ، ٥٩ •

٤٨- طوقان ، أ : ٧٨-٨٠ (ط بيروت) •

٤٩- نفسه ، ١٦٦ (ط دار المحتسب) وانظر ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ •

٥٠- نفسه ، ٣٢ ٠

٥١- يذكر طوقان اليهود بأنّ فرعون سامهم العذاب (القرآن ٤٩/٢) وانهم كفروا بنعمة الله حتى ضاق بهم نبيهم موسى (القرآن ٦١/٢) ، وانهم يتعاملون بالربا (القرآن ١٦٢/٤) ، وأنهم يغدرون في أيام السبت المخصص للعبادة (القرآن ٢/ ٦٥) ٠ ويذكرهم بتيههم في الصحراء (القرآن ٢٦/٥) ٠

ويذكر شكسبير وشايلوك ، وليس غريبا ان يكون طوقان قد اطلع على تاجر البندقية ٠ وعرضت المسرحية في القدس سنة ١٩١٤ ٠ (السعافين ، ٩٠ ملاحظة ٢) ٠

٥٢- طوقان ٠ أ : ٧٩ ، ٨٥ ٠

٥٣- برهان الدين العبوشي ، ولد عام ١٩١١ ٠ من جنين ، كاتب وشاعر عرف بمواقفه الوطنية ٠ تعرض لملاحقة الانجليز ٠ صدر له : وطن الشهيد ، شبح الأندلس ، عرب القادسية ، وديوان جبل النار ، وديوان النيازك ٠ (أبو حمد ١٠٦ ، العودات ٤٣٠ وما بعدها) ٠

٥٤- العبوشي ، من المقدمة وهي دون ترقيم ٠

٥٥- نفسه ٠

٥٦- الشاعر هو اسكند الخوري البيتجالي ٠ ولم يتوفر لي ديوانه ٠ وفي ترجمة حياته كتب العودات : "اتسمت فلسطين في كافة عهودها بالحشمة والقداسة والوقار ، وما عرفت العري و الشعور المقصوصة إلا في عهد الانتداب البريطاني ، فانقلبت موازين الوقار ، واختلت مقاييس الحشمة وخرجت فتيات اليهود بأزياء نابية تسيء إلى قدسية فلسطين ، وتشيع الرجس والفساد بين الشباب العرب ٠ هالت هذه الظاهرة المستوردة كل عربي شريف واشاعت الفزع والتساؤل في نفس شاعرنا فقال :

بارزات النهود حمر الخدود — عاريات الصدور ضمر القدود ٠
يتخطون في الشوارع تيها — بحلى من اساور وعقود ٠

(العودات ، ٦٤ وما بعدها) ٠

٥٧- العبوشي ، ٤٨ وما بعدها ٠

٥٨- نفسه ، ٣١ ٠

٥٩- محمد العدناني : (١٩٠٢-١٩٨١ ؟) : ولد في جنين ودرس في مدارسها ومدارس غزة وطولكرم ، ثم في مدرسة الفنون في صيدا ، ثم في الجامعة الاميركية في بيروت ٠ درس الطب لمدة عامين ثم عدل عنه ليدرس الآداب ٠ تخرج سنة ١٩٢٧ ، وسافر الى العراق والتحق بدار المعلمين العليا ، ثم عاد إلى فلسطين وعمل مدرسا في كلية النجاح الوطنية ٢١-١٩٢٢ ٠ ودرس في القدس ٩ سنوات ٠ اعتقلته السلطات البريطانية ثلاث مرات ، ونفته الى يافا ، ومكث فيها خمسة سنوات ٠ عام ١٩٤٨ غادر إلى الأردن ثم الى دمشق وعلم بالجامعة السورية ثم سافر الى لبنان عام ١٩٦٤ مديرا لكلية المقاصد الاسلامية ، و اعتزاز بعروبته غير اسمه من خورشيد إلى محمد (ابو حمد ، ٣٧٤) ٠

٦٠- السوافيري ، ٤٤٦ ٠

٦١- قرية قتل أهلوها عام ١٩٤٨ ودمرت ٠

٦٢- السوافيري ، ٤٤٦ ٠

٦٣- اعتمد هنا على ط٢ التي فيها التغييرات ٠ وصدرت هذه الطبعة في حلب ١٩٥٢ ٠ وعلى سبيل المثال فانّ ما ورد في الطبعة الاولى "لانه يظنك من الجماعة" (١٣٨) ورد في ط٢ "لانه يظنك من اليهود اعداء الانسانية" (١٤٤) ٠ وقارن بين صفحات الطبعة الاولى ١٢٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ بالصفحات ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٦٥ و١٨٠ من الطبعة الثانية ٠

٦٤- العدناني ، ١٧٨ ٠

٦٥- نفسه ، ٥١ ٠

٦٦- نفسه ، ١٢٠ ٠

٦٧- نفسه ، ١٤٢ ٠

٦٨- لا يوضح السارد موقف طريف بالضبط ٠ فهل قصد طريف ان يجاري الألمان ، في حينه ، في موقفهم من اليهود؟ إن طريفا يقابل يهوداً آخرين ، ولم يكن له نفس الموقف ضدهم ٠

٦٩- نفسه ، ١٤٣ ٠

٧٠- نفسه ، ١٤٣ ٠

٧١- نفسه ، ١٤٣ ٠

٧٢- نفسه ، ١٢ ٠

٧٣- نفسه ، ٦٩ ٠

٧٤- نفسه ، ١٦٥ ٠

٧٥- نفسه ، ١٦٤ ٠ وهنا ايضا نثير تساؤلا : لو لم يقرأ طريف "تاجر البندقية" اكان من الممكن ان يعمم القول ؟ ٠ ان طريف يلتقي بالعديد من الشخصيات العربية والاجنبية التي تحب المال ، وفي مواطن عديدة يعزو ذلك إلى طبيعة العصر (٩٧) ، ولكنه يقصر ذلك على الغرب في مواطن أخرى (١٦٩ وما بعدها) ٠

٧٦- نفسه ، ١٨٠ ٠

٧٧- نفسه ، ١٨٠ ٠

٧٨- نفسه ، ١٧٩ ٠

٧٩- نفسه ، ٦٦ و ١٠١ ٠

٨٠- نفسه ، ٦٧ ٠

٨١- نفسه ، ١١٦ ٠

٨٢- نفسه ، ١٤٧ ٠

٨٣- نفسه ، ١١٨ ٠

٨٤- نفسه ، ١٧٦ ٠

٨٥- نفسه ، ١٣٦ ٠

٨٦- اسحق موسى الحسيني : ولد في القدس ، ودرس في الصلاحية ٠ التحق عام ١٩٢٢ بالكلية الانجليزية ، وانتسب عام ١٩٢٧ إلى جامعة القاهرة ، وقضى اربع سنوات في كلية الأداب ، وحصل على البكالوريوس عام ١٩٣٠ ٠ سافر إلى لندن ، وانتسب الى جامعتها ودرس الأداب واللغات السامية عام ١٩٣٤ ، وعاد الى البلاد يحمل شهادة الدكتوراة ٠ عين استاذا في الكلية العربية ، وفي عام ١٩٤٦ ، عين مفتشا للغة العربية ، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٨ ، حيث نزح الى حلب ٠ في سنة ١٩٤٩ كان في بيروت استاذا للأدب العربي في الجامعة الاميركية ٠ وعمل استاذا في جامعة (ماكجيل) في كندا ٠ تولى عام ١٩٥٥ تدريس الأدب العربي في الجامعة الاميركية وفي معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٥ ٠ احيل عام ١٩٦٧ على التقاعد من الجامعة الاميركية (أبو حمد ، ٨٤ وما بعدها) ٠

٨٧- اعتمد على ط ١٩٨١ (القدس) ٠

٨٨- يذكر مؤلف الرواية أن "عنصر الخيال فيها ضئيل ، وهو لا يعدو ان يكون تعليقا على هامش الحياة او تحليقا في عالم المثل العليا" (الحسيني ، ص٩) ٠ ويذهب كثير من الدارسين إلى أنّ النص رمزي ومن هؤلاء طه حسين في المقدمة التي كتبها للرواية (الحسيني ، ٦) وفاروق وادي الذي يرى أنّ ما هو حيواني يتطابق مع ما هو انساني واقعي (وادي : ثلاث ، ٢٧) وكذلك *Abraham , 125 , Peled , 160 , Altoma , 67* ٠

٨٩- الحسيني ، ٧٠ ٠

٩٠- نفسه ، ٧١

٩١- نفسه ، ٧٢ ٠

٩٢- نفسه ، ٧٢ ٠

٩٣- نفسه ، ٧٢ ٠

٩١- نفسه ، ٧٢ ٠

٩٤- نفسه ، ٧٢ وما بعدها ٠

٩٥- نفسه ، ٧٣ ٠

٩٦- نفسه ، ٧٤ ٠

٩٧- نفسه ، ١١٢ ٠

٩٨- نفسه ، ١٣٩ ٠

٩٩- نفسه ، ١٣٩ ٠

١٠٠- نفسه ، ١٤٠ ٠

١٠١- نفسه ، ١٤٢ ٠

١٠٢- نفسه ، ١٤٣ ٠

١٠٣- نفسه ، ١٤٣ ٠

١٠٤- نفسه ، ١٥٨ ٠

١٠٥- نفسه ، ٤٢ ٠

١٠٦- نجاتي صدقي (١٩٠٥-١٩٧٩) :

ولد في القدس ٠وتلقى دراسته الابتدائية في مدارسها ، وفي عام ١٩١٩ صحب والده الى الحجاز ، واقام بالطائف ، ودرس فيها ثم عاد الى القدس ليعمل موظفاً في مصلحة البرق والبريد ، ثم سافر إلى روسيا عام ١٩٢٥، والتحق بجامعة موسكو وحصل منها على شهادة البكالوريوس في السياسية والاقتصاد السياسي ٠ ودرس الآداب الروسية اجتهاداً منه ، عاد عام ١٩٢٩ الى فلسطين ، فاعتقلته السلطات البريطانية ، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنين ٠ بعد عام ١٩٣٣ ذهب إلى فرنسا واصدر هناك صحيفة عربية شهرية اسمها "الشرق العربي" باسم مستعار هو مصطفى العمري ٠ عمل في محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربي مدة عشر سنين ١٩٤٠-١٩٥٠ ، واستقر في بيروت ٠

(ابو حمد ، ٤٥١ وما بعدها)

وحول حياته واعماله انظر ابو هشهش ، ابراهيم محمد : نجاتي صدقي ، حياته وادبه ١٩٠٥ - ١٩٧٩ ٠ القدس ١٩٩٠ ٠

١٠٧- صدقي : الأخوات ، ٦٤ وما بعدها

١٠٨- نفسه ، ٧٢ وما بعدها ٠

١٠٩- نفسه ، ٧٦ ٠

١١٠- ليس هناك في النص أية إشارة إلى أنّ ريتا يهودية ، ولكن دراسة النص مقترنةً بالأحداث التاريخية التي مرت بها فلسطين يعزز كونها يهودية ٠ (انظر *Peled , 151*) وتذكر *Wielandt*أنّ ريتا يهودية (انظر *Wielandt , 486* هامش ١٧٢) ٠

١١١- نفسه ، ٧٥ ٠

١١٢- نفسه ، ٧٦ ٠

١١٣- نفسه ، ٧٧ ٠

١١٤- نفسه ، ٧٧ ٠

١١٥- نفسه ، ٨٠ ٠

١١٦- حول هذه القصة تكتب *Wielandt* بأنها ترمز إلى سلوك المستوطنين اليهود مع العرب ( *Wielandt , 486* هامش ١٧٢)

وهنا لا يتفق مع وجهة نظرها ٠ فقد كتب نجاتي صدقي قصة اخرى عنوانها "العابث" لم ينشرها في أية مجموعة ، وفي القصة امرأة يهودية مهاجرة ، ، تقيم علاقة ودية مع عرب ، رافضة اي استغلال لهم ، بل وترفض اية علاقة غير طبيعية معهم ٠ (ابو هشهش ، ٢٢٠-٢٢٢) ٠

١١٧- هكذا وردت كتابة النص في القصة ٠ ولا يعرف المؤلف الألمانية ليكتب النص خاليا من الاخطاء ٠

## ٢- صورة اليهود في الأدب بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧

### ١٠٢ مدخل :

عندما يقارن المرء بين طبعتي روايةالعدناني "في السرير" (١٩٤٦/١٩٥٣) يلفت نظره ان ثمة تعديلات أجراها المؤلف تتمثل في استبدال مفردات بأخرى(١) ٠ ولهذه التغييرات دلالاتها ، ليس فيما يخص موضوع الرواية أو فكرتها -فالقارىء يفهم ما قصد إليه المؤلف دون أن يلجأ المؤلف إلى ذلك- وإنّما فيما يخص لهجة الخطاب في الأدب بعد عام ١٩٤٨ ٠ وحين يقابل المرء بين نصين لمؤلف واحد ، كتب أحدهما قبل تأسيس دولة اسرائيل ، وثانيهما بعد تأسيسها ، يلحظ اختلافاً واضحاً في لهجة الكتابة(٢)٠ ويلحظ أيضاً هذا الاختلاف في نصين كتبا في الفترة نفسها -أي بعد ١٩٤٨- ، احدهما كتب في الداخل والآخر كتب في الخارج ٠

ولا يعود هذا التغير إلى اختلاف وجهات نظر الكتّاب في الكتابة عن اليهود وحسب -وإن كان هذا أمراً لا يمكن تجاهله- وإنما يعود في جزء كبير منه إلى الواقع الذي نشأ عن تأسيس دولة اسرائيل من ناحية ، وإلى التغيرات التي شهدتها الحياة السياسية في العالم العربي من ناحية ثانية ٠

لقد أدت حرب ١٩٤٨ إلى تشريد ٨٠٠،٠٠ فلسطيني ، أقاموا في الضفة الغربية وقطاع غزة وشرق الأردن وسوريا ولبنان وأماكن أخرى ٠ ولم يبق من عرب فلسطين على أراضيهم إلاّ ١٦٠،٠٠ ، شكلوا ١٢،٥٪ من مجموع سكان الدولة اليهودية ٠ وكانت هذه الأقلية تتشكل من ٧٥٪ من المسلمين ، و١٧٪ من المسيحيين ، و٨٪ من الدروز ٠ وقطن القسم الأكبر من المواطنين العرب في ١٢٠ قرية عربية ٠ وكان هناك ١٣،٠٠٠ بدوي يقيمون في صحراء النقب ٠ وكانت الناصرة المدينة العربيةالوحيدة التي عاش فيها مواطنون عرب، بالإضافة إلىعائلات قليلة ظلت مقيمة في يافا وحيفا واللد والرملة وعكا٠٠ جنباً الى جنب ، مع اليهود(٣) ٠ وكان على المواطنين العرب حين يريدون مغادرة قراهم ان يحصلوا على تصريح من الحكم العسكري(٤) ٠

وبالتالي فان الاختلاط بين العرب واليهود كان شبه معدوم · صحيح أن العرب واليهود كانوا يعملون معاً في المصانع أو بعض المؤسسات ، ولكنّ الاختلاط خارج مجال العمل كان معدوماً · وحتى اولئك الذين عاشوا في المدن معا ، لم يختلطوا إلاّ قليلا مع اليهود(٥) ·

سياسيا لم يكن للعرب حزب خاص بهم · ومجموعة الأرض التي تأسست سنة ١٩٥٨ ، وكانت ذات ميول قومية ، لم تكن على صلة بأي حزب ، وقد حلّتْ عام ١٩٦٤(٦) · وكان الحزب الشيوعي الاسرائيلي هو الحزب الوحيد تقريبا الذي مارس فيه العرب نشاطاً سياسياً فعّالاً ·

بالنسبة لليهود في الدولة المؤسسة فانّ تغيراً كبيراً طرأ على تكوينهم · لقد كان عدد اليهود القادمين من أوروبا بين عامي ١٩١٩-١٩٤٨ يشكل نسبة مرتفعة وصلت إلى ٨٩،٦٪ (٤٥٢،١٥٨) ، وكان عدد اليهود الآسيويين والافريقيين لا يتجاوز نسبة ١٠،٤٪ · وخلافا لذلك فان عدد القادمين من آسيا وافريقيا بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٢ قد ارتفع ، فمن بين ألـ ١،٠٧٤،٧٩٢ مهاجر في هذه الفترة كانت نسبة القادمين من أوروبا وامريكا ٤٥،٤٪ والقادمين من آسيا وافريقيا ٥٤،٦٪ (٧)· وقد شكل اليهود الشرقيون عام ١٩٧٥ حوالي ٤٠٪ من سكان دولة اسرائيل · «لقد كان معظمهم مزارعين ، او حرفيين صغاراً ، أو بقالين ، ليست لهم أي صلة بالتكنولوجيا ، وحسب المقاييس الأوروبية فلم يكونوا مؤهلين أو مؤسسين - لقد كان معظمهم أيضاً أميين · ومن ناحية أخرى فلم يكونوا أيضا مستعدين لتقبل أفكار جيل الروّاد الاسرائيلي الاشتراكية المنحى ، أو بُنى هذا الجيل»(٩)· لقد كان اليهود الشرقيون يشكلون طبقة ثانية داخل المجتمع الاسرائيلي وأطلق عليهم اسم اسرائيل الثانية(١٠) ·

وكان اليهود القادمون من البلدان العربية يتكلمون العربية باعتبارها اللغة الأم · وشكلوا صوتا انتخابيا مميزاً للأحزاب اليمينية ، أوحزب الليكود حاليا · ولم تمنح سوى فئة ضئيلة من هؤلاء أصواتها الى الحزب الشيوعي(١١)·

لقد شهدت الحركات القومية في العالم العربي ، المؤسسة في الاربعينات ، عصرها الذهبي في الخمسينات والستينات • وقد استلم حزب البعث السلطة في سوريا عام ١٩٥٧ • وأجج الضباط الاحرار الذين استلموا السلطة في مصر ، من خلال سياستهم ، المشاعر القومية في العالم العربي كله • لقد طالب جمال عبدالناصر بالسيادة الوطنية كاملة على أراضي مصر • -وهذا ما لم يكن ممكنا في مناطق أخرى من العالم العربي في حينه- • إن ناصر الذي عزم على الإصلاح الاجتماعي ، أصدر أول قانون للإصلاح الزراعي ، عاملاً من خلاله على توزيع الأراضي ، التي امتلكها الاقطاع ، على الفلاحين حتى يحسن من مستوى الطبقات الشعبية • وقد أدى إعلان ناصر تأميم قناة السويس إلى مواجهات مع الانجليز والفرنسيين واسرئيل -حرب ١٩٥٦- • وقد أزداد الحس القومي حين انضم ناصر الى حركة عدم الانحياز ، وأسس مع سوريا ، عام ١٩٥٨ ، الجمهورية العربية المتحدة •

وفي الوقت نفسه كان ناصر يدعم الثورة الجزائرية ، وارسل ايضا فرقا من الجيش المصري إلى اليمن ، وأسهم عام ١٩٦٤ في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية(١٢) •

إنّ هذا الاستعار المتزايد في المشاعر القومية ترك أثره أيضاً على العرب الباقين في اسرائيل • ومجموعة الأرض الأنفة الذكر تأثرت كثيراً بتأسيس الجمهورية العربية المتحدة • وحين طبع كتاب ناصر "فلسفة الثورة" نفدت نسخ هذه الطبعة للتو من الأسواق(١٣)• ومع ذلك فان العرب الباقين لم يكونوا ليستطيعوا إبداء مشاعرهم القومية بعلنية ووضوح ، وبالتالي فلم يسمح لهم بتأسيس حزب خاص بهم •

ونظراً لانعكاس الاختلاف في موقع الكتابة على لهجة الكتابة بوضوح صارخ من ناحية ، والنظرة إلى اليهود من ناحية ثانية ، فسنعالج كلا من أدب الداخل وأدب الخارج في فصلين منفصلين : ٢٠٢ و ٣٠٢ •

في البدء تجدر الاشارة إلى ملاحظات تبدو خارجة عن إطار النصوص ولكنّ لها دلالات مهمة في التأكيد على أنّ اختلاف الموقع قد أدى فعلا إلى اختلاف في الموقف ٠ من ذلك مثلا العبارات التي كان الكتاب يصدرون بها كتبهم او يقدمون بها أحيانا لقصائدهم الشعرية، ومن ذلك أيضا اسلوب الكتابة نفسه ، فبعض الكتاب كانوا يلجأون إلىالرمز ، وآخرون لم يفعلوا ذلك ، في أثناء الكتابة عن اليهود ٠

كان أدباء الداخل يصدرون كتبهم بعبارات فيها قدر من اللطف، لعدم إثارة السلطة الحاكمة -هذا إذا لم يلجأوا إلى الرمز كما فعل توفيق فياض- ٠ وعلى العكس من ذلك فان كتاب الخارج كانوا يكتبون بوضوح شبه تام ، وبلغة مباشرة ، حين يصفون اليهود ٠

توفيق معمر الذي يقيم في الناصرة ، صدّر كتابه "مذكرات لاجيء" (١٩٥٧) بالعبارات التالية :

"وأمّا بشأن موضوع القصة والرأي الذي تعبّر عنه فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت العرب إلى الرحيل ، فانه رأي شخصي اعتنقه وأجهر به عملاً بحرية القول والفكر التي ننعم بها في اسرائيل ٠ وأرجو أن تتقبل السلطات الاسرائيلية هذه القصة بما يتفق وهذه الحرية ، ورحابة الصدر وطول الأناة التي تعودنا ان نلمسها في سلوكها حيال كل ما يقال ويكتب بشأن مطالبنا وقضايانا"(١٤) ٠

أمّا هارون هاشم رشيد ، الذي كان يقيم في غزة ، فقد صدر ديوانه "حتى يعود شعبنا" (١٩٦٦) بالعبارات التالية ٠

"إلى كل يد ترفع السلاح ، وكل قلب يخفق له ، وكل عقل يؤمن به من أجل ٠٠٠ التحرير والعودة"(١٥) ٠

وبينما يعثر في أدب الخارج على مفردات ، تتكرر باستمرار ، تنعت اليهود بأنهم لصوص وقتلة وسفاحون وكلاب ، فان مثل هذه النعوت تختفي

في أدب الداخل • ويرىالمرء أبعد من ذلك؛ إن تصوّر الآخر -اليهود- الذي ساد قبل عام ١٩٤٨ يختفي من النصوص الأدبية المكتوبة داخل إسرائيل ، ولكنه يبدو ظاهراً بوضوح في النصوص المكتوبة في المنفى •

هذا الاختلاف في لهجة الكتابة بين أدبي الداخل والخارج لا يستثني بروز موتيفات متشابهة • ان النشاشيبي المقيم في المنفى يكتب أنّ اليهود هم ضحايا للصهيونية ، الضحايا الذين تحولوا إلى جلادين • ويرى فيّاض أنّ اليهود الغربيين الضحية قد تحولوا ايضا إلى جلادين •

## ٢٠٢ أدب المنفى(١٦) :

يكتب Le Gassick في مقالته :

"*The Image of the Jews in Post World War II , Arabic Literature*" , *1978* :

التالي :

"*Arabic political writings frequently express negative comments on the greed and duplicity of zionists , but reiterate that there should be no quarrrel with Judaism or its adherents . ...*

*This deliberate destinction drawn in Arabic political writings between Jews and Zionists contrasts to considerable extent with treatments in Arabic Fictions, where the two words are often used interchangeably as synonyms*"(١٧).

إنّ النصوص التي حلّلها Le Gassick تغطي رقعة مكانية وزمانية تختلف عن الرقعة الزمانة والمكانية لتلك النصوص التي ستدرس هنا • ولهذا السبب فان النتائج ستكون متغايرة • ففيما كتبه ادباء المنفى من نصوص

أدبية يعثر على ثلاثة اصوات متمايزة بخصوص تصوير اليهود • ولا يحتوي هذا التمايز على خطوط متوازية ، فهناك تقاطع وهناك تداخل أحيانا • وليس هذا بالغريب ، فجل الكتاب الذين عرضوا لفكرة اليهود كانوا ذوي ميول قومية، ميول كانت افرازاً للمرحلة نفسها •

لا يرى هارون هاشم رشيد في دواوينه الشعرية الخمسة التي أصدرها(١٨) أنّ هناك فرقاً بين يهودي ويهودي آخر أو بين يهودي ويهودي صهيوني • إنّه يضع الجميع في خانة واحدة : اليهود هم الأعداء • ويختلف ناصر الدين النشاشيبي عنه في أنّه يميز بين اليهود واليهود الصهيونيين ، فالأولون هم ضحايا للصهيونية • أما غسان كنفاني فقد كتب أولاً عن اليهود من حيث هم أعداء ، ثم أخذ ، في فترة متأخرة ، يميز بين اليهود الأوروبيين واليهود العرب •

وتتطابق لهجة كل من النشاشيبي ورشيد في اثناء تصوير الذات وتمجيد بطولاتها وتاريخها ، ويختلف كنفاني في لهجته عن الاثنين• إنه يبتعد عن النزعة الخطابية في الكتابة • وما هو لافت للنظر لديه ، أن التغير في نظرته للآخر يتوازى مع تغير وجهة نظره للذات(١٩) •

## ١٠٢٠٢ اليهود من حيث هم أعداء فقط :

لا يختلف تصور رشيد في اشعاره كثيراً عن تصور طوقان والعبوشي والعدناني(٢١) • وهو منذ ابتدأ يكتب الشعر حتى عام ١٩٦٧ لم يتصور اليهود سوى اليهود الأعداء(٢٢) ويبدو أن تتبع هذا التصور في اشعاره كلها غير ذي جدوى • إنه يكرر ، باستمرار، الأوصاف التي ينعتها بهم •

في ديوانه "مع الغرباء" (١٩٥٤) نعثر على الأوصاف التالية : اليهود اجانب مجرمون ، (ص٢٨) ، واليهودي ظالم خسيس (ص٣٧)، وهم صغار الذئاب ولصوص وسارقون مستلبون (ص٦٧ وما بعدها)، وهم أيضا مخادعون

إرهابيون وكلاب يعبثون في غابة الأسود معتمدين على خداع الانجليز للعرب وغدرهم بهم (ص٨٣ وما بعدها)، وهم يدنسون فلسطين التي تئن من عارهم (ص٢١) ، ودولتهم دولة الظلم (ص٨١) ، كما أنّ حصونهم حصون المفاسد (ص٧٨) ٠

ولم تختلف عن هذه الأوصاف ، الأوصاف التي ينعتهم بها في ديوانه "عودة الغرباء" (١٩٥٦) ، ولكن هناك أوصاف أخرى جديدة تظهر ، فاليهود طغاة ومتغطرسون وأذلاّء وبغايا ٠

وفي ديوان "غزة في خط النار" يرد وصف اليهود ، لأول مرة في الأدب الفلسطيني ، على أنهم يشربون دم الأطفال(٢٣) ٠

ونكتفي بسرد قصيدة واحدة من أشعار رشيد التي كتبت في هذه الفترة لكي يلم القارىء بتصوره لليهود ، ولهجة الكتابة عنهم ٠ يقول رشيد في قصيدته "غزة هاشم" :

و"لخنيونس" إن مزقها ... مخلبٌ ٠٠٠ محتقر الآمال ٠٠٠ غاشم
هو لم يرع ٠٠ لها حرمتها ... كيف يرعاها خسيس الأصل آثم
كيف يرعاها اليهودي الذي ... علمته في الدجنات الأراقم
علمته ما حوى تلموده ... من تعالمَ له في كفر قاسم
ليس يرعى حرمةً ، في شرعه ... كل هذا الكون حقد ومآثم
اليهودي ، وإن آويته ، ... ذابحٌ طفلك في يوم وناقم
سوف نمحو دولة البغي غداً ... يوم لا ينفعها حانٍ وراحم
سنعيد الحراب مرّات إلى ... أن نزيل العار ٠٠٠ نجتث المظالم(٢٤) ٠

ويتغنى رشيد -عكس ما رأينا في تصوره للآخر- بأمجاد العرب وبطولاتهم ومقاومتهم للاستعمار ٠ ويكتب قصائد يشيد فيها ببطولات اهل الجزائر واليمن ، ويمدح في غير قصيدة جمال عبد الناصر ، ممجداً أيضاً فيها توجه ناصر نحو الوحدة العربية ٠

وكما كتب طوقان بعض قصائده رداً على شعراء يهود ، نجد رشيد يفعل الشيء ذاته · يكتب "أراخ" الشاعر اليهودي قصيدة يتغنى فيها بأهداف اسرائيل التوسعية ، فيثار رشيد لذلك ، ويكتب رداً عليها قصيدة تحت عنوان "الضفتان لنا" يدافع فيها عن حق العرب في فلسطين(٢٦) ·

ولم تتغير لهجة رشيد هذه في تصور الذات وتصّور الآخر إلاّ أثر هزيمة ١٩٦٧ · لقد خفّ تغنيه بالعرب ككل متجانس ، وأخذ يغني للفدائيين ممجداً بطولاتهم ، رائياً فيهم البديل(٢٧)·

## ٢٠٢٠٢ اليهود ضحايا للصهيونية :

يكتب ناصر الدين النشاشيبي(٢٨) في روايتيه "حبّات البرتقال" (١٩٦٢) و"حفنة رمال" (١٩٦٤) ، يكتب مميزاً بين اليهود والصهيونيين ، ذاهبا إلى أن الأولين هم ضحايا للحركة الصهيونية · وتتطابق وجهة نظر النشاشيبي هذه مع لهجة الخطاب العربي الذي ساد في الستينات · لقد أراد الكتاب في تلك الفترة أن يظهروا كم من الظلم أحاق بالفلسطينيين عل أثر تأسيس دولة اسرائيل ، وأرادوا أيضا أن يبينوا الوسائل غير الأخلاقية التي اتبعتها الصهيونية لتحقيق ذلك(٢٩) · ويفترق النشاشيبي عن رشيد في انه لم يعمم القول في أثناء الكتابة عن اليهود · والنشاشيبي يسخر من معظم الكتابات العربية التقليدية التي لا ترى في اليهود سوى ممثلي الشر والرذيلة(٣٠) · على الرغم من هذا فان النشاشيبي لم يستطع ان يتخلص من تلك الكليشهات التي سخر منها · وحتى الشخصيات اليهودية التي يتعاطف معها السارد في روايتيه ، أو بعض ابطالهما ، لا تخلو احيانا من وصفها بصفات كهذه · هكذا يصف السارد في رواية "حفنة رمال" سارة :

"ونظر ثابت إلى الفتاة قليلاً ، فرآها تحدق في وجهه بعينين مليئتين بالسحر والجاذبية ٠٠٠٠٠" و "هنا اقتربت الفتاة من ثابت، وكأنها تريد أن

ترمي جسمها فوق جسمه"(٣١) ٠

و"لكّنها تصنعت الابتسامة"(٣٢) ٠

ويصف السارد ايضا في رواية "حبّات البرتقال" اليهودية مريم على النحو التالي :

"و نظر الضابط إلى وجه مريم ٠٠ وإلى صدرها ٠٠ وإلى شعرها٠٠ وإلى نظراتها المملوءة بالشهوة والجنس"(٣٣)٠

وتتلخص الأفكار الأساسية حول اليهود في روايتي النشاشيبي ، تتلخص فيما أورده السارد وهو يصف مشاعر سابا حين قابل مريم من جديد :

«وتمنى لو كانت أخته لميا واقفةً معه لكي تسمع هذا الكلام ٠٠ إنه يعلم انّ لميا لن تصدق أن هناك يهودية واحدة في هذه الدنيا ترفض أن تكون صهيونية ٠٠ ولكنّ لميا لم تر أمامها إلاّ القتلة والسفاحين ورجال العصابات من موظفي الوكالة اليهودية ٠ إنّ ضحايا الصهيونية من الشعب اليهودي أكثر عدداً من ضحايا الصهيونية في صفوف خصومها ٠ لقد أفسدت الصهيونية على يهود العالم حياتهم وأمنهم واستقرارهم ٠٠ أصبح اليهودي في العالم لا يعرف معنى الولاء ، ولا يثق به أهل البلد الذي يعيش فيه»(٣٤) ٠

يرتد الزمن الروائي في كلا الروايتين إلى ما قبل عام ١٩٤٨ على الرغم من ان الزمن الكتابي لهماهو ١٩٦٢ و ١٩٦٤ ٠ وكان النشاشيبي في الستينات يعمل رئيس تحرير لجريدة "الجمهورية" المصرية ٠ وشهدت تلك الفترة من الحكم الناصري عداءً لأمريكا والصهيونية ٠ ويلحظ بوضوح أنّ الزمن الكتابي قد ترك أثره على الزمن الروائي ٠ هنا نلحظ إلقاء المسؤولية في انشاء دولة اسرائيل يقع على عاتق امريكا ، وهذا يغاير الحقيقة ، ويخالف كل ما كتب قبل عام ١٩٤٨ ٠ في "حبّات البرتقال" تصبح أمريكا -لا بريطانيا- كبش الفداء ٠ ولأن قارىء الروايتين لا يجد كبير فرق بينهما ، فسنعالج هنا رواية "حبّات البرتقال" مكتفين ببعض إشارات إلى رواية "حفنة رمال" ٠

يعمل "أنا السارد" في رواية "حبات البرتقال صحفيا في جريدة "أخبار اليوم" المصرية ، -هنا توجد نقطة التقاء بين النشاشيبي الذي عمل في "الجمهورية" وبين أنا السارد- ٠ ويزور شخص "أنا السارد" أي الصحفي ، ويطلب منه أن يكتب رواية يواجه من خلالها فيلم (بن هور) الذي تلعب دور البطولة فيه يهودية صهيونية "تتغنى بأمجاد شعبها وبلدها وصهيونيتها ٠٠ وجيشها"(٣٧) ومن هذا المنطلق يقدم أنا السارد قصته التي تبدأ احداثها في المانيا إبّان الحرب العالمية الثانية ، وتنتهي في فلسطين ، لفترة قصيرة قبل عام ١٩٤٨ ٠

يعمل سابا ، الشخصية الرئيسة في الرواية ، والمسيحي الفلسطيني الذي يدرس في المانيا ، يعمل اثر تصعيد النازية هجومها على اليهود ، على مقاومتها٠ فهو يرى فيها خطراً ليس على اليهود وحسب ، بل وعلى غير اليهود٠ لهذا يسجن مع من يسجنون ، منفقاً زمنا في معسكر "داخاو" قرب ميونيخ٠ ويقيم سابا ، بعد انتهاء الحرب وخروجه من السجن ، مع فتاة يهودية صديقة له ، هي مريم التي ترفض الانصياع لأوامر الوكالة اليهودية الحاثة على الهجرة إلى فلسطين ، فهي - أي مريم ٠٠ تفضل الإقامة في المانيا ، لأن الكابوس النازي قد انتهى ٠ وتقتفي فتيات يهوديات سلوك مريم هذا٠ يزعج هذا التصرف الوكالة اليهودية ، فتبحث هذه عن السبب ، وتكتشف ان ذلك يعود إلى أن الفتيات يقعن تحت تأثير شاب فلسطيني هو سابا ٠ وتعمل الوكالة اليهودية على إلصاق تهمة النازية بسابا ، وتعمل مع الجهات المختصة على تسفيره إلى فلسطين ٠ ولا تلجأ الوكالة اليهودية إلى هذا الأسلوب لتشويه غير اليهود وحسب، بل أيضا لتشويه من لا ينفذون مخططات الصهيونية من اليهود ، وهذا ما حدث مع مريم نفسها ٠ لقد لجأت هذه إليهم علّهم يوفروا لها عملاً ، فأخذ أعضاء الوكالة اليهودية يساومونها طالبين منها أيضا الهجرة إلى فلسطين ٠ وحين ترفض ذلك يعجلون بتسفير سابا إلى هناك ، وتعود إليهم

مريم طالبةً منهم عنوانه فلا يعطونها إياه إلاّ بعد ان تخضع لأوامرهم ، وتنفذ ما طلبوه منها بالذهاب إلى أعضاء اللجنة الامريكية للتحقيق في جرائم النازية لكي تعاشرهم ٠ لقد كان شعار الصهيونية في حينه :

«يجب أن نستغل دم كل يهودي ضاع في هذه الحرب ٠٠ يجب أن نشتري هؤلاء الأعضاء بأيّ ثمن ٠٠ يجب أن يعرفوا أنّ اليهود كانوا وحدهم ضحايا هتلر ٠»(٣٨)٠

وتلحّ مريم على أعضاء الوكالة اليهودية في الحصول على عنوان سابا فيما طلونها ٠ وتكتشف مريم أهداف هؤلاء فتصرخ في وجه واحد منهم :

"انتم لستم أهلي ٠٠ الأهل لا يبعثون ببناتهم لمعاشرة الرجال في الفنادق ٠٠ الأهل لا يعرضون اعراض بناتهم للبيع ٠٠ أنتم مجرمون٠٠"(٣٩)

وتهددهم مريم بأنها ستشكف أساليبهم هذه ٠ عندئذ لا تتهم الوكالة اليهودية مريم ، على أنها نازية ، إنها تتهمها على أنها جاسوسة للسوفيت ، وتغلق في وجهها أبواب الرزق مما يضطرها لبيع جسدها ، ولا يكف أعضاء الوكالة اليهودية ، مع ذلك ، عن ملاحقتها ، لأن "مسؤوليات الوكالة وأعمالها بحاجة إلى المومسات وبائعات الهوى" (٤٠) ٠

أمّا سابا فيلتقي على ظهر السفينة التي تقله إلى فلسطين بثلاثة آلاف يهودي ٠ هنا يعقد السارد مقارنة بين الأثر الذي تركته الحرب على سابا وعلى اليهود :

«لقد حوّلت الحرب نفسية سابا إلى انسان ، مسالم وديع ، انساني، لا يتعصب ، ولا يكره ، ولا يسعى للشر ٠ أمّا هؤلاء اليهود الذين كانوا معه على نفس الباخرة فقد حولتهم المعتقلات إلى وحوش كلها شر ، كلها فوضى ، كلها سعي لاضطهاد الغير ، وقتل الغير ، والاعتداء على حق الغير ، والانتقام من الغير»(٤١) ٠

ولا يختلف اليهود في فلسطين عن الذين التقى بهم سابا على ظهر

الباخرة • لقد قتلوا والده ، وسلبوا من العرب أراضيهم ، وامعنوا في الإرهاب •

ولكن النشاشيبي يكتب ايضا ، في روايته هذه ، عن يهود كانوا ضحايا للصهيونية ، ولكن عدد هؤلاء ليس كثيرا • يذكر السارد في بداية الرواية أنّ عدداً من الفتيات يرفضن الانصياع لأوامر الوكالة اليهودية ، غير أنه لا يقص علينا الكثير من أخبارهن • في المقابل فانه يفيض في الحديث عن اليهود المتعصبين الذين لم تُنَمّ الحرب حساً انسانيا عندهم • و الاستثناء الوحيد من بين المهاجرين هي مريم التي لم تسافر إلى فلسطين إلاّ رغبة في لقاء سابا فقط، وتشاركه في نشاطه في مقاومة الصهيونية •

ولا يختلف اسلوب الكتابة عن العرب هنا ، عند النشاشيبي ، عنه في كتابات رشيد • يظهر النشاشيبي الشخصيات العربية وهي على مستوى عال من المشاعر الانسانية النبيلة • وينتقد من العرب ، فقط الزعماء العرب في الأربعينات ، ويلقي عليهم بالمسؤولية لما ألمّ بالفلسطينيين • هنا يظهر تأثير الزمن الكتابي على الزمن الروائي • فحتى الخمسينات كانت الحركات السياسية في العالم العربي تفتقد زعيما مميزاً • وهو ما عبّر عنه جمال عبد الناصر بحق، عندما تحدث عن دور حركة الضباط الأحرار في مصر قائلاً إن تلك الفترة -أي الاربعينات- كانت تبحث عن زعيمها(٤٢) •

وما أوردناه من أقوال *Le Gassick* من أنّ المفردتين اليهودية والصهيونية كانتا تردان في الأدب العربي مترادفتين ، ولهما المعنى نفسه ، ما أوردناه يتطابق مع وجهة نظر لميا • أمّا رؤية النشاشيبي نفسه ، وقصده من وراء تأليف هذه الرواية ، فلا يتفق مع ما ذهب إليه *Le Gassick*(٤٣) •

## ٣٠٢٠٢ : التمييز بين اليهود العرب واليهود الأوروبيين والكتابة الموضوعية :

لقد صوّر غسان كنفاني(٤٤) في قصصه المبكرة شخصية الجندي اليهودي من جانبها الوحشي • وتدور أحداث هذه القصص في أثناء حرب عام

١٩٤٨ أو قبلها بقليل(٤٥) ٠ ولم يكن زمن كتابتها أيضا بعيداً عن فترة الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة أو زمن ارتكاب القوات الاسرائيلية مجزرة كفر قاسم (١٩٥٦) ٠ ولعل أحداث عام ١٩٤٨ قد تركت أثرها على مخيلة الكاتب الذي كان عمره آنذاك اثني عشر عاما ٠ ويرجح أنّ أحاديث اللاجئين الفلسطينيين ، وهو واحد منهم ، عاش بينهم ، وعلم أبناءهم ، لم يدر سوى علىهذا الجانب من حياة اليهود ٠

وبعد أعوام من ذلك بدأ غسّان كنفاني يكتب عن حياة اليهود العرب ، وأشار إلى اختلافهم عن اليهود الغربيين الذين جاؤوا لتنفيذ مخططات الصهيونية ٠ وتبدو هذه النغمة في الكتابة منسجمة مع توجهات الكاتب القومية في حينه ٠ وليس غريبا أن يصف الأستاذ معروف - وخلفه يختفي كنفاني - في قصة "الدكتور قاسم يتحدث لايفا عن منصور الذي وصل إلى صفد" (١٩٦٥) ، ليس غريبا أن يقول ما يلي :

«في صفد أربعة آلاف يهودي لم يكونوا فلاحين في يوم من الأيام ، ولكنّ أحداً لم يكترث بذلك ، لقد عاشوا في دكاكينهم الصغيرة لفترة طويلة ، باعوا الناس اشياءهم ، وتبادلوا التحية معهم، وتجاذبوا الحديث ، ووجهت إليهم الدعوات إلى الغداء والعشاء ، كانوا هناك منذ زمن بعيد ولذلك فهم يتحدثون العربية ، ويتسمون بأسماء عربية ، ويقرأون كتباً وصحفاً عربية ، وكان كل شيء يبدو منطقيا إلى حدٍ اطلق فيه سكان صفد عليهم اسم اليهود العرب ، ولم يكن ثمة إشكال لولا أن بدأت الدكاكين الكبرى تنبثق في الأرض كأنها تزرع خلسة في الليل ٠ قالوا : جاء الاشكناز ، وأخذوا في جانب من حي اليهود ركنا معزولا منغلقا على نفسه ٠ حدث ذلك بصورة لم تلحظ في بادىء الامر»(٤٦)٠

يوصف اليهود العرب ، إذن ، بانهم منفتحون على غيرهم ، خلافا لليهود الأوروبيين الذيي قرروا ان يعيشوا في غيتو ٠ لقد جاء الأخيرون لكي يطردوا العرب ، ولم يكن العرب وحدهم هم الذين فوجئوا ، لقد فوجيء اليهود العرب ايضا اول الامر ، ولكنهم التزموا الصمت في آخر الوقت ، هذا ما يقوله الاستاذ

معروف ٠

"لقد أرسلوا خصيصاً للمستقبل ٠ كان كل شيء محضراً تماماً ، اغلب الظن، وهو لم يفاجيء عرب صفد فقط ، بل فاجأ اليهود القدامى فيها ايضا ، وقد قالوا ذلك ، قالوه ، قالوه ثم سكتوا"(٤٧)٠

وما هو جديد لدى كنفاني حقا ، هو ابتعاده الواضح عن النغمة الخطابية والنزوع نحو الانفعال في أثناء الكتابة ٠ ويبدو هذا واضحا تماماً في روايته "ما تبقى لكم" (١٩٦٦)(٤٨) ٠ وبمقارنة صورة الجندي في هذه الرواية بتلك الصورة التي رسمها له في قصصه الأولى نجد تغييراً واضح المعالم ٠

حامد ، الشخصية الروائية الرئيسية في "ما تبقى لكم" ، شاب فلسطيني كان في العاشرة من عمره يوم هرب واخته من يافا عام ١٩٤٨ إلى غزة ، خلافا للأم التي هربت إلى الأردن ٠ وهناك ، في غزة ، يوافق ، مكرها ، على زواج اخته من فلسطيني خائن ، اعترف لليهود إبّان احتلالهم المدينة عام ١٩٥٦ على أحد الفدائيين ٠ ويقطع حامد ، في محاولة للهرب من عار اخته ، الحدود الفلسطينية - الاسرائيلية لكي يبحث هناك ، في الأردن ، عن امه ٠ ويلتقي في الطريق بجندي يهودي فيفاجئه حامد ويحتجزه بعد أن يكون جرّد الجندي من سلاحه ٠

ليس الفلسطيني ، هنا ، بطلا ٠ وليس اليهودي ايضا متوحشا ٠ صحيح أن حامد يتذكر الجنود وما فعلوه في غزة عام ١٩٥٦ - هنا تبدو صورتهم وحشية - ، ولكنّ ذلك يتطابق وما رآه منهم ٠ أمّا الجندي هنا فقد التقى به حامد صدفة التقى به بعيداً عن اجواء الحرب دون أن يكون هذا اللقاء لقاء مواجهة مخططاً له من قبل ٠ هرب حامد فضلّ الطريق ، وارتطم بالجندي الذي ضلّ طريقه أيضا ٠ لقد بدا هذا اللقاء "قدراً غريبا ، وربّما مصادفا، ولكن لا مفر منه ، وقد جلسا معا يستوعبانه ليصدقاه" ، ولكن واحداً من الاثنين لا يعرف لغة الآخر : "قد تكون لا تعرف غير العبرية ، فهذا لا يهم ، فقد اسمع، اليس من المثير حقاً ان نلتقي في هذا الخلاء مباشرة بالشكل الذي حصل ، ثم لا

نستطيع ان نتحدث؟"(٤٩)

ولهذا القول دلالته المهمة في اثناء الحديث عن تصور كتاب المنفى لليهودي • وعلى الرغم من ان كلا الطرفين ، العرب واليهود ، لا ينظر إلى الآخر إلاّ من منظار العداء ، فانّ كنفاني لا يكرر هنا صفات ومقولات جاهزة • ليس اليهودي جبانا(٥٠) • لقد اعترته حقا حالة من الخوف ، ولكّنها حالة كانت تعتري الفلسطيني أيضا • ولم يستسلم الجندي اليهودي بسهولة • لقد حاول المقاومة ثم توقف حين أخذ يشعر بثقل السكين تضغط عليه • وعلى الجانب الآخر فانّ تفوق الفلسطيني لا يعود إلى كونه فلسطينيا ، إنه يعود إلى عنصر المفاجأة من ناحية ، وإلى اعتقاد اليهودي بأن الأمر لا يعدو كونه مزاحاً من أحد أصدقائه الجنود •

نذكر هنا قصة "الصغير يستعير مرتينة خاله ويشرق إلى صفد" (١٩٦٦) التي يرتد فيها الزمن القصصي إلى ما قبل ١٩٤٨ • وفي القصة هذه يرد حديث ايجابي عن اليهود • يطلب الأب الفلسطيني المزارع من ابنه الذي حصل على شهادة الطب ان يفتتح عيادته في القرية ، وحين يرفض الدكتور يقول الأب بحزن :

"-انظر إلى اليهود ، حين يجيء الواحد منهم ينصرف إلى العمل في القرى •• لماذا لا تفتح عيادتك في مجد الكروم؟"(٥١)

ويصف السارد الأسى الذي ألمّ بالأب حين لم يمتثل ابنه الى طلبه •

## ٣٠٢ : صورة اليهود في أدب الداخل :

لا تتكرر في ادب الداخل (الأدب المكتوب تحت الحكم الاسرائيلي) تلك الموتيفات التي غلبت على الكتابات الأدبية قبل عام ١٩٤٨ • ولا يعثر اطلاقا على اوصاف وافكار معينة مثل وصف اليهود بعبادة المال وتسخيرهم نساءهم للوصول إلى أهدافهم ، واتهامهم بقتل المسيح ، ونعتهم بصفتي الذل والكفر

الدائمين • ويختفي الحديث عن كون اليهود تابعين للانجليز • هنا يصبح العرب واليهود ضحية سياسة الانجليز ، ويصبح الأخيرون كبش فداء ومشجب يُعلق عليه المشاكل ، ويعتبرون ايضا الباعث الحقيقي للخلاف والشقاق بين الطرفين •

ويبدو الموتيف الأخير واضحا كل الوضوح في رواية توفيق معمر التي حملت العنوان "مذكرات لاجىء او حيفا في المعركة" (١٩٥٧) ، وفيها يتحدث السارد بالتفصيل عن المعارك التي دارت بين العرب واليهود في أثناء حرب ١٩٤٨ ، ويصف السارد ايضا الدور الذي قام به ضابط انجليزي عمل على إثارة الفريقين ضد بعضهم البعض ، وكان هذاالضابط يساعد كلاً من العرب واليهود على حدة، فيزود هذا الفريق بالسلاح والمعلومات عن الطرف الآخر •

ويقول السارد في بداية الرواية ما يلي :

«من منا لا يذكر موقف القوات البريطانية والدور الذي لعبته في استثارة الفريقين»(٥٢) •

وتقوم الرواية اساساً على هذه الفكرة ، وليست احداثها سوى تجسيم مفصل لها • ونعثر أيضا في رواية محمود عباسي التي عنوانها "حبٌ بلا غد" (١٩٦٢) على الفكرة نفسها • والرواية هذه ، على الرغم من أنها تعالج فكرة اجتماعية في الأساس ، تحتوي ، من خلال الحوار الذي يجريه الكاتب بين شخوصه ، على أراء متناقضة بخصوص حرب ١٩٤٨ • وينقد سلامة المشلاوي أحد شخوص الرواية القادة الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، ويعتبر أحدهم ، وهو الحاج أمين الحسيني ، جاسوسا انجليزيا ، قصد الانجليز من خلاله تنفيذ سياستهم القائمة على ايقاع الفتنة بين العرب واليهود • هكذا يقول سلامة :

"هذه يا حبيبي سياسة عليا مدبرة من الانجليز ، تشبك حسبها العرب واليهود ، وتتدخل حين يحتدم الأمر ، وتعيد وصايتها وانتدابها من جديد على هذه البلاد"(٥٣)

وينسجم رأي سلامة المشلاوي هذا ورأي المؤلف نفسه • وتشير مواطن

عديدة من الرواية الى نزوع اليهود نحو السلام ، وكذلك نزوع العرب • ومن ذلك أن ليلى الفتاة العربية المسيحية (؟) تستمع إلى الشاعر اليهودي العراقي الذي تنشر اشعاره في الصحف ، داعيا فيها إلى الاخوة والمحبة ، وتعجب به وتتمنى :

«من اعماق قلبها أن يكثر من امثال هذا الصديق اليهودي المتفاني في حبّه لأبناء الشعب العربي الشقيق»(٥٤)

وحين تخرج ليلى مع طلابها الى الحقول ، تشرع بالغناء ، فيسمعها ضابط يهودي يشجعها على ذلك ، ويستفسر منها عن احوال قريتها ، ويتكلم معها بالانجليزية مقدراً عدم قدرتها على الإفصاح عن أفكارها بالعبرية ، وحين ينصرف يعلق السارد بالتالي :

«وكان لطيفا ورقيقا معها ، مبديا اهتماماً بالغاً بشؤون المواطنين العرب، ولمّا انصرف عنها مودّعاً نطقت مقلتاها بنظرة تفيض بشراً وحبوراً ، وتمتمت:

- الدنيا بخير»(٥٥) •

ولعبارة ليلى الاخيرة هذه دلالتها المهمة ، وبخاصة حين نعرف أن احداث القصة كانت بعد حرب ١٩٤٨ ، في فترة كانت معظم شخصياتها تعاني من مشاكل نجمت عن الحرب •

ولا تختلف قصة مصطفى مرار "حمارنا وبريطانيا" (١٩٦٤) كثيراً عمّا ورد آنفا • لقد كان العرب واليهود يعيشون معا بسلام ومحبة -هكذا تقول إحدى شخصيات القصة- ، ويتحدثون عن همومهم ومشاكلهم لبعضهم البعض حتى جاء الانجليز فأفسدوا على الطرفين حياتهم • لقد كان الأسطة عبده اليهودي المصري سعيداً في بلاده ، يحرث أرضه ويزرعها ، ولكنه يضلل عندما يستمع إلى الانجليز الذين تحدثوا عن مشاريع يقيمونها في فلسطين • ويهاجر الأسطة عبده "بحثا عن الغريب •• عن الجنة التي وعد العاملون فيها" • ويخبره السارد -وهو فلسطيني- انه يرغب ايضا في العمل في معسكرات الانجليز ، فيجيبه الأسطة عبده بالتالي :

"اسمع يا بني •• لقد عملت مع البريطانيين ، وعانيت من الاذلال ما لا

تطيقه انت ولا من هم أكبر منك"(٥٦)

ويتابع عبده :

"انت واهم يا ولدي ٠٠ إنهم -البريطانيين- قد ادخلوا ذلك الوهم إلى رؤوسنا ورؤوسكم ، فهم يغروننا بترك الأرض للشيوخ والعجزة ينبشون فيها كالديدان لتظل على عجزها الموهوم ، ويصرفوننا نحن عن تطوير وسائلنا وتحسين انتاجنا ، ولنتفرغ لخدمتهم وتمكينهم من النصر في حروبهم التي لا تنتهي لمواصلة الاستيلاء على بلادنا وبلاد غيرنا"(٥٧)

ويصور الانجليز في قصة محمد علي طه "عاصفة في عش" باستاذ كبير عظيم فاتت علومه علوم العرب واليهود ، وبرجل سمين واسد هرم وافعى ٠

هذا الاستاذ -أي الانجليز هنا - يحرض احمد على حاييم وحاييم على أحمد ، ويكتشف هذان فيما بعد ان ما قاله لكل منهما عن الاخر ليس صحيحا٠ لقد أثبت العمل المشترك معاً أنّ الاراء المسبقة التي سمعها كل طرف عن الآخر ليست سوى وهم كاذب ، اراد الانجليز من وراء بثه ان يفرقوا حتى يسودوا ٠ وبالتالي يقول حاييم لاحمد بعد ان اكتشف أنّ الأخير عربي ، وانه غير ما سمع عن العرب ، يقول له :

"لكنك تعرف نصف الحقيقة فقط ، فالرجل الذي كان يظهر لك الصداقة ويعلمك تاريخ اليهود وعاداتهم القذرة ، الرجل الذي علمك أنّا نصلم أذني العربي ونسّد لسانه ، هو الذي كان يظهر لي الصداقة والمحبة وهو الذي علمني أنكم قذرون ، لصوص ، حفاة ، متوحشون"(٥٨) ٠

وبغض النظر عن صحة هذا الكلام ، أو عن مدى اقتناع الكتّاب انفسهم به ، او حتى مدى مطابقته للواقع أو عدم مطابقته ، فما يلحظه المرء بوضوح ان هذا الموتيف تكرّر في نصوص كتاب الداخل٠ ويلحظ المرء أيضا في هذه النصوص وغيرها ان اصحابها نادرا ما كانوا ينزعون نحو التعميم ٠ فالكتاب على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والسياسية ، اخذوا يكتبون عن نماذج يهودية التقوا

بها هنا أو هناك ٠ ولم يجعلوا منها شخصيات نمطية ، كأن يسبغوا على اليهود الأوروبيين صفات تقترن دائما بكل يهودي أوروبي نقرأ عنه(٥٩) ٠ وقليلة هي الأعمال التي نعثر فيها على أحكام مسبقة يُعاد تكرارها ، ويحاول بعض الكتّاب دحض مثل هذه الأراء المسبقةمَن خلال الحديث عن شخصيات قصصية يخترعونها ، تعارض في سلوكها ما كان يدرس عنها في ذهن العرب(٦١) ٠

لقد أخذت الكتابة عن اليهود عموما تنحى منحى آخر ، تمثل في الكتابة عن شخصيات تمثل السلطة ولا تمثل اليهود قاطبة ٠ وليس غريبا والحال هذه أن نعثر على شخصيات يهودية طيبة كانت في بعض مواقفها ضحية كذب السلطة وخداعها ٠ ونادراً ما صور الكتاب في هذه الفترة شخصيات تحلل من خلالها الشخصية اليهودية نفسيا أو اجتماعيا أو دينيا ، ونادراً أيضا ما صوّر الكتاب المظهر الخارجي اليهودي ، ولا نعثر سوى على نصٍ واحد يقارن بين الحياة الاجتماعية لدى الطرفين ٠

## ١٠٣٠٢ اليهودي الحاكم واليهودي المحكوم :

ليس هناك في أشعار توفيق زيّاد(٦٢) ، عضو الحزب الشيوعي الاسرائيلي، حديث عن يهودي ولا يهودي ٠ وإنما هناك حديث عن سلطة وشعب ، عن مستغِل ومستغَل ، عن سارق ومسروق ٠

ليس غريبا إذن أن يخاطب توفيق زيّاد العمال اليهود بعبارة "إخوتي في الكفاح" ، وليس غريبا أيضا أن يرى زيّاد ان العرب واليهود للطغاة ضحية(٦٣)٠ وأنّ اليهود البسطاء هم مثل غيرهم من البشر البسطاء(٦٤) ٠

ويهاجم زيّاد في أشعاره الحكام الذين يلصّون خبز الفقراء ، دون أن يكترثوا لجوع أطفالهم ، ويرسم صورتين؛ صورة لأطفال الحاكمين ، وثانية لأطفال المحكومين(٦٥) ٠

وانطلاقا من رؤيته هذه يكتب توفيق زيّاد قصيدة "ايخمان" (١٩٦٠)(٦٦) ، وفيها يتعاطف مع ضحايا النازية ، وفيها يتوجه أيضا

بالخطاب إلى الشعب اليهودي حتى يفتح عيونه علىحكامه الذين باعوه ٠ ويتحدث زياد في قصيدته عن أطراف ثلاث : السلطة التي تقمع الشعب ، والشعب اليهودي الذي لم يكترث حكامه به حقيقة ، والشعب الفلسطيني ضحية السلطة ايضا ٠ وتقف السلطة على جانب ، ويفترض الشاعر أنّ الشعوب تقف على الجانب الآخر المقابل لها ٠

يصف توفيق زيّاد "ايخمان" باعتباره ممثلا لسلطة ما - بأنه سفاح رهيب ، ويطلب أن يدفع به إلى حبل المشنقة عقابا له على جرائمه التي ارتكبها بحق اليهود ٠ ويرى زيّاد في السلطة الاسرائيلية ما لا يغاير تلك الصورة ٠ لقد مدّ الوزراء أيديهم إلى ورثاء هتلر يتصافحون -وهم هنا الامبريالية- ٠ هكذا نفهم من خلال معرفتنا بمواقف زيّاد ٠

يقول زيّاد في هذه القصيدة :

يا أيها الشعب الذي نصبوا عليه مشعوذين
باعوك والتموّا على كرسي الوزارة يقبضون
يتسابقون على الفتاة ويزحفون على البطون
مدّوا إلى ورثاء هتلر كفّهم يتصافحون
وعلى ترابي بعثروا لحمي كأرخص ما يكون
كم معتلٍ كرسي الزعامة وهو أجدر بالسجون
يا شعب قل للظالمين : اتحسبون بأنكم ستخلدون
قولوا لهم الأمس فات وجاء ما لا تحسبون
وبما سفكتم من دم الشعب البرىء ستؤخذون ٠

عام ١٩٥٤ نشر حنا ابراهيم(٦٨) قصته "سارة"(٦٩) ٠ وسارة ، شخصية العنوان للقصة ، يهودية تضللها السلطة الاسرائيلية من خلال وسائل إعلامها ، وتكتشف مع الأيّام ، من خلال السماع والرؤية ، ذلك ٠ ومع ذلك فلا تقوى سارة على الوقوف في وجه التيار العام ٠

سارة فلسطينية الموطن ، تجيد العربية ، وتقيم مع زوجها شموئيل في

قرية قرب الحدود الأردنية - الاسرائيلية • ويعتمرها الخوف عندما تسمع أخبار تسلل الفلسطينيين عبر الحدود • ولا تخفي مخاوفها عن زوجها الذي يقوم بدوره بطمأنتها بأن هؤلاء المتسللين يلاقون الموت دائما • ويغيب زوجها عنها ذات يوم ، وبينما هي وحدها في الليل تسمع دقات على الباب • وتحمل مسدسها ثم تفتح الباب ، فترى رجلا عجوزاً وابنته وحفيده • تسمح لهم سارة بالدخول وتستمع الى قصتهم فتعرف منها ان هؤلاء قد تسللوا منذ فترة عائدين إلى ديارهم ليقيموا مع زوج الفتاة الذي بقي مقيما في قريته ولم يغادرها بسبب حرب ١٩٤٨ • وتعلم السلطة الاسرائيلية بالأمر فتسجن الزوج وتطرد الباقين •

تقدم سارة لهم الطعام ، وتتركهم يذهبون ، فهي لا تستطيع ان تفعل غير هذا • وتعرف في الصباح من أحد الجنود ، أن الجنود قتلوا الليلة متسللين ربّما كانوا جواسيس •

تذهب سارة إلى مكان الحادث فترى جثتي الرجل وابنته ، ولا ترى جثة الطفل • وتكتشف سارة ، من ثمّ المفارقة بين ما تكتبه الجرائد وما هو على أرض الواقع حقيقة • ولا تخبر زوجها ، حين تعود إلى البيت ، بأية كلمة ، "ولكنها ، منذ ذلك الحين ، كفت عن قراءة صحيفتها المسائية"(٧٠) •

سارة باعتبارها يهوديا مضللاً من السلطة -ذراع الصهيونية- هي استثناء • إنها واحدة من ست شخصيات في القصة؛ زوجها الذي يضحك باستهتار حين يستمع إليها تبدي مخاوفها من المتسللين ، والضابط الذي يخبرها عن تأخر زوجها -ولا نعرف عنه شيئا غير هذا- وهناك رجلان يسّران لمقتل العجوز وابنته ، ويتهمان الأخيرين بأنهما جاسوسان للأردن ، ثم أخيراً رجل لا يسره منظر الجثتين فيطلب تغطيتهما ليس غير •

وهدف الكاتب من قصته يبدو واضحا • لقد أراد أن يقول ثمة نماذج انسانية طيبة بين اليهود ، ترفض ما يجري ، وهذه النماذج مضللة من السلطة •

لقد كتب حنّا ابراهيم قصته في فترة كانت فيها مشاعر العرب نحو اليهود ممتلئة كراهية بسب نكبة عام ١٩٤٨ وما أعقبها من أوضاع صعبة مرّ

بها العرب الباقون في ديارهم · وكان ابراهيم يخشى أن تؤثر هذه الأجواء على المواطنين العرب فيمعنون في تعميم القول ·

وكتب توفيق معمر(٧١) عام ١٩٥٧ ثلاث قصص قصيرة صوّر فيها حياة العرب في الدولة العبرية بعد تأسيسها ، منتقداً أساليب رجال السلطة في التضييق على العرب · لقد كان معمر محاميا ، وبالتالي فقد صوّر جانبا مما كان يرى ويسمع · وقصتان من قصصه الثلاث تصفان المحاكمات التي عقدت لمحاكمة العرب · وعلى الرغم من أنّ هدفه كان السخرية من الحكام واحكامهم، إلاّ أننا نعثر في القصص ايضا على شخصيات يهودية أخرى تعطي صورة عن علاقة اليهود بالآخرين ، وتحديداً العرب ·

ويتساءل السارد في قصة "بائع الفلافل" ، بعد أن يصف واقع الأقلية العربية تحت الحكم الاسرائيلي، وبعد أن يوضح هدفه من الكتابة ، يتساءل قائلا :

"ترى أبمثل هذا تعامل الدول العربية رعاياها من اليهود"(٧٢)·

ويعثر في قصة "بائع الفلافل" على نموذج ايجابي للشخصية اليهودية · إنّ بطل القصة هذه هو علي الحسن ، الشاب الذي لا يتجاوز الستة عشر عاما · وينجح علي هذا في الحصول على تصريح لكي يعمل في مستعمرة يهودية · ويعجب به معلمه يعقوب لأسباب عديدة؛ منها نشاطه ونباهته ، ومنها إلمامه باللغة العبرية · وحتى نهاية العام من العمل تجري الأمور بين الأثنين بلا مشاكل · ويستحق علي عند نهاية العام مكافأته السنوية ، فيفكر يعقوب ، قبل ذلك بقليل ، في أن يتخلص منه ، ويعمد يعقوب إلى إرهاق علي بالعمل أولاً ، ثم يتهمه بالتقصير · ويوافق علي على ترك العمل مقابل أن تدفع له أجوره والمكافأة التي يستحقها · ولأنّ يعقوب يحار في الأمر ، فانه يستشير زوجته (كرملا) · فتقترح عليه هذه ان يلجأ إلى الحاكم العسكري لكي لا يجدد هذا تصريح علي في العمل في المستعمرة ، وبذلك يكون قد تخلص منه ·

وذات يوم يتسلل علي خفية ذاهبا إلى المستعمرة ، ويقابل هناك يعقوب ، فيرحب به الأخير ، ويطلب من زوجته أن تعّد الطعام لاستقبال الضيف ، وتكون الزوجة قد اتصلت في هذه الأثناء بالشرطة التي تحضر لاعتقال علي ومحاكمته ٠

فيما بعد يكرر علي التجربة ، ويعمل ثانية عند اليهود ٠ ولا يختلف نسيم ونحاما زوجته عن يعقوب وكرملا ٠ ويسلكان معه ، حين يطلب مكافأته ، سلوكا شبيها بسلوك يعقوب ٠ يتهمانه أولا بالسرقة ، ثم يقدمانه على أثر ذلك إلى المحكمة ٠

ويحاكم علي ، ولكن القاضي يكون هذه المرة قاضيا مدنيا ، وحين يستجوب هذا عليا ، يبرئه ويرى "أنّ هذا النوع من القضايا قد ازداد ازدياداً ملحوظاً في الآونة الأخيرة" ٠ والقاضي في هذه القصة هو استثناء ٠

وليس هناك تحديد لهوية الشخوص ، فنحن لا نعرف ان كان القاضي يهوديا غربيا أو يهوديا شرقيا ٠ وقد كان هدف الكاتب يتمثل في تصوير ما يلحق بالعرب من اضطهاد تحت الحكم الاسرائيلي ٠

وعلى الرغم من تجربة علي المريرة، فانه يرد على أمه التي طلبت منه ألاّ يعمل ثانية عند اليهود ، بالتالي :

"أنت مخطئة يا أماه ، ليس اليهود كلهم على مثال يعقوب ونسيم ، ولا المحاكم كلها من طراز المحكمة العسكرية"(٧٤) ٠

وتتكرر في قصة "الكمين" هذه النغمة - نغمة التمييز بين اليهود والتشديد على أن العرب ضحايا للسلطة - ٠ ويظهر ممثل السلطة في القرية التي يقيم فها العرب واليهود معا - وهو يهودي من سكان البلاد - يظهر الود للعرب والحرص على مصالحهم ، ولكنه يحذر ، في الاجتماعات السرية ، المهاجرين اليهود الجدد ، ويصف العرب بالتالي :

"لصوص لا يتورعون عن سرقة كل ما تصل إليه ايديهم ٠ مجرمون لا يحجمون عن ارتكاب القتل لأتفه الأسباب ، أهل فحش وفجور لا يرعون حرمة

ولا يصونون عهداً"(٧٥) ٠

وينجح ممثل السلطة هذا في إثارة المهاجرين اليهود ، غير أنهم لا ينساقون وراءه دائما ٠ إنّهم يتساءلون عن سبب العداء ، ومع مرور الوقت يكتشفون من خلال التجربة أنّ الصورة التي رسمها للعرب ليست صحيحة ٠ وأنّ جل قصده هو الاساءة إلى العرب والايقاع بينهم وبين اليهود ٠

وفي القصة نماذج يهودية غير ممثل السلطة ٠ هناك كلارا المهاجرة الرومانية التي يحاول يوسف -ممثل السلطة- أن يغريها ، وأن يوقعها في حبه ٠

كلارا هذه نموذج مغاير لليهوديات اللاتي ظهرن في نصوص فترة ما قبل ١٩٤٨ ٠ لقد عاهدت شابا رومانيا على الزواج ، واخلصت له ، وحافظت على عهدها ٠ ولا ترضخ كلارا لتهديدات يوسف -الذي وفّر لها فرصة عمل مميزة- حين يهددها بفصلها من عملها إن لم تستجب لرغباته ٠ ويصف القاص أيضا اليهود المغاربة ، وينعتهم بالغيرة ٠ ولا يرى أنّ اليهود سواسية ، فهناك يهود عقلاء من المهاجرين ، حالوا دون حصول اشتباكات خطيرة بين اليهود والعرب حين أوقع يوسف بينهم ٠

## ٢٠٣٠٢ : اليهود الغربيون : الضحية الجلاّد :

يكتب توفيق فيّاض(٧٦) الذي كان يتعاطف مع حركة الأرض(٧٧) عن الغربيين دون ان يميز بينهم ٠ وهو يرى ان هؤلاء هم الذين سببوا ، من خلال هجرتهم إلى فلسطين ، المشكلةالتي يعاني منها الفلسطينيون ٠

لقد نشر فيّاض عام ١٩٦٥ مسرحية تتكون من جزءين عنوانها "بيت الجنون" ، لم يذكر فيها اليهود مباشرة ، وقد لجأ في ذلك إلى الرمز(٧٨) ٠ ويمكن أن يفهم المرء هذه المسرحية جيداً حين يعلم أنّ اسرائيل سمحت لـ ٢٠٠،٠٠٠ مهاجر يهودي جديد بأن يقيموا في القرى العربية المهجورة قسراً ، ومنعت في الوقت نفسه سكان هذه القرى من العودة إليها(٧٩) ٠

ويرمز العنوان "بيت الجنون" إلى فلسطين وما حدث فيها بعد أن قدم إليها اليهود الغربيون واستوطنوا فيها ، ليقيموا ، فيما بعد ، دولتهم • وقد تحول هؤلاء من ضحية إلى جلاّد • وليس هناك سوى شخصية واحدة في النص• إن سامي الشاب العربي الذي كان يعمل مدرساً للتاريخ والآداب(٨٠) يفصل من وظيفته لأنّ السلطات ترى أنه يزيّف المعلومات ، رافضا أن يعلم الطلاب ما تنص عليه الكتب التي وضعتها السلطة • إنه ، ببساطة ، يرفض أن يعلم الطلبة كيف "يكونون ذئاباً بشرية مثلهم؟ كيف يمتصون الدماء"(٨١) •

ويجلس سامي في غرفته منزعجا ، ويشير مراراً إلى ريح غريبة غربية تهبّ على نافذته ، ويرى فيها سبب انزعاجه • وهاتان الصفتان للريح (غريبة وغربية) لا تتركان مجالاً للشك فيما يقصد إليه الكاتب • وعند قراءة النص مقرونا بالأحداث التاريخية التي شهدتها فلسطين إبّان هذا القرن ، يوافق المرء على ما ذهب إليه كنفاني حين قال إن المسرحية مسرحية رمزية ، وأنّ الجمهور الذي يخاطبه سامي في جزء منه هو اليهود المستوطنون(٨٢) •

وتبدو الريح الغربية لسامي ريحاً مجنونة جاءت لاغتياله :

«الريح الغربية مرة أخرى! هذه الريح المجنونة العاتية ••• إنّها تزهق روحي ، لا تهبّ إلاّ لاغتيالي ، حتى الريح -يا للعنة- جندوها لصالحهم»(٨٣) •

ولم تكتف هذه الريح بمضايقة سامي ، بطل المسرحية ، وحسب، بل إنّها تفعل أكثر من ذلك ، فلبنى صديقة سامي -وهي هنا رمز فلسطين- تحوّلت أيضا إلى طفلة ساذجة ، الى حيوان شرس • لقد تغيرت تماماً •

ولا يخفى هنا أنّ الكاتب يرى في اليهود الأوروبيين ممثلين للاستعمار الغربي الذي يغيّر معالم الطبيعة من خلال استغلالها :

«تغيرت تماما! إنّها لم تعد تلك التي كنت في حاجة إليها ! تلك الساذجة الطفلة !! ذلك الحزن الساكن في عينيها ، لقد تغيّر كل شيء ، إلى نمرة شرسة تحولت»(٨٤) •

هنا يحدد سامي ، موقفا ازاء ما فعلوه • لقد اقترحت انا -القاص في

رواية الحسيني على زميلاتها أن ينتشرن في هذا العالم لإصلاحه ، فاذا ما صلح العالم حلت مشلكتهن تلقائيا ، المشكلة التي سببها مجيء الدجاج الغريب- رمز اليهود الغربيين - إلى فلسطين للسيطرة على المكان وطرد سكانه • وعلى النقيض نجد موقف سامي: على الفلسطينيين ان يقاوموا ، وعليهم ألاّ يذعنوا • إن فلسطين هي وطنهم ، هي ملك لهم ، ولهم وحدهم • وهذا ما يكرره سامي غير مرة:

«إنني لا أسمح لكم أن تتسللوا إلى بيتي ، إلى حياتي الخاصة ، إنّها ملك لي، ولي وحدي»(٨٥)•

ويذهب سامي إلى أبعد من ذلك • لقد سلب كل شيء ، وطرد من وظيفته ، وبالتالي أصبح غير قادر على دفع أجرة بيته إلى المالك الذي تدعمه الدولة • والمالك هنا رمز لأصحاب رأس المال الذين تدافع عنهم الدولة(٨٦) •

ولا يميز سامي أيضا بين اليهود حين يصور نظرتهم إلى العرب - هنا يختلف توفيق فيّاض مع غيره من الكتاب الذين يقيمون في اسرائيل ، ويلتقي في رؤيته مع بعض كتاب المنفى مثل هارون هاشم رشيد • ويبين النص التالي تصوره لليهود ، وتصوره لتصور هؤلاء للعرب !

«لماذا تنظرون إليّ هكذا ؟ لماذا تتخذون جميعكم نفس الهيئة حين أنظر إليكم أو أحدثكم !؟ هذا التجهم القبيح ، هذا الصمت الرهيب ، هذه الشراسة الساكنة في أشداقكم ! يا إلهي ماأسرع أن تتحول سحناتكم إلى أشكال مفزعة ، إلى وجوه متوحشة بشعة ! حتى أنفاسكم •• ثقيلة وبطيئة ! وكأنها لهثات الذئاب المتضورة جوعا•• فحيح الأفاعي المتحرقة إلى الدماء عطشا ! (بجدية) لم أرتكب خطأ ، إنها الحقيقة»(٨٧) •

وعلى الرغم من هذا الرفض الحاد لليهود الغربيين ، الذي يقتنع به سامي جيداً ويرى أنه الحقيقة ذاتها ، وأنه لا يرتكب خطأً حين يفعل ذلك ، فانه يشير في ثنايا الكلام إلى أنّ اليهود هم أيضا جماعة سرقت حريتهم • هنا يتحدث سامي -ومن خلفه فيّاض- عن اليهود باعتبارهم ضحية ، نعم ضحية ولكن تحولت إلى جلاّد • لقد سرقت حريتهم وتاهوا وتشردوا وحرموا حقهم ،

بسبب الحرب ، من الحياة ٠ لكن هذا كله لا يمنحهم الحق في أن يفعلوا بالفلسطينيين ما فعله النازيون بهم :

"أن تهدم حريتي لتبني على انقاضها حريتها ، ان تسترد حريتها المسروقة في تشردها وتيهها ، وما سلبتها الحرب من حقها في الحياة من حريتي أنا ! أجل ، ان تنتزع رئتي لكي تتنفس هي بها! لقد علموها ذلك جيداً ٠٠ اولئك الذئاب!"(٨٨)

وليس سامي هو المسؤول عمّا لحق باليهود من ضيم وعذاب ، ولهذا يطالب بحريته ٠ أمّا الضحية التي تحولت إلى جلاد ، فلتذهب إلى الجحيم ما دامت تبني حريتها على حياة الآخرين(٨٩) ٠ ولأن اليهود كذلك ، فان بطل المسرحية لا يتوانى عن وصفهم بالذئاب ، ببشر مسخت الى قرود ، واوغاد ، وذوو نظرات خبيثة ، واشباح ، وجبناء يصنعون من دمه خمرهم(٩٠) ، والأهم من هذا كله انهم لا يدركون الحقيقة إلاّ بعد فوات الأوان ، "فهذه طبيعتكم"(٩١) ٠

إنّ اليهود ضحية ، ولكنها الضحية التي تتحول إلى جلاد حين تستطيع ممارسة هذا الدور(٩٢) ويظهر الفلسطينييون هنا الضحايا الجدد الذين يعانون من قسمة اليهود سابقا ٠

## ٣٠٣٠٢ : الاختلاف في بنية المجتمع بين العرب واليهود :

لقد أقامت مجلة "هعولام هازه" الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٦٧ ندوة تحت عنوان "مصائب المجتمع العربي في اسرائيل" ، وطلبت من المثقفين العرب هنا الادلاء بأرائهم عن اسباب تلك الظاهرة ، ولكنهم -كما يقول رئيس التحرير- لم يسمعوه سوى النقد والهجوم ٠ لقد رأوا في ذلك إشغالاً لهم بمعارك جانبية وانحرافاً عن لب المشكلة(٩٣) ٠ ليس غريبا إذن أن يظهر موضوع الاختلاف بين المجتمعين ، نادراً ٠ العمل الأدبي الوحيد الذي عرض لهذا الجانب هو رواية "عطا الله منصور"(٩٤) التي عنوانها "وبقيت سميرة" ٠

وقد نشأ عطا الله منصور في قرية يحكمها نظام أبوي ، على الأطفال فيه أن يخضعوا ويطيعوا أباءهم حتى سن متأخرة · وفي هذا المجتمع يبدو الفصل بين الذكور والإناث سمة مميزة له(٩٥) ·

عندما كان عطا الله منصور في السابعة عشرة من عمره ، شارك في دورة تعليمية في أحد الكيبوتزات ، وهناك تعرف على نمط حياة مغاير · فالعلاقات الاجتماعية التي تسود هناك ذات طابع ديمقراطي، وهناك قيادة جماعية تقود أمور الكيبوتز ، واكثر من هذا فثمة اعتبار لاحتياجات العضو وأمانيه ، ويقوم ذلك كله على الإقناع لا الإكراه(٩٦) ·

تتألف رواية عطا الله منصور من قسمين؛ يصور الأول منها حياة القرويين العرب ، ويركز على العلاقات الاسرية ، فيصور تسلط الاب الذي يجبر ابنه على الزواج من فتاة لا يريد الأخير الاقتران بها · ويشير هذا القسم ايضا الى ظاهرة عمل الفلاحين الفلسطينيين موظفين في الدوائر الانجليزية ، واضطهادهم لبعضهم البعض ، على الرغم من خضوعهم جميعا للانجليز · ويصف السارد ايضا الخلافات السياسية التي نشبت بين شخوص الرواية العرب ·

والفكرةالاساسية تتمحور حول زواج رياض من سميرة بضغط من والده · وهو على الرغم من شكوكه حولها بسبب رؤيتها ، ذات يوم ، مع علي ، الذي قبلهاعلى غير رغبتها، إلاّ أنه ينصاع لأوامر والده· ولا يشفع لسميرة توضيح الأمر له ، فالشكوك تلازمه ·

أمّا القسم الثاني من الرواية فيصف سقوط حيفا عام ١٩٤٨ · وينزح رياض الى لبنان ، ويتزوج هناك من امرأة ثانية دون ان يكون حسم الأمر مع سميرة التي تأخذ في هذه الفترة بالعمل في كيبوتز يهودي ، وهناك تتعرف على اليهود ، وتكتشف الفوارق بين المجتمعين : العربي واليهودي ·

يسرد هو القاص النص التالي ، ليصوّر تصوّر سميرة ، الفتاة العربية الريفية التي تنحدر من اسرة محافظة بطريركية ، لليهود :

"إنهم من الرجال والنساء ·· وعلاقتهم ببعضهم بعضا تثير في سميرة

عواطف متضاربة ، إنها تشعر بالحسد ، وأخرى بالاستغراب · إنها تحسدهم على العلاقات الأخوية التي تربطهم ، إنهم ينادون بعضهم بالأسماء مجردة من الألقاب · بعضهم يلبس ملابس الضباط، والآخر ملابس الجنود العاديين ، ولكنهم يتبادلون الأحاديث وكأنّهم إخوة · وكذلك فانهم يأكلون نفس الطعام وعلى نفس المائدة وأولادهم يرتدون نفس الملابس ، وحتى كبار الضباط منهم يعملون خدماً في المطعم حين يأتون إلى الكيبوتس ، وكأنهم إخوة"(٩٧) ·

ليس هذا الرأي ايجابيا وحسب ، إنه ينحاز إلى حياة اليهود · وكما ذكرنا آنفا ، يجبر الأب ابنه على الاقتران بفتاة دون أن يراعي رغبات الابن · وفي هذا المجتمع ايضا يضطهد عيسى أفندي ، الموظف لدى الانجليز ، صغار الموظفين من العرب هناك ، ويطلب منهم ان يمسحوا له حذاءه لأنه ، فقط ، أعلى رتبة منهم(٩٨) ·

وتملك سميرة أراء مسبقة عن اليهود ، ولكنها تكتشف من خلال التجربة ما يغير تلك الأراء · ويولد التناقض بين السماع ورؤية الرغبة لدى سميرة في معرفة المزيد · وتتشجع من ثمّ ، وتسأل سارة الفتاة اليهودية فيما إذا كان أطفال اليهود يعرفون آباءهم · لقد سمعت في قريته التي تقيم فيها أن الفتاة اليهودية تنام مع غير رجل، وبالتالي فهي لا تعرف ممن كان حملها ·

وتعلم سارة سميرة أنّ طبيعة الحياة لدى اليهود تختلف عنها لدى العرب، وما يردده الناس عن اليهود ، إنما يعود إلى كراهية هؤلاء لليهود ·

وتعجب سميرة ، التي عاقبها زوجها رياض لأنه رآها تقبل من علي قبل خطبته لها ، حين ترى حاييم وهداسا يقبلان بعضهما علانية ، ودون أن يكون بينهم رابط زوجي · فالناس في قريتها يرون في شيء كهذا عاراً كبيراً · وهنا تسأل سميرة سارة عن هذا السلوك اللا أخلاقي -حسب وجهة نظر سميرة- ، ويكون جواب سارة هو التالي :

«نحن هيك ماشيين ·· في أشياء بتضر الانسان وجماعته ، مثل الضرب ، القتل ، الغش الكذب ·· هذي ممنوع الواحد يعملها ·· وفي أشياء ما بتضرش

٠٠ هذي كل واحد حرّ فيها ومسؤول عنها قدّام نفسه ٠٠ وإذا كان له فيه رفيق ، هو ورفيقه حرّين ٠٠ يحددوا حدودهم مثل ما يرضى ضميرهم ٠٠ كل جماعة لها حدودها ٠ نحن حدودنا شكل ٠٠ وأنتم حدودكم شكل ٠٠ أمّا في الأساس كل الناس سوا ٠٠ ولما تتفتحي أكثر بتصيري تفهمي»(٩٩) ٠

إن فهم سارة للأخلاق يختلف كليا عن فهم سميرة لها ٠ إنّ المسؤولية الذاتية والموافقة الذاتية أيضا هما الأساس في تصور سارة للأخلاق ٠

ضمن هذه الرؤية يعقد السارد فصلاً من فصول الرواية ، يقارن فيه بين نظرة كل من الطرفين: العرب واليهود ، ونظرتهما للعلاقة بين الفتاة والشاب ٠

ترى هداسا أنّ العلاقة بين الفتاة والشاب يجب أن تقوم علنا لا سراً كما هي عند العرب ٠ وتستطيع الفتاة أن تحدد سلوك الشاب ازاءها ٠٠ ولا ترى أيضا ضيراً في أن يخرجا معا حتى لو لم يكونا متزوجين ، فمن الضروري أن يعرف كل منهما الآخر جيدا ٠ وهي لهذا السبب تركت حاييم ، فقد رأت فيه ما لايروق لها ٠ وتسأل سميرة هداسا متى أصبح الحال لدى اليهود كذلك ، فتجيبها الأخيرة :

«لمّا صاروا أهلنا يفهموا إنه البنت مش أوطى من الابن ، وصاروا يسمحوا للبنات يتعلموا ويشتغلوا فاهمة ؟ ولمّا البنت تطلع من البيت، وتصير تتعلم ، وتشتغل وتربح مصاري ، بتصير حرة ، بتتعرف على الشباب ، بتمشي معهم ، وبتتعرف على واحد منهم وبتتجوزه ، وهاي قصة طويلة ، مش قصة يوم ويومين»(١٠٠) ٠

وحسب وجهة نظر هداسا فان العرب ينظرون إلىالفتاة ، باحترام أقل من نظرتهم للرجل ، ولا يسمحون لها بالتعلم ، والقصة -كما تراها هداسا وكما يراها المؤلف- قصة زمن ٠

ولا يثير سؤال سميرة لهداسا واستماعها إلى رأيها حافزاً لاتخاذ موقف حول أيهما الافضل ، ولكنها حين تعلم أن رياض تزوج ثانية تختلط عليها الأمور ٠ وتشك في التقاليد الاجتماعية لمجتمعها ٠

وينحاز القاص نفسه إلى نمط حياة اليهود ٠

## هوامش الفصل الثاني

١- انظر الفصل الاول ، هامش ٦٢ ٠

٢- نجاتي صدقي مثال واضح لذلك ٠ وهو يستخدم في قصصه التي ألفها بعد عام ١٩٤٨ عبارات مثل "الصهيونية" و"اليهود الغزاة" : وهو ما لانعثر عليه في قصص صدقي قبل عام ١٩٤٨ ٠ انظر صدقي : الشيوعي وتحديدا قصة "عنبر رقم ٥" ، ص٨٣ - ٩٦ ٠

٣- انظر . . *Robins , 74* + *Lustick , 49* . + *Eisenstadt , 388*

٤- انظر . *Bunzl , 73 ff* + *Robins , 74* . + *Lustick , 123*

٥- انظر . *Lustick , 123* . + *Ansprenger , 99*

وحول العرب في اسرائيل انظر : صبري جريس ، العرب في اسرائيل ، بيروت ١٩٦٩ ٠

وانظر أيضاً *Every sixth Israeli , Relations between the Jewish Mayority and the Arab* + *Minority in Israel . Jerusalem , 1983* .

٦- حول تأسيس مجموعة الأرض انظر :

*Ansprenger , 108 ff* + *Eisenstadt , 399*

٧- انظر : . *Ansprenger , 92* . *Eisenstadt , 78*

٩- *Kampmann , 19*

وحول دور الرواد الأوائل في المجتمع الاسرائيلي انظر . *Eisenstadt , 35 ff*

١٠- انظر : *Wolff sohn , 175 ff*

١١- *Ansprenger , 92*

١٢- *Mejcher , 482 ff* + *Heller , 14 f*

١٣- انظر : فوزي الاسمر ، ان تكون عربيا في اسرائيل ، بيروت ١٩٧٨ (ص٩٠ من الطبعة الانجليزية) ٠

١٤- معمر : مذكرات ٤٠ ٠ ويتناقض هذا مع مضمون مجموعته القصصية "المتسلل ٠٠ وقصص أخرى" وقدم راشد حسين لاحدى قصائده على النحو التالي : "إلى الصديق اليهودي الذي سألني : لماذا لا تصف النقب والكيبوتس والموشاب في شعرك" (حسين ٠ ر :ص١٤٠) ٠

١٥- رشيد ، ٢٦٥ ٠ ويقدم رشيد لإحدى قصائده بالتالي "إلى اليهود ، الذين يطبقون تعاليم تلمودهم الذي ينضح بالاجرام" (رشيد ، ٢٣٥) ٠

١٦- تجدر الملاحظة هنا بأن ليس كتاب المنفى جميعا قد تناولوا في كتاباتهم فكرة تصوير اليهود ٠ ولم يكتب في هذه الفترة كل من معين بسيسو وسميرة عزام وفدوى طوقان وعبد الكريم الكرمي عن اليهود شيئا ٠

١٧- *Le Gassick 75* + *79* ٠

١٨- مع الغرباء (١٩٥٤) ، عودة الروح (١٩٥٦) ، غزة في خط النار (١٩٥٧) ، أرض الثورات (١٩٥٩) وحتى يعود شعبنا (١٩٦٦) ٠

١٩- انظر *Wild : Der Palastinenser , 399* ٠

٢٠- هارون هاشم رشيد : ولد في غزة ١٩٢٧ ، وأنهى دراسته المدرسية عام ١٩٤٧ ، عمل مدرساً في مدارس اللاجئين وهناك شاهد المأساة الفلسطينية حيث صورها في شعره ٠ ترك التعليم وعمل مذيعا في اذاعة "صوت العرب" بتكليف من م٠ت٠ف واصبح فيما بعد مسؤولا اعلاميا في قطاع غزة ٠ (العودات ، ٢١٩ وما بعدها) ٠

٢١- انظر قصيدة العدناني في الفصل الاول متن ملاحظة ٦٠ ٠ وقارنها بقصيدة رشيد "النشيد الاول" في ديوانه

"ارض الثورات" · (رشيد ٢٥٥ وما بعدها) ·

٢٢- كتب رشيد في اشعاره بعد ١٩٦٧ ، لأول مرة ، عن اليهودي الذي ضلله الصهيونية ، ولم ير في فلسطين أرض السمن والعسل ، ولذلك يطلب من زوجته سارة ان يغادرا هذه الديار معا · (رشيد ٥١١ وما بعدها) ·

٢٣- رشيد ، ٢٧٩ وما بعدها ·

٢٤- نفسه ، ٢٨٢ وما بعدها ·

٢٥- نفسه ، ٣٤١ وما بعدها · وانظر قصيدة "فرحة الوحدة" ٣٤٦ وما بعدها ·

٢٦- نفسه ، ٤٠٤ وما بعدها · ومهد الشاعر لقصيدته بالتالي :

«كتب الشاعر اليهودي ، شاعر عصابة الأرغون "أراخ" قصيدة حول نهر الأردن قال فيها : "ضفتا الأردن لنا ، الغربية وقبلها الشرقية هما ملك اسرائيل ، كل نهر له ضفتان ، وليس هناك أي نهر بدون ذلك ، والأردن المقدس لنا بضفتيه» ·

ورداً عليه باسم كل ما في العروبة من ثأر ووحدة ونضال أقول ··

٢٧- أول ديوان صدر له بعد ٦٧ حمل عنوان "فدائيون" ولم يمجد فيه العرب قاطبة ·

٢٨- ناصر الدين النشاشيبي : ولد في القدس ، صحفي وكاتب · تعلم في الجامعة الاميركية في بيروت واحرز الماجستير من كلية العلوم السياسية سنة ١٩٤٣ · أصدر جريدة "الوحدة" لوقت قصير ، ثم أصبح مديراً عاماً للإذاعة الاردنية ، واستقال ليصبح مندوباً متجولاً لدار أخبار اليوم القاهرية حتى ١٩٦٠ · عمل رئيس تحرير لجريدة الجمهورية حتى ١٩٦٦ ·

(أبو حمد) ·

٢٩- انظر *Haddad , 339* ·

٣٠- انظر النشاشيبي : حبات ، ٢٦٨-٢٧١ ·

٣١- النشاشيبي : حفنة ، ٢٤ ·

٣٢- نفسه ، ٢٨ · ويتكرر وصف اليهود بتصنع الابتسامة ·

٣٣- النشاشيبي : حبات ، ٢٩١ ·

٣٤- نفسه ، ٢٧٠ ·

٣٥- يلحظ هذا بوضوح في رواية "حبات البرتقال" ، ولا يتكرر لدى كتاب المرحلة جميعهم ، كنفاني يصور الانجليز كبش فداء ·

٣٦- تصور رواية "حفنة رمال" امرأة فلسطينية تثأر لمقتل ابنها الذي رفض بيع ارضه للوكالة اليهودية · وصور الكاتب فيها لجوء الوكالة اليهودية إلى تسخير فتاة ، يهودية الأم عربية الأب ، لإغراء الشاب العربي · ولأن الفتاة ترفض تمثيل هذا الدور تعمل الوكالة اليهودية على قتلها ·

٣٧- النشاشيبي : حبات ، ٢٦٥ · يعارض الكاتب هنا فيلم بن هور · عارض كثير من الكتاب الفلسطينيين كتاباً يهودا عملوا على إثارة العرب وتشويه صورتهم · يلحظ هذا لدى ابراهيم طوقان وهارون رشيد وأفنان القاسم الذي كتب قصة بعنوان "الذئاب والزيتون" رداً على قصة كافكا "اش أوى وعرب" · (القاسم · أ · الذئاب ، ١٣٥ وما بعدها) ·

٣٨- النشاشيبي : حبات ، ٢٨٩ ·

٣٩- نفسه ، ٣٠٧ ·

٤٠- نفسه ، ٣٠٩ ·

٤١- نفسه ، ٣١٣ ·

٤٢- انظر : *Mejcher , 482* ٠

٤٣- تتحدث لميا عن المطامع اليهودية تارة ، وعن المطامع الصهيونية طوراً (انظر ص٢٢٢) ولا يتطابق راي الكاتب مع رأيها بل يعارضه ٠

٤٤- غسان كنفاني : (١٩٣٦-١٩٧٢) ٠

ولد في مدينة عكا لأبوين مسلمين لم يترددا في تعلميه في مدرسة مسيحية في يافا ٠ هاجرت عائلته عام ١٩٤٨ إلى لبنان ثم إلى سورية ٠ حصل على البريفيه في السادسةعشرة من عمره ، وبدا بعدها في التدريس في مدرسة تابعة للأونروا ٠ دعته عام ١٩٥٥ حركة القوميين العرب للعمل محرراً في جريدة "الرأي" ٠ عام ١٩٥٦ سافر إلى الكويت ليعمل مدرساً ، واقنعه الدكتور جورج حبش أن يغادر إلى بيروت ليعمل في صحيفة الحرية ، ففعل ذلك وغادر الكويت عام ١٩٦٠ ٠ رئس عام ١٩٦٣ تحرير مجلة المحرر المؤيدة للخط الناصري ثم فيما رئس تحرير مجلة الهدف إلى أن اغتالته المخابرات الاسرائيلية في ١٩٧٢/٧/٨ ٠

(انظر : غسان كنفاني : الرجل تحت الشمس ، اعداد يعقوب حجازي وانطوان شلحت ، عكا ١٩٨٠ ٠ ص٤٣-٦٨)٠

٤٥- انظر ، على سبيل المثال ، قصة "ورقة من الرملة" وقصة "ورقة من الطيرة" (كنفاني : القصص ، ٢١٩-٢٢٩) ٠

٤٦- كنفاني : القصص ، ٦٥٨ ٠ وكتب النشاشيبي في رواية "حفنة رمال" شيئا قريبا من هذا ٠ هكذا تقول سارة اليهودية الأم العربية الأب : "أنا أريد أن اعيش بسلام مع السكان العرب في هذه البلاد ، وأن يبقى يهود أوروبا في أوروبا وتبقى فلسطين لأهلها ٠٠ لنا ٠٠ ولكم" (النشاشيبي : حفنة ، ٤١) ٠

٤٧- كنفاني : القصص ، ٦٦١ ٠

٤٨- اعتمد هنا على طبعة دار الاسوار عكا ١٩٧٧ ٠ وحول هذه الرواية انظر :

*Siddiq , 24 - 37* ٠

٤٩- كنفاني : ما تبقى ، ص٥٣ ٠

٥٠- وصف العبوشي اليهود بالجبن (انظر : العبوشي ، ٧٢ وما بعدها)

٥١- كنفاني : القصص ، ٦٤١ ٠ وما يجدر ذكره هنا أن هذه النقطة لعبت دوراً مهماً في أدب المنفى بعد عام ١٩٤٨ ٠

٥٢- معمر : مذكرات ، ٥ ٠

٥٣- عباسي ، ٤٨ ٠

٥٤- نفسه ، ١٠٥ ٠

٥٥- نفسه ، ١٢٦ ٠

٥٦- مزار ، ٢٢ ٠

٥٧- نفسه ، ٢٤ وما بعدها ٠

٥٨- طه : لكي تشرق ، ١٠٧ ٠

٥٩- يتضح هذا ايضا من خلال ما يلي : لقد كتب توفيق معمر قصصا قصيرة ، نعثر في ثلاث منها على شخصيات يهودية ، بطل اولاها يهودي بولوني وهو نموذج سلبي (المتسلل ص١٦ وما بعدها) وبطل ثانيتها يهودي فلسطيني، وهو نموذج سلبي (المتسلل ص٣٥ وما بعدها) وبطل الثالثة نموذج ايجابي وهو غير واضح المعالم (المتسلل ص٥٠ وما بعدها) ٠ وستدرس هذه القصص في هذا الفصل ٠ وكتب حنّا ابراهيم قصتين ، بطل أولاها يهودي فلسطيني ايجابي (ابراهيم ص٨٢ وما بعدها) وستدرس هذه القصة في هذا الفصل ٠ وبطل الثانية يهودي عراقي (ابراهيم ١٠٧) ٠

وكتب فرج سلمان قصة عنوانها "انسان" يصف فيها يهوديا أوروبيا يتعاطف مع الحيوان ويقتل الانسان (سلمان ، ص٤ وما بعدها) ٠ وكذلك هناك قصتان لسليم خوري في مجموعته "الوداع الأخير" هما "في المحطة" و"مخالفة" وهما قصتان عاديتان جداً ٠

٦٠- مثل قصيدة راشد حسين "الله لاجىء" (حسين ٠ ر : ٢٢٠) وانظر هامش ٦٥ من هذا الفصل ٠

٦١- مثلا قصة محمد علي طه "عاصفة في عش" (طه : لكي تشرق ، ٩٩ وما بعدها) ٠

٦٢- توفيق زياد : ولد في الناصرة ، درس الابتدائية والثانوية في مدارس المعارف ، انضم في جيل مبكر إلى الحركة الشيوعية ، ويقول إنه يدين بثقافته كلها إلى ما درسه في الحزب الشيوعي الاسرائيلي ٠ أصدر عام ١٩٧٠ كتابا عن الأدب الشعبي الفلسطيني (أبو حمد ، ١١٥) ٠

٦٣- زياد ، ٧٥٠

٦٤- نفسه ، ٩٤ ٠

٦٥- نفسه ، ٧٥ وما بعدها ٠ وهنا نشير إلى الشاعر راشد حسين -ذو اتجاه قومي- حيث نشر قصيدة ساخرة احتجاجا على قانون مصادرة املاك الغائب الذي يهدف إلى مصادرة الممتلكات العربية التي هاجر أصحابها ، وبموجبه صودرت املاك الوقف الاسلامي ٠ والقصيدة عنوانها "الله لاجىء" ، وفيها ما نصه :

أنا لو عصرت رغيف خبزك في يدي  لرأيت بعض دمي يسيل على يدي ٠

(حسين ٠ ر : ص٢٢٠ وما بعدها)

ولا أعتقد أن الشاعر يقصد تكرار ما أشيع عن اليهود حول ذبح الاطفال لعجن خبز اليهود بدماء أطفال غير اليهود ٠ (انظر : حبيب فارس ، صراخ البرىء في بوق الحرية ٠ وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٨٩٠ في مصر ، ثم اعاد عبد العاطي جلال نشره تحت عنوان "الذبائح البشرية التلمودية" عام ١٩٦٢ في القاهرة) ٠

ومما يلفت النظر أن هذه الاشاعة لم تتكرر في الأدب الفلسطيني إلا نادراً ٠ وقد وصفهم هاشم رشيد عام ١٩٥٧ بهذا (رشيد ، ٢٨٢) وكرر ذلك في روايته "سنوات العذاب" (انظر : *Le Gassick , 81* والرواية غير متوفرة لي) ٠ ويشير جبرا في روايته التي نشرت عام ١٩٨٧ إلى أن الأمهات كن يرددن ذلك حين كان طفلا ٠ (جبرا : البئر ، ص٨٤) ٠

٦٦- زياد ، ١٨٣ وما بعدها ٠

٦٧- نستخدم هنا مفردة السلطة ، لأن الشاعر لم يذكر الصهيونية بالاسم إلا بعد عام ١٩٦٧ ، وبالتحديد حين قدم لقصيدة "سرحان والماسورة" (زياد ، ٣٨٠) ٠ وكان الشاعر يتحدث دائما عن الحكام ، وحكام اسرائيل يجاهرون بصهيونيتهم ٠ ويبدو أن الشاعر لم يكن يجرؤ ، في حينه ، على مهاجمة الصهيونية ذكرا ٠

٦٨- حنا ابراهيم الياس : (١٩٢٧ - ـــ) ولد في قرية البعنة ، ودرس في مدرستها ، ثم أكمل دراسته الثانوية في عكا ٠ صادف انتهاء دراسته انتهاء الحرب العالمية الثانية وتسريح العمال وانتشار البطالة ، فاضطر إلى الالتحاق بخدمة البوليس ، وظل حتى انتهاء مدة الانتداب البريطاني (أبو حمد ، ١٤٥) انتسب إلى عصبة التحرر الوطني ، وعمل محرراً في صحيفة الاتحاد الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي (انظر غلاف مجموعته ازهار برية) ٠

٦٩- نشرت القصة في مجلة الجديد (عدد٤) عام ١٩٥٤ ، ثم نشرت ثانية ضمن مجموعة "أزهار برية" ٠ وحول القصة انظر بلاّص ١٠٢ ، حيث رأى هذا أنها القصة الوحيدة ، في الأدب العربي ، التي رسم فيها مؤلفها شخصية يهودية مقنعة ٠

٧٠- ابراهيم ، ٨٩ ٠

٧١- توفيق بشارة معمر (١٩١٧-١٩٨٥) :

ولد في الناصرة ودرس فيها ، ثم درس في الكلية الاسكتلندية في صفد ، وانهى دراسته في الجامعة

الاميركة في بيروت · وأحرز شهادة معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس · من مؤلفاته رواية بعنوان "بتهون" ١٩٥٩ · (وهي غير متوفرة لي) · (أبو حمد ، ١١٥) ·

٧٢- معمر : المتسلل ، ٣٥ · ويسخر فرج سلمان في قصته "يحيا العدل" من الأحكام التي تصدر بحق العرب (انظر سلمان ، ٣٥-٤١) ·

٧٣- معمر : المتسلل ، ٢٧ وما بعدها

٧٤- نفسه ، ٤٩ ·

٧٥- نفسه ، ٥٢ ·

٧٦- توفيق فياض : (١٩٢٩ - ـــ) : ولد في قرية المقيبلة قرب الناصرة · انهى دراسته الثانوية في الناصرة ، وعمل مدرسا بضع سنين ثم تعرض لتهمة أمنية وقضى سنين عديدة في السجن ، أبعد بعدها ، ليعيش في مصر اولا (أبو حمد ، ١١٦) ثم بعد ذلك في بيروت وتونس ·

٧٧- انظر *Seekamp , 300* ·

٧٨- كتب غسان كنفاني تمهيداً للمسرحية حين اعاد نشرها في العالم العربي ، وأشار فيها إلى رمزية النص ، وذهب إلى أن الجمهور الذي يخاطبه سامي هو المستوطنون اليهود · (انظر كنفاني : الدراسات ، ٤٤٢ وما بعدها)·

٧٩- انظر *Bunzl , 72* ·

٨٠- يذهب كنفاني إلى أن سامي قد يكون فياض نفسه · ويتطابق هذا مع ما عرف عن المؤلف (انظر كنفاني : الدراسات ، ٤٤٢)

٨١- فياض : بيت ، ٤٣٥ ·

٨٢- انظر هامش ٧٨ من هذا الفصل ·

٨٣- فياض : بيت ، ٤٥٦ ·

٨٤- نفسه ، ٤٥١ ·

٨٥- نفسه ، ٤٣٦ ·

٨٦- نفسه ، ٤٣٤ ·

٨٧- نفسه ، ٤٤٧ ·

٨٨- نفسه ، ٤٥٣ · ونذكر هنا أن راشد حسين رأى أن السبايا هذه المرة هم الفلسطينيون لا اليهود ، وان السابي ليس نبوخذ نصر ، بل اليهود أنفسهم · يقول :

يا سبي بابل من هداك إلى هنا فسبيتنا
كيف اخترقت ضلوع آلاف السنين وجئتنا
قل لي أعاد (نبوخذ) أم أنت وحدك زرتنا
(حسين · ر : ١٤٢)

٨٩- فياض : بيت ، ٤٣٧ ·

٩٠- حول إشاعة سحب دم غير اليهود انظر ملاحظة ٦٥ من هذا الفصل ·

٩١- نفسه ، ٤٤٨ ·

٩٢- ان موتيف ان اليهود تحولوا من ضحية إلى جلاد ، يظهر في اشعار محمود درويش · لقد كتب هذا بعد حرب ١٩٨٢ التالي :

ضحية
قتلت

ضحيتها

وكانت لي هويتها

انادي اشعيا : اخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا ، ازقة

أورشليم تعلق اللحم الفلسطيني فوق مطالع العهد القديم ،

وتدعي أن الضحية لم تغير جلدها ٠

(درويش : مديح ، ٦٤)

٩٣- بهذا الخصوص انظر كنفاني : المقاوم ، ص٤١-٤٨ ٠

٩٤- عطا الله منصور ولد في قرية الجش ١٩٣٤ ٠ صحفي عمل في جريدة هآرتس محرراً للشوؤن العربية فيها ٠ صدر له كتاب بالانجليزية عنوانه "بانتظار الفجر"

(ابو حمد ، ٢٧٨)

٩٥- انظر : *Robins , 63 - Lustick , 155 ff* ٠

٩٦- أنظر :

*H . Darin - Drabkin : Der Kibbuz . Stuttgart , 1967 . S 86 neue Gesellschaft in Israel , Die*

عام ١٩٤٧ عاش في الكيبوتس ٧,٥٪ من مجموع السكان في اسرائيل ، عام ١٩٥٥ أصبحوا ٥٪ ، وعام ١٩٦٥ ٣,٥٪ ٠ (انظر المصدر نفسه ص٧٤) ٠

٩٧- منصور ، ١١٩ ٠

٩٨- نفسه ، ٥٠ وما بعدها ٠

٩٩- نفسه ، ١٢٢ ٠

١٠٠- نفسه ، ١٢٥ ٠

ويقول موريه حول هذه الرواية : "إن اكثر رواية نجاحا هي رواية "وعادت سميرة" لكاتب صحفي شاب هو عطا الله منصور" انظر :

*Moreh : Studies , 171* ٠

والعنوان الصحيح للرواية "وبقيت سميرة" وليس كما ذكر موريه ٠

## صورة اليهود في الأدب الفلسطيني بين عام ١٩٦٧/١٩٨٧م٠

١٠٣ مدخل :

شهدت منطقة الشرق الأوسط بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٧ حربين بين الدول العربية المحيطة باسرائيل واسرائيل ، وهما حربا ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ٠ وخلال هذه الفترة كانت ايضا هناك مواجهات عديدة بين الفلسطينيين والجنود الاسرائيليين ، مثل معركة الكرامة (١٩٦٨) ، ومعركة الجنوب اللبناني (١٩٧٨) وحرب لبنان عام ١٩٨٢ ٠ وقد ربح الفلسطينيون في هذه المعارك وعيا عسكريا بالذات ٠

ما هو مهم ، هو أنّ الصراع بعد حرب حزيران ٦٧ قد تغيّر ٠ فلم يبق الفلسطينيون مجرد "لاجئين عرب" ، كما أخذت اسرائيل تعتبرهم بعد تأسيسها ٠ لقد اصبحوا شعبا يحاول استرداد هويته وأرضه المفقودة(١) ٠

إن الانتصار الاسرائيلي السريع في حرب حزيران ٦٧ قاد إلى ما يلي : لقد أخذت اسرائيل تحكم مليون مواطن عربي الى جانب اولئك الباقين على أراضيهم منذ عام ١٩٤٨ ، وهؤلاء جميعا شكلوا حتى عام (١٩٧٦) ٣٤٪ من مجموع السكان ٠ وقد رأى الحكم الاسرائيلي في هذه الزيادة تهديداً للدولة اليهودية ٠ ولذا فقد اقترح حزب العمل ، الذي تولى السلطة حتى عام ١٩٧٧ ، حلاً اقليميا مع الأردن ، تتنازل اسرائيل بموجبه عن المناطق المكتظة سكانيا في الضفة الغربية ٠ خلافا لهذا ، فقد كان الليكود الحاكم منذ عام ١٩٧٧ ، والذي يلقى تأييداً كبيراً من اليهود الشرقيين ، ذا موقف آخر ٠ إنه يحلم باسرائيل الكبرى دون عرب ٠ ومع ذلك فكلا الحزبين مارس سياسة تمييز بين اليهود والعرب أدت إلى إدانة الصهيونية عام ١٩٧٥ من هيئة الأمم المتحدة باعتبارها حركة عنصرية(٢) ٠

ولقد اتبعت السلطات الاسرائيلية العسكرية ، لكي تنهي مقاومة أهل المناطق المحتلة لاحتلالها ، أساليب وحشية : العقاب الجماعي ، ونسف البيوت ، ومنع الأحزاب السياسية(٣) ٠ ورفضت هذه السياسة من أحزاب اسرائيلية

وحركات سياسية ناشئة ٠ لقد اخذ الحزب الشيوعي الإسرائيلي ينادي بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة ، ولم يكتف بذلك ، بل اعترف بحق الفلسطينيين في تأسيس دولة خاصة بهم ٠ والشيء ذاته أيضاً نجده لدى حزب شيلي الذي نادى بدولتين لشعبين ، باعتبار ذلك الحل الأفضل لمشكلة الشرق الاوسط ٠ ورأت حركة "السلام الآن" ، التي تشكلت عام ١٩٧٨ كرد فعل على سياسة حزب الليكود ، أنّ الاحتلال يفسد أخلاق المجتمع الاسرائيلي ٠ ولم تكتف حركة "الفهود السود" ، التي تأسست في السبعينات من مجموعات اليهود الشرقيين كتحد لسياسية التمييز المتبعة ضدهم ، لم تكتف بالمطالبة بالمساواة لليهود الشرقيين فقط ، بل طالبت بحق المساواة لجميع المواطنين ٠ ولم تكتف جماعة "ناطوري كارتا" بمطالب كهذه ، وذهبت إلى حد قبول مشروع الدولة العلمانية الذي اقترحته حركة "فتح" عام ١٩٦٨(٤)٠

على الجانب الفلسطيني كان هناك ثمة تطور له مغزى ٠ إن حركة "فتح" التي انطلقت عام ١٩٦٥ أخذت تقتنع بعد حرب ١٩٦٧ أكثر فأكثر بأن الفلسطينيين انفسهم هم القادرون فقط على حلّ مشاكلهم ٠ ونتيجة لهزيمة ٦٧ فانّ جزءاً من حركة القوميين العرب انتهج الماركسية خطاً له ٠ واقترحت "فتح" عام ١٩٦٨ مشروع الدولة الديمقراطية ٠ وأصبح الصراع ليس صراعاً بين العرب واليهود ، بل بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية كحركة استعمارية(٥) ٠

بعد الحرب الأهلية في الأردن عام ١٩٧٠ ، ازدادت قناعة الفلسطينيين بأنّ حل مشكلتهم يكمن فقط ، في تأسيس دولتهم ٠ وعلى إثر حرب اكتوبر ، وافقت منظمة التحرير على إقامة دولة فلسطينية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ٠ واعتُبِرَت المنظمة في مؤتمر القمة العربي في الرباط الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وقد لاقى هذا قبولا حسناً لدى غالبية الفلسطينيين العظمى ٠

وفيما يخص العرب المقيمين على أراضيهم منذ عام ١٩٤٨ ، فقد

تظاهروا عام ١٩٧٦ احتجاجاً على مصادرة أراضيهم ٠ ولم يترددوا في اعتبار انفسهم جزءاً من الشعب الفلسطيني(٦) ٠ وتفوه مواطنو الضفة الغربية وقطاع غزة باستمرار مفصحين عن رغبتهم في إقامة دولة خاصة بالفلسطينيين ٠ وفي انتخابات المجالس البلدية لعام ١٩٧٦ نجح ممثلو م٠ت٠ف٠

ولم يحدث تغير يذكر بخصوص العلاقة بين العرب واليهود ، لقد بقي الحال كما هو في الفترة السابقة ٠ وقد وصف "*Ian Lustick*" العلاقات بين الطرفين على النحو التالي : "وفي الحقيقة فان الاتصال الاجتماعي ، بكل انواعه، بين الطرفين محدودٌ جداً ٠ إن نسبة التزاوج ضئيلة ٠ وفي دراسة أجريت بين طلبة مدرسة يهودية ثانوية عام ١٩٧٥ تبين أن ١٦٪ فقط ممن قوبلوا قالوا إنهم كانوا على اتصال مع العرب"(٧) "وبناءً على مسح اجري عام ١٩٦٨ فان ٩١٪ من اليهود الاسرائيليين اعتقدوا بأنه من الأفضل لو كان العرب أقل ، وأنّ ٨٠٪ يعتقدون بأن كل عربي يكره اليهود ٠ وقال ٨٦٪ بأنهم يرفضون تأجير غرفة لعربي ، كما أنّ ٦٧٪ لا يوافقون على اتخاذ عربي جاراً لهم"(٨)٠

وما هو ثابت ، هو أنّ الأحداث العسكرية والتطورات السياسية تركت أثرها على الأدب ٠ إنّ مشروع الدولة الديمقراطية المقترح ، وانتشار الماركسية بين الكتّاب ، وكذلك التطورات على الجانب الاسرائيلي ، قد انعكست على تصور اليهود والعرب ٠ وهكذا فانّ معظم المؤلفين لم يقسموا العالم إلى يهود ولا يهود ، بل رأوا في الصهيونية حركة استعمارية تقوم على التمييز بين المواطنين ٠

## ٢٠٣ رفض تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود :

في ١٨ نيسان ١٩٨٨م نشر محمود درويش(٩) في مجلة "اليوم السابع"(١٠) الصادرة في باريس ، مقالاً تحت عنوان "هستيريا القصيدة"(١١) عبّر فيه عن موقفه من تقسيم العالم إلى عالمين : عالم اليهود وعالم اللايهود ٠ ومما ورد فيه :

«إنّ الاسرائيلي هو الذي يفقر ذاته وموضوعه · ويزيدها افقاراً بتربية خوف غريزي من عدو لا بدّ منه ، هو عدو مصنوعٌ بعناية فائقة ، عدو لا عَدوّله إلاّ اليهودي منذ بدء الخليقة وإلى الأبد ··· إنّ العالم المنقسم إلى عالمين : اليهود واللايهود ليس عالمنا ·· لأننا لسنا يهوداً ، ولأننا لا نقبل أنْ نعرف هويتنا بأننا لا يهودَ» ·

ورؤية محمود درويش هذه ، تجد حضوراً لها في معظم الأعمال الأدبية التي ألفت بعد عام ١٩٦٧(١٣) · وكان درويش نفسه قد نظم بعد هزيمة حزيران قصيدة يتغزل فيها بفتاة يهودية ، ذاهباً إلى أنّ الشيء الوحيد الذي يحول بينه وبينها هو الحرب بين قومي الطرفين :

بين ريتا وعيوني بندقية
والذي يعرف ريتا ينحني
ويصلي
لإلهٍ في العيون العسلية(١٤) ·

ونعثر في النثر على أقوالٍ يرفض قائلوها أيضا تقسيم العالم الى عالمين : اليهود واللايهود ، وتحتوي الروايات في داخلها على شخوص يهود -وعرب أيضا- لا يرون انّ يهوديتهم هي التي تحدد موقفهم من العالم ، ولا تعني يهوديتهم -بالنسبة للقاص- أنّهم شر خالص أو خير خالص · إن موقفهم الطبقي هو الذي يحدد موقفهم من الآخرين ، والشيء ذاته للآخرين ·

هكذا يقول السارد في حكاية سميح القاسم "إلى الجحيم ايّها الليلك" (١٩٧٧) : «سام او حام أو يافط ، هذه الأمور الاثنولوجية لا تعنيني كثيراً»(١٤)

وتكرر الشخصية الرئيسية -ومن خلفها الكاتب نفسه- في رواية أفنان القاسم "المسار" (١٩٨١) ، حين تخاطب زنجيا يرضى أن يكون مضطهداً -

تكرّر رؤية السارد في حكاية سميح المذكورة : «قلت لك ، إني شرير ، شرير هارب ، وهم يتربصون بي ... ليست القضية قضية أسود أو أبيض ، ولا جلد اسود وجلد ابيض ، ولا أفكار أم تعسة ضالة وأفكار شركة لتصدير واستيراد الرق ، ليست القضية زنجي يدعى كذلك ، أو عربي يدعي كذلك ، أو يهودي يدعي كذلك ، فالقضية إذا بنيت على هذا الأساس فهي من الأصل خاطئة»(١٥) ٠

ولا تستخدم اغلبية الكتاب الدين أو الانتماء إلى وطن عنصراً يميز بين الشعوب ، بحيث أنّ من ينتمي إلى هذا الدين او ذلك العرق يمتاز عن غيره ٠ إنّهم يرون في الشعب طبقات ، بل ويعثر في الطبقة نفسها على نماذج بشرية مختلفة ٠ والفرد هنا قابل للتشكل وفقاً لظروفه الاقتصادية والاجتماعية ٠ ولكنّ هذا لا يعني أنّ الكتاب يتجاهلون حالة العداء بين الطرفين بحيث يُنسى الماضي نهائياً ، ويتساوى نص الخطاب في الحديث عن الطرفين ٠

حقاً إنّ اليهودي كيهودي لم يعد شراً خالصاً ، ولكنه لم يصبح أيضا خيراً خالصاً ٠ لقد أخذ المؤلفون ، على أية حال ، يميزون بين يهودي ، ويهودي صهيوني ، واسرائيلي صهيوني ٠

ويتفق الكتاب على أنّ دولة اسرائيل تنفذ الخطة الصهيونية ، ولكنهم يختلفون في طريقة التعبير ٠ ولا يستخدم بعض منهم ، اطلاقا ، مفردة "الاسرائيليين" أو "السلطة الاسرائيلية" ، ذلك أنهم ، على ما يبدو ، لا يعترفون اطلاقا باسرائيل ٠ ومن هؤلاء رشاد ابو شاور في روايته "أرض العسل" (١٩٧٩) ٠ صحيح أن الزمن الروائي يرتد إلى ما قبل تأسيس دولة اسرائيل ، ومن الطبيعي ألاّ يكون هنا حديث عن اسرائيلي أو عن اسرائيل ، إلاّ أنّ الزمن الكتابي ذو دلالة أيضا ٠ وقد جاء في مقدمة الرواية ما يلي :

«هذه الرواية كتبتها للفتيان عام ١٩٧٣ ، وأردت منها أن تملأ قلب وعقل الفتى العربي بالحقد عل الصهيونية والاستعمار»(١٦) ٠

وخلافا لأبو شاور فان سحر خليفة ، التي تعيش في المناطق المحتلة ، لا تتردد في روايتها "الصّبار" (١٩٧٦) و "عبّاد الشمس" (١٩٨٠) في استخدام مفردة "اسرائيل" و"اسرائيلي" ، ليس فقط على لسان السارد ، بل أحيانا على

لسان الشخصيات الروائية(١٧) · والشيء ذاته نلحظه لدى معين بسيسو ، الذي عاش في المنفى ، في مسرحيته "شمشون ودليلة" (١٩٧١)(١٨) ·

أمثلة أخرى نعثر عليها في كتابات افنان القاسم ، الذي يعيش في باريس، وبخاصة حين يكون الزمن الروائي هو تلك الفترة التي أعقبت حرب ٦٧ · إنّ الجزء الثالث من رواية "المسار" يصوّر احداث هذه الفترة ، وفيه ينعت السارد الجندي الاسرائيلي بالصهيوني ، خلافا لما يلحظ في الجزء الاول من الرواية نفسها ، الجزء الذي يجري زمنه الروائي بين عام ٤٨-١٩٦٧(١٩) ·

إنّ التفكير الذاهب إلىعدم تقسيم العالم الى عالم اليهود وعالم اللايهود يعبّر عنه بثلاثة موتيفات هي :

أولاً : اليهود العرب ضحاياً للصهيونية ، ويعاملون في اسرائيل مواطنين من الدرجة الثانية ·

ثانياً : اليهود الفلسطينيون ضحاياً للصهيونية ·

ثالثاً : الجندي الاسرائيلي ضحية للصهيونية ·

## ١٠٢٠٣ اليهود العرب ضحايا للصهيونية :

إن قسماً لا بأس به من النصوص الادبية يتضمن هذا التفكير ، وبخاصة عندما يتحدث الكتّاب عن اليهود العرب باعتبارهم عربا مقابل اليهود الغربيين باعتبارهم غربيين · وهكذا يعثر المرء على نماذج ادبية اصلها مغربي أو عراقي أو يمني أو مصري · ويعتبر هؤلاء من وجهة نظر الكتاب ضحايا طردت من أرضها التي كانت تعيش عليه بأمان ، على غير رغبتها ، لكي تحيا في اسرائيل مواطنين من الدرجة الثانية(٢٠) · إنّها من وجهة نظر الكتّاب ، أو من وجهة نظر الشخصيات القصصية العربية ، أو حتى من وجهة نظرها هي باعتبارها شخصية قصصية ، ضحية إمّا للصهيونية وإمّا للأنظمة العربية الفاسدة

التابعة للاستعمار • وتنعت الأخيرة من الشخصيات القصصية العربية بأنها أيضا سبب في سوء حال الفلسطينيين •

ويطالعنا نموذج اليهودي العربي المضطهد في قصة غريب عسقلاني "الجوع"(٢١) (١٩٧٧)• عزرا اليهودي يمني تمزقت اظافره من العمل ، وعلى الرغم من ذلك لا يتمكن من علاج ابنته المريضة ، لقد دفع نقوده كلها ، وعمل حتى هزل جسده ، وذات يوم يفقد قواه في العمل فيقع ويراه صاحب العمل -وهو غالباً ما يكون يهوديا غربياً- فيطرده دون أن يتفهم وضعه أو يشعر معه • يطرده كما يطرد العمال العرب الذين يتعاطفون معه •

يقترن هذا الاضطهاد غالبا بنزعة تعالي اليهودي الغربي على اليهودي الشرقي ، وبمحاولة إقامة الأول حاجزاً في أثناء تعامله مع الثاني باعتباره متحضراً أمام المتخلف الشرقي • إن النص التالي من قصة مصطفى صالح "أرض العسل" (د•ت) يرد على لسان يعقوب الشرقي :

«لم يَدُر في خلدي ساعة خروجي من بلادي مهاجراً أنهم سيحرمون عليّ حبّ فتاةٍ شقراء لأنني قادم من احد بلدان الشرق الأوسط ، لم يكن لوني أسود قاتماً ، لكنني لم أكن في مثل بياضهم وشقرتهم»(٢٢) •

وما يرد على لسان الضابط اليهودي الغربي في رواية سميح القاسم "الصورة الاخيرة في الألبوم" ليس سوى تأكيد على هذه الفكرة التي يذهب إليها الكتاب العرب • هكذا يخاطب الأب (الضابط) ابنته (روتي) التي لا ترغب في الزواج من صديقها اليهود الغربي :

«حسناً ! لا تتزوجي الضابط يورم •• ابحثي لك عن شاعر بوهيمي تتسكعين معه في مقاهي ديزنغوف ••• والأفضل أن يكون "شفارتسي خايي" من هؤلاء السفارديم الذين لا يجيدون القتال ، ولا يحسنون سوى التكاثر كالأرانب وانتظار الصدقات من وزارة الشؤون الاجتماعية • انظري إليهم ، أنظري إلى شبانهم يتسيبون في الشوارع، يعاكسون الفتيات ويرتكبون الجرائم! لا يعجبك يورم! الضابط الاشكنازي يورم لا يعجب ابنتنا طالبة الأداب •• هيء هيء •• إلى أين وصلنا؟»(٢٣) •

ونعثر في قصة عبد الله تايه "العربة والليل" (١٩٨٢) على نموذج لليهودي العربي الذي هاجر بسبب فساد الأنظمة العربية أو غبائها ٠ إنّ ابراهام اليهودي العراقي المقيم في اسرائيل ما زال يحن إلى العراق ، وطنه الأم ، ويرفض لهذا أيضاً أن يضطهد الفلسطينيين ، ولا يتوانى ان يحث ابنه الجندي على عدم قتل أي فلسطيني ٠ إنّ النص التالي يبين لنا ما كان يدور في ذهنه حين يتذكر أيام رحيله عن بغداد :

«البقاء في بغداد كان معناه مزيداً من المهانة والتنكيل ٠٠٠ لا بدّ من المغادرة ٠٠ ولم تمضِ أيام حتى بدأت الاستفزازات ضدنا تزداد ٠٠ آه يا أبو عزيز أنت تعرف كم يكون الوطن غالياً ٠٠ وتعرف كم يكون الابتعاد عن مسقط الرأس ، عنوةً ، موجعاً ٠٠ النظام في ذلك الوقت لم يكن يعي أبعاد الأزمة ٠٠ أرغمونا على ترك العراق ، وساهمت في ذلك دعاية الهجرة ، ثمّ صوروا الأمر بمحض إرادتنا ٠٠»(٢٤) ٠

الاستثناء الوحيد لهذه النماذج اليهودية التي تشعر بغبنها في المجتمع الاسرائيلي نعثر عليه في رواية نبيل خوري "ثلاثية فلسطين" (١٩٧٤ ٠ راؤول اليهودي اللبناني يترك لبنان مختاراً ، ويعطي ولاءه لدولة اسرائيل لا لمكان مولده ، وإلى اسرائيل ينتمي ايضا ويدافع عن انتمائه ٠ ويجيب صديقه اللبناني، الفلسطيني المولد والنشأة ، كمال بطل الرواية ، يجيبه حين يسأله كمال عمّا إذا كان احد ما اضطهده في لبنان ، او اضطهد والديه اللذين ما زالا يعيشان في لبنان ، قائلا :

"إطلاقا ٠ كما لم يضطهدني أحد أنا شخصياً ، ولكنها قضية الشعور بالانتماء ٠ في لبنان لم اشعر بالانتماء إلى وطن ، وهذا ما اشعر به في اسرائيل"(٢٥) ٠

وفي الواقع فان اليهود الشرقيين هم الذين يتخذون موقفا سلبيا ازاء العرب ٠ وهو ما عبّرت عنه بوضوح سحر خليفة في روايتها "عبّاد الشمس" ٠ وتجيب احدى الشخصيات العربية في الرواية ، اليهودي الشرقي خضرون ،

معبرة عن هذه الحقيقة بما يلي :

«الدعاية الرسمية وغير الرسمية كانت تقول ليهودي الشرق : صحيح انك في اسفل السلم ؟ إلاّ أن هناك من هو اسفل منك واحط منك، وهو العربي ، والنتيجة ان يهود الشرق كانوا وما زالوا اكثر عنصرية وتعصبا من الأوروبيين انفسهم · وهذا يفسر اعتماد الليكود كليا على اصوات يهود الشرق · واول مبادرة سياسية قام بها الفهود السود كانت بانضمامهم لليكود»(٢٦) ·

## ٢٠٢٠٣ اليهود الفلسطينيون ضحايا للصهيونية :

مع بروز الحس الوطني الفلسطيني في هذه الفترة ، ظهرت في الأعمال الأدبية لهجة جديدة في الكتابة عن اليهود · إنّ لهجة الخطاب السياسي الفلسطيني تركت أثرها على الكتاب · ومن هنا كتب عن شخصيات يهودية فلسطينية ولاؤها لفلسطين أولاً · تماما كما أنّ ولاء الفلسطيني في هذه الفترة أصبح لفلسطين بالدرجة الاولى · ولم يقتصر ذلك على كتابات يتطابق فيه الزمن الكتابي مع الزمن الروائي وحسب ، بل ينسحب على نصوص يرتد فيها الزمن الروائي إلى ما قبل عام ١٩٤٨ ·

يرتد الزمن الروائي في رواية افنان القاسم "الباشا"(٢٧) (١٩٧٧) إلى ما قبل عام ١٩٤٨ ، وفي الرواية تطالعنا شخصية أم سارة ، المرأة اليهودية الفلسطينية التي تعيش مع الفلسطينيين وتفرح لأفراحهم ، وتحزن ايضا لأحزانهم ، ولا يختلف مصيرها -روائيا- عن مصيرهم ·

ويرتد الزمن في رواية محمود شاهين "الأرض الحرام" (١٩٨٣) إلى ما قبل ١٩٦٧ ، وتدور احداث الرواية في الأردن ، وجزء منها في فلسطين · وحين يلتقي واحد الفلسطيني المشرد مع حبيبته ، في فلسطين ، التي تزوجت ، بعد هجرة حبيبها ، من يهودي فلسطيني بعد ، تقص وطفاء علىمسامع الفلسطيني عن زوجها اليهودي ما يلي :

"كان رحمة الله يهوديا فلسطينياً ، لذا كان لا يخفي بعض الكره تجاه هؤلاء الغزاة الذين احتلوا ارضنا ، على الرغم من كل جشعه ، كان يجاهر بذلك ويشعرني أنّه يكنّ لنا ولو بعض الحب!! ولم يرغمني يوماً على اعتناق اليهودية، بل بالعكس تماماً ، فلقد ربيت الأولاد تربية فلسطينية!! وتركت لهم حرية اختيار الدين الذي يريدون!! لذا لا تستغرب ان يكبر الاولاد ويكبر معهم حب فلسطين يا واحد ٠٠»(٢٨) ٠

في رواية محمود شاهين الثانية "الهجرة الى الجحيم" (١٩٨٤ نلتقي بشخصية ابراهام اليهودي الفلسطيني الذي كان -مضللاً- عضواً في عصابة صهيونية ٠ واكتشف ، فيما بعد ، حقيقة ذلك(٢٩) ٠ وحين يلتقي به اركاديوش اليهودي البولوني المضلل ايضا من الصهيونية ، يحدث الأخير عن الحياة في فلسطين قبل مجيء الصهيونية ، قائلا :

"كنّا نحيا هنا كعرب لا فرق بين الواحد والآخر"(٣٠) ٠

ويختار الكاتب فتاةً مسيحية لتكون حبيبةً لأبراهام اليهودي ، ويتركه يقول :

«فأهلاً بك يا اركاديوش في دولتك القائمة على بحر من الدم ، وعلى أرض لم ولن تكون يوماً إلاّ لأصحابها الحقيقيين ، نحن الفلسطينيين ، سواء كنّا يهوداً أو مسلمين أو مسيحيين»(٣١) ٠

وكلا الكاتبين اللذين يظهر هذا التفكير في أعمالهما؛ أي أفنان القاسم ومحمود شاهين ، يعيشان في المنفى ٠ وغالبا ما تنعكس قناعاتهما الفكرية على أعمالهما ٠

شاهين ، على سبيل المثال ، كتب روايته "الهجرة إلى الجحيم" رداً على تصور هرزل في روايته "أرض قديمة جديدة" (١٩٠٢) للدولة اليهودية ٠ وفي المقدمة التي كتبها لروايته يذكر انه قرأ مخطوطاً لرواية كتبها أحد المهاجرين اليهود الذين هربوا من فلسطين ، فيها يصف الحياة في اسرئيل ٠ ولكنّ شاهين لم يكتف بما ورد في المخطوط ، بل ترك المجال لمخيلته -كما يذكر في

المقدمة- ولقلمه بحيث لم يبق للمخطوط تأثير يذكر ٠

## ٣٠٢٠٣ : الجندي الاسرائيلي ضحية للصهيونية :

يكتب سميح القاسم في نصيه النثريين "إلى الجحيم أيها الليلك" (١٩٧٧) و"الصورة الأخيرة في الألبوم" (١٩٧٩) عن السلطة الاسرائيلية التي تضلل أبناءها فتدفعهم إلى حروب غير عادلة٠ والسلطة هنا هي ممثلة الحركة الصهيونية كحركة استعمارية توسعية عنصرية ٠

لا تختلف وجهة نظر سميح هذه عن وجهة نظر محمود درويش في قصائده التي كتبها في نهاية الستينات واوائل السبعينات ، تحديداً قصيدة "جندي يحلم بالزنابق البيضاء"(٣٢) (١٩٦٧) ٠ في هذه القصيدة ينطق محمود درويش الجندي الذي يحاوره بما يلي:

"إنني احلم بالزنابق البيضاء
بشارع مغرد ومنزل مضاء
اريد قَلباً طيباً لا حشو بندقية
أريد يوماً مشمساً ، لا لحظة انتصار
مجنونة فاشية
اريد طفلا باسماً يضحك للنهار ،
لا قطعةً في الآلة الحربية
جئت لأحيا مطلع الشموس
لا مغربها"(٣٣)

يتكرر هذا الموتيف في قصيدة "كتابة على ضوء بندقية" (١٩٧٠)(٣٤) للشاعر نفسه ٠ وفي هذه القصيدة يقنع العربي محمود اليهودية شلوميت بأنّ كل قومياتنا قشرة موز ، هذا يعني بأن القومية تمرغ صاحبها المتعصب لها بالوحل ٠ وخلافاً لهذا الفكر ، فكرُ سيمون اليهودي ٠ إنّه يخاطب شولميت

لكي يحميها ، ازاء حبها لمحمود ، من تشككها في قوميتها • سيمون المضلل من الصهيونية يسقط في الحرب •

ثمة أمثلة أخرى يظهر فيها هذا الموتيف : الجندي الاسرائيلي ضحية للصهيونية • إنّ موقف معين بسيسو في قصيدته "نلقاكم في كشوف القتلى على جبهة السويس"(٣٥) أو موقف فدوى طوقان في قصيدتها "ايتان في الشبكة الفولاذية"(٣٦) لا يختلف عن موقف درويش والقاسم •

يرى بسيسو انّ الجندي دانييل ليس سوى ضحية • وبينما يموت في الحرب تكتب يائيل دايان الروائية اليهودية رواية جديدة حتى تنال الشهرة ، ويستلقي الجنرال في البانيو بهدوء متصفحاً الجريدة ليقرأ أسماء القتلى ، كما لو أنّ شيئا عديم الجدوى هو الذي حدث •

ويثير الطفل اليهودي ايتان ، في قصيدة فدوى طوقان ، السؤال التالي : "كم من الوقت نحتاج حتى ندافع عن الوطن؟" • إن فدوى تذهب إلى أنّ ايتان هو ضحية لزمن مطبوع بالعسكرية ، ضحية الزمن الذي ولد فيه • وهي تخشى ان يموت الانسان داخل ايتان الطفل البريء •

هذه الكتابة جديدة كل الجدة ، ولأول مرة يرى كاتب فلسطيني أنّ داخل هذا الجندي الاسرائيلي انسان ضلّل في المجيء إلى فلسطين فقتل غيره حيث لا يريد فعل هذا •

وتتكرر الكتابة في أدب الضفة الغربية وقطاع غزة عن الجندي الاسرائيلي الذي يشعر بأنّه على غير حق في ما يفعله ، وبأنه يضطهد الآخرين ويظلمهم •

لقد كتب جمال بنورة قصة تحت عنوان "المواجهة" (١٩٨١) عرض فيها جنديين اسرائيليين يخدمان في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ، ويشعر أحدهما بأنه في مكان غير صحيح ، ويكرر هذا على مسامع الجنود الآخرين ما يلي :

"ينتابني الشك أحياناً في إخلاص حكومتنا نحو مساعي السلام ، إنّها تتمسك بالأرض أكثر من تمسكها بالسلام ، وإلاّ لماذا لا تريد التفاهم مع الفلسطينيين"(٣٧)

سامي الكيلاني ، الذي كان سجينا غير مرة ، كتب قصة عنوانها "التلفون لا ينفع"(٣٨) (١٩٨١) ، وفيها يصوّر سجاناً يرغب في لحظات ضعف يمر فيها ، يرغب في أن يخاطب سجينه • وتطالعنا في رواية أديب رفيق محمود "الحصار" (د•ت) ، تطالعنا من بين الشخصيات ، شخصية الضابط الذي اكتشف، في اثناء خدمته في المناطق المحتلة ، انه ضلل ، وأن في خدمته هنا ظلماً للآخرين • ويعترف هذا ، حين يعود إلى بيته داخل اسرائيل ، أمام زوجته بما توصل إليه ، واكثر من ذلك فانه يأخذ بالبكاء ، ويورد الكاتب على لسانه ما يلي:

«في فلسطين متسعٌ لنا ولهم • ولنا آمالٌ وهم يحلمون •

الكلمة الدافئة أفضل من الخنجر ، رغيف الخبز أجمل من القذيفة»(٣٩)•

على أنّ الموتيف هذا لا يظهر في كتابات كتّاب آخرين • إنّ الجندي الذي يحمل سلاحاً ويخدم في المناطق المحتلة ليس سوى شخص لا يمكن التفاهم معه ما دام ارتضى لنفسه هذا الامر • يظهر هذا في قصة أكرم هنية "شمال شرق دير اللطرون" (١٩٨٦)(٤٠) • إنّ أنا القاص ، وهو فلسطيني ، يقف في اثناء رجوعه من غزة إلى القدس بالقرب من اطلال ثلاث قرى عربية كان الجيش الاسرائيلي قد دمرها عام ١٩٦٧(٤١) • وحين يأتي إلى المكان جندي اسرائيلي يحمل سلاحا ، يحاول هذا الأخير ان يجري مع الفلسطيني حواراً • ويشير أنا القاص إلى المنطقة ، موضحاً أنّ الاسرائيليين دمروا هنا قرى عربية• وتنتهي المحادثة • وحين يلمح انا القاص المسدس يتدلى من وسط الجندي يبدأ الزمن يطول ويطول ، إشارة إلى رفض الرجل المسلح •

إن كثيراً من القصاصين عكسوا في نصوصهم صورة وحشية السجان الاسرائيلي ، بل تجعل منه نازيا جديداً • ومثال على ذلك ما نلحظه في قصة محمود قدري "ساعات ما قبل الفجر" (١٩٨٠) • إن السجين العربي يصرخ في وجه سجّانه قائلا :

"يا عالم ، إنهم نازيون يتلذذون بآلامنا"(٤٢) •

## ٤٠٢٠٣ : صورة الذات بناءً على رفض تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود :

إن تمجيد الذات العربية ، والتغني ببطولات العرب ، وغض الطرف عن مساويء ، العرب وعيوبهم ، كل هذه تكاد تختفي من معظم نصوص هذه الفترة(٤٣) ٠ وعلى العكس من ذلك تبرز نزعة جديدة في الكتابة ، نزعة لا تهرب من مواجهة الواقع ، بل تقف امام الحقائق لتحاكم بصراحة وجرأة ، ما هو سلبي منها(٤ ) ٠ وكان هذا الاتجاه قد برز فيما كتبه غسّان كنفاني ، ثمّ تعمّق لديه ولدى غيره بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ولم تخل بعض النصوص من انتقاد قادة فلسطينيين٠ ويبدو هذا واضحاً في رواية يحيى يخلف "نشيد الحياة" (١٩٨٥) ٠

ومن يقارن ما كتبه ناصر الدين النشاشيبي في روايتيه "حبّات البرتقال" (١٩٦٢) ، و"حفنة رمال" (١٩٦٤) مع ما كتبه غسان كنفاني في روايتيه "عائد إلى حيفا" (١٩٦٩) ، و"أم سعد" (١٩٦٩) يرى بوضوح كم هو الفارق في صورة الفلسطيني ٠ لقد انتقد كنفاني في روايته "رجال في الشمس"(٤٥) (١٩٦٣) اولئك الفلسطينيين الذين ، بدلاً من التفكير في استرجاع الوطن المغتصب ، يبحثون عن حل فردي لمشاكلهم ٠ ولكنّ هذا الأسلوب في الكتابة كان استثناء القاعدة٠

إنّ الصورة المشرقة للعربي الفلسطيني ، صورة البطل الذي يضحي ويفتدى وطنه بنفسه ، إنّ هذه الصورة التي كانت تطغى على معظم الكتابات قبل ١٩٦٧ ، تكاد تقتصر بعد العام المذكور على الفلسطينيين الذين قاوموا الانتداب البريطاني قبل عام ١٩٤٨ ، وعلى الذين قاوموا الاسرائيليين وانضموا إلى المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها عام ١٩٦٥ والفترات اللاحقة ٠ وعلى العموم فان الكتابة عن الفلسطينيين تتشابه في خطها العام ، في الكتابة عن اليهود ٠

ليس غريبا إذن ، ان يظهر الفلسطيني الطيب إلى جانب الفلسطيني الشرير، والفلسطيني المتخاذل إلى جانب الفلسطيني المقاوم ، بل والفلسطيني الخائن إلى جانب الفلسطيني الفدائي البطل ٠

## ٥٠٢٠٣ : رفض تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود : نموذجان تفصيليان ٠

### ١٠٥٠٢٠٣ سميح القاسم(٤٦) :

اصدر سميح القاسم ثلاثة أعمال نثرية ظهرت فيها شخصيات يهودية ٠ النص النثري الاول كان مشهداً مسرحياً عنوانه "المطعم" (١٩٧٠)(٤٧) ، وفيه يرى الكاتب أنّ العرب واليهود كانوا يعيشون معا بهدوء ، ثمّ جاء الانجليز واوقعوا بينهما(٤٨) ٠

والنص الثاني هو "إلى الجحيم أيّها الليلك" (١٩٧٧) ، وكتب تحت العنوان "حكاية اوتوبيوغرافية" ٠ تحت هذا العنوان الفرعي لا تنطوي -كما يفترض المرء- حكاية اوتوبيوغرافية فعلا ، بل إن النص عملٌ قصصي في شكل حكاية ٠ وهنا يعرض الكاتب تصوره لحلّ المشكلة الفلسطينية ٠ إنه يرى ان ادعاء كل طرف بحقه الكامل على فلسطين وإغفال الآخر ، لن يجلب معه سوى الحرب والدمار ٠

والعنوان نفسه يحمل في ثناياه ما يذهب إليه المؤلف ، ومفردة الليلك التي ترمز إلى لون لا يحبه انا القاص -ونفترض أنه سميح نفسه- لما فيه من غموض ، مفردة الليلك هذه تدمج معاً مفردتين هما لي ولك ٠

بتعبير آخر : إنّ تمسك الطرفين بادعائهما أنّ فلسطين له وحده ليس سوى أمر يؤدي إلى الهلاك ٠ وكلا الطرفين ، اليهود والفلسطينيون ، يمكن ان يعيشا معا ، جنبا إلى جنب ، في دولتين مستقلتين ، اذا اعترف كل طرف بحق الجانب الآخر في العيش ٠ وتطالعنا في الحكاية شخصيات يهودية عديدة؛ شخصية أوري وشخصية أيلانة ٠ الأول الذي ضلّلته الصهيونية ، والثانية

التي تريد فقط ، أن تحيا بسلام وطمأنينة ، وهذا الأمر لن يتم لها ، كما ترى ويرى المؤلف من ورائها ، إلاّ إذا اعترفت السلطة الحاكمة في اسرائيل بالفلسطينيين وحقهم بالعيش في دولتهم الخاصة بهم · وخلافا لها أوري ، الضحية الجلاّد في الوقت نفسه ، إنه ، وهو الذي نشأ على الفكر الصهيوني وينفذ ما تطلبه السلطة منه ، يراهن على حلّ المشكلة من خلال التنكر لحق الآخرين ، ويتم له هذا ، كما يرى، بالسلاح وحده ، هكذا يخاطب اوري ايلانة حين تفصح له عن ارائها :

"إنّ هذا الرشاش يجيد التفكير أكثر منك ·· إنّك لا تدركين أبعاد لسانك وهواجسك"(٤٩) ·

تختلف قصة "الصورة الأخيرة في الألبوم" (١٩٧٩) في أنّها لا تطرح رؤيةً أو تصوراً لحل المشكلة الفلسطينية ، تختلف عن الحكاية السابقة في أنّها تصوّر واقع العرب ، أقلية ، تحت الحكم الاسرائيلي ، وفي أنها تصوّر أيضا ، من خلال ذكر تفاصيل يومية ، علاقة العرب باليهود · لا يعني هذا أنّ ليس ثمة تشابه في الكتابة عن الآخر ، فالإشارة إلى غلبة العسكر ذوي النزعة الصهيونية، وسيطرة هؤلاء على أجهزة الدولة وتوجيه سياستها ، واضحة · وفي النصين كليهما تطالعنا صورة الفتاة اليهودية التي ترى أنّ الأمور يجب أن تحلّ عن طريق تفهم كل طرف لحق الطرف الآخر ، أو في المساواة بين العرب واليهود ·

ينهي علي ، الشخصية الرئيسية في "الصورة الأخيرة في الألبوم"، دراسته في العلوم السياسية ، ويحصل على درجة الماجستير، ولكنه -شأن باقي أفراد الأقلية العربية الباقية في مدنها وقراها- لا يجد عملاً في مجال تخصصه ·

ويواجه اخوه علي مشكلة مشابهة ، وحين يرغب هذا في الالتحاق بجامعة اسرائيلية ، يواجه مشاكل متعددة ، فهو أولاً لا يقبل طالبا بسهولة ، وهو أيضا لا يتمكن من اختيار الموضوع الذي يرغب في دراسته ·

أمّا أمير فيضطر بعد فترة من انهاء دراسته ، وفشله في العمل في مجال تخصصه ، من أن يعمل طاهيا في مطعمٍ يمتلكه يهودي · وتطالعنا ، من ثمّ ،

الشخصيات اليهودية: روتي ، الفتاة اليهودية التي تدرس الآداب ، ووالدها الضابط الاشكنازي ، وصاحب المطعم الذي لا يمانع من تشغيل العرب فهو يستفيد من وراء ذلك ، وبالتالي فحين يحتج أحد زبونه اليهود على ذلك يجيبه أنّ بامكانه البحث عن مطعم آخر • وهناك شخصيات يهودية أخرى هي : هناك اليهودي الذي لا يشتم العرب وحسب ، بل ويشتم الصهيونية أيضا التي اقنعت اليهود بالهجرة الى فلسطين لكي يعيشوا في دولة يهودية فيها السمن والعسل ، ولكن الواقع كان غير ذلك حيث توجد الحروب ويوجد البؤس • وهناك والدة روتي ويورام الضابط الاشكنازي خطيب روتي • وهناك الجندي الاسرائيلي الذي يقمع العرب •

الشخصيتان اليهوديتان البارزتان هما روتي ووالدها ، ولا يُعرف عن الشخصيات الأخرى سوى القليل •

إنّ والد روتي لا يتعالى على العرب وحسب ، بل إنه يتعالى ايضا على اليهود الشرقيين ويضطهدهم(٥٠) • وتعرف ابنته ، التي تدرس الآداب ، فيما بعد ، من خلال تجربتها ، ان العرب ليسوا كما يصفهم والدها • وحين تلتقي بأمير تحاول أن تعرف منه ، مباشرة ، عن مشاكله • وتقص ، في لقائها الأول معه ، عليه رؤيتها للعرب ، كما سمعت ذلك ، وهي رؤية قاتمة جداً •

لا يرفض أمير الجلوس معها والإصغاء إليها ، وهو يرى انها ضحية :

"ضحية غسل دماغ رهيبة • لا أريد إهانتك ، لكن يجب أن أقول لك بصراحة تامة ، إنّك والأغلبية الساحقة من أبناء شعبك ما زلتم تعيشون في الغيتو • غيتو عصري • غيتو من نوع جديد ابتكرته قيادتكم الصهيونية وحشرتكم فيه ••• إنّكم تعيشون في حجر غير صحي ••• حجر عن الحقيقة ••• عن الموضوعية التي تكررون اسمها دون أن تمارسوها ••"(٥١)

ويذهب أمير بصحبة روتي ذات يوم معا إلى السينما لكي يشاهدا فيلما تدور احداثه زمن الحرب العالمية الثانية • وتسأل روتي أمير عن رأيه في الفيلم فيجيبها :

«الفيلم جيد من الناحية الفنية ٠٠٠ أمّا من ناحية الموضوع فهو دعائي تجاري رخيص ٠٠٠ لا أحد ينكر بشاعة النازية وجرائمها لكن يجب التأكد من هوية اولئك الذين يدينون النازية ٠٠ إنّ تجاراً سفلة يستغلون هذا الموضوع للتستر على جرائمهم القذرة الشبيهة بجرائم النازية ٠٠ هؤلاء لا يحق لهم أن يفتحوا أفواههم الملطخة بالدم ٠٠»(٥٢) ٠

ولا يقول أمير حرفيا إن الصهيونية تشبه النازية ، ولكنه يقول إنّ من يختفون خلف الفيلم ، هم شبيهون بالنازيين ، والرواية نفسها لا تنفي وجود تشابه كهذا ٠ فحين يشتم والد روتي اليهود الشرقيين ، تحضر له ابنته كتابا وتقرأ منه النص التالي :

«يتربص الولد اليهودي ذو الشعر الأسود بالفتاة البريئة طيلة ساعات ، وعلى وجهه مسحة من الفرح الشيطاني ، إنه يدنسها بدمه ، ويسلبها بذلك من شعبها ٠٠ إنه -وبصورة معدة سلفا- يفسد النساء والفتيات٠٠»(٥٣) ٠

والكتاب هو كتاب هتلر "Mein Kampf" ٠ (أي كفاحي)

وفي النهاية ، حيث تكتشف روتي الحقيقة ، ترفض موقف والدها ، كما ترفض أيضاً هذا الأمر ٠

ويتوازى التطور في موقفها من العرب مع تطور موقف الشخصيات العربية الكثيرة العدد في الرواية ٠ والأخيرون لهم مواقف متعددة ازاء اليهود، مواقف تحكمها خلفية ثقافية موروثة أو ايديولوجية ماركسية ٠

إن أمير ليس ضد اليهود من حيث هم يهود ، سواء في ذلك الشرقيون أم الغربيون ٠ إنه يتصادق مع روتي ، ولكنه ضد موقف والدها ٠ إنّ أمير على قناعة تامة بأنّ المشكلة ليست بين يهود ولا يهود "إنها مشكلة معقدة ، لها أسباب مختلفة قومية واجتماعية وثقافية وانسانية وشخصية"(٥٤) ٠

ويخاطب الشيوعي عبد الرحيم روتي بـ "رفيقة" ٠ أما الحاج ابو سليم

فيرى أنّها تغوي أمير حتى تضحك عليه وتسلب منه قطعة أرض ٠

أما أمّ أمير فلها من اليهود موقفان؛ الأول في بداية الرواية ، حين لا يوظفون إبنها ، وإذ ذاك تصف اليهود بأنهم "أولاد الميتة"(٥٥) ، والموقف الثاني حين يصطحب ابنها امير روتي في زيارة للقرية ، إذ تعقب على كلام امير ، حين يبلغها أن ضيفهم هو صديقته اليهودية روتي ، بالتالي :

«أهلاً وسهلاً يمة ٠٠٠ بيتنا مفتوح لكل الأوادم ٠٠٠ ليش لأ؟ أصابع يدك مش مثل بعضهم ٠٠٠ الدنيا ملانة ملاح وعاطلين ٠٠٠"(٥٦) ٠

إن الفكرة الاساسية -وهذا هو ما يميز أدب الداخل عن أدب المنفى الفلسطيني- تكمن في أنّ التجربة الحياتية المتمثلة في أنّ التقاء العرب واليهود اليومي يمكن أن تغير كثيراً من الآراء المسبقة التي اكتسبها كل طرف عن الآخر من خلال السماع أو القراءة ٠

## ٢٠٥٠٢٠٣ : أفنان القاسم(٥٧) :

يعتبر افنان القاسم الذي يعيش في المنفى ، من أبرز الكتّاب الذين حفلت أعمالهم بالعديد من الشخصيات اليهودية ٠ لقد أصدر سبع روايات وثلاث مجموعات قصصية ، كما نشر دراسات ومقالات نقدية عديدة ٠ وفي ثلاث من رواياته تبرز بوضوح شخصيات يهودية ٠ هذه الروايات هي "الباشا" (١٩٧٧) ، و"النقيض" (١٩٧٨) ، و"المسار" (١٩٨٠)(٥٨) ٠

وتطالعنا أيضا شخصيات يهودية ، وإن كان هذا هامشيا ، في روايته "العصافير لا تموت من الجليد" (١٩٧٩) ، وفي مجموعته القصصية "الذئاب والزيتون" (١٩٧٢) ٠

ينطلق أفنان القاسم في تصوره للآخر -أي اليهود- من أنْ العالم لا ينقسم إلى عالمين أو عوالم بسبب اللون أو العرق ٠ ويلحظ هذا بوضوح في روايته "المسار"(٥٩) ، وهو ما يرد على لسان بطل الرواية ، وتؤكد اعماله الأخرى

ذلك· إن العالم بالنسبة إليه ينقسم إلى طبقات · والطبقة هي التي توحد بين الناس وهي التي تفرق أيضا بينهم · إنّ الفقراء بغض النظر عن دينهم أو قوميتهم أو لونهم يمكن أن يعيشوا معا بدون مشاكل · يتجسد هذا في رواية "المسار" التي ترد فيها شخصيات تنتمي إلى أديان مختلفة ، شخصيات ليست ايضا من لون واحد ، ولكنها تنتمي إلى طبقة معينة فتعيش معاً · ولكي يبتعد الكاتب عن الوقوع في النمطية ، فانه يصوّر أحياناً نماذج تنتمي إلى طبقة ما ، ولكنها تخون طبقتها ·

ما ينبغي أن يشار إليه هو أن أفنان القاسم لا يكتب عن واقع عاش فيه شخصيا مع اليهود · والرواية الوحيدة التي تظهر فيها شخصيات يهودية ، يمكن أن يكون الكاتب قد التقى معها ، هي رواية "العصافير لا تموت من الجليد" ، حيث تعيش الشخصية اليهودية في هذه الرواية في باريس ، وهناك تجري أحداث الرواية جزئيا ·

في الروايات الأخرى التي تصور فيها شخصيات يهودية ، تجري الأحداث في فترة إما لم يعش فيها المؤلف زمنيا ، أو أنه كان في مكان مغاير للمكان الذي تجري فيه الأحداث · إن الزمن الروائي لرواية "الباشا" يرتد إلى ما قبل عام ١٩٤٨ ، حين كان عمر المؤلف أربع سنوات · وفي الجزء الثالث من "المسار" تدور الأحداث في الضفة الغربية حيث لم يكن المؤلف ، في أثناء ذلك، هناك إلاّ قبل سنوات من الاحتلال · ويظهر في رواية "النقيض" التجريد واضحاً ، إن الشخصيات هنا ليست شخصيات من لحم ودم ، إنّها شخصيات تجريدية دلالية أكثر منها واقعية(٦٠) · ويعتمد المؤلف في نسج روايته الأخيرة على كتاب غسان كنفاني "في الأدب الصهيوني" ، حيث يشكل هذا الكتاب مرجعاً اساسياً لتشكيل الشخصية الصهيونية ، ونحن نستقي ذلك من ملاحظة اوردها الكاتب في هامش ص٨٥ ، حيث يكتب التالي :

«هذه الفقرة وبعض الفقرات التالية مأخوذة من كتاب الشهيد غسّان كنفاني القيّم "في الأدب الصهيوني" ، منشورات مركز الأبحاث في بيروت ، والذي اعتمدته من بين المراجع الأساسية للنقيض»(٦١) ·

ونعثر في هذه الرواية أيضا على نصوص شعرية اقتبسها المؤلف من ديوان محمود درويش ليضيء الشخصية الصهيونية من خلالها(٦٢) ٠

يختار الكاتب في رواية "الباشا" (١٩٧٧) قرية فلسطينية يجري فيها الأحداث في فترة ما قبل ١٩٤٨ ٠ ويعيش في هذه القرية فلسطينيون مختلفون : الباشا وهو من أصل غير فلسطيني ، هاجر إلى فلسطين وحكم بالقوة -لعله من بقايا الحكم التركي- ؛ والبيك ، وهذا رمز للبرجوازية الفلسطينية ٠ وهذان الاثنان يتصارعان فيما بينهما على السلطة في القرية ٠

وهناك شخصيات فلسطينية أخرى : الفلاّحون الفلسطينيون الفقراء الذين بينهم الوطني والخائن ، وتحت هؤلاء يهود فلسطينيون تمثلهم أم سارة ، وابنتاها ٠ وتطالعنا ايضا شخصيات انجليزية ويهودية غربية ، ويهود عرب جاؤوا من المغرب ٠ وإذا اعتبرنا القرية في الرواية مجرد قرية، لا رمزاً لفلسطين كلها ، فاننا نذهب مع فاروق وادي حين يذهب في دراسته لهذه الرواية قائلا :

«فالقرية في الرواية لا تشبه أية قرية فلسطينية ، ولا أية قرية، ولا تكوّن ذاتها كقرية ٠ إنّها مبنى ذهني ضيّق يدّعي الاتساع واستيعاب احداث اكبر من حجمه»(٦٣) ٠

وليس هناك شك في أنّ الزمن الكتابي لهذه الرواية قد ترك أثره عل الزمن الروائي ٠ ويظهر هذا بخاصة في أنّ اليهود الفلسطينيين أو الفلسطينيين اليهود يشعرون بانتمائهم أولاً إلى فلسطين ٠ لقد ظهر هذا الموتيف بعد عام ١٩٦٧، عندما اقترحت فتح مشروع الدولة الديمقراطية ليعيش اليهود والمسلمون والمسيحيون معا ٠

وهناك ، في الرواية ، ست شخصيات يهودية اساسية؛ أم سارة وابنتاها ، والخواجا وابنه ، واليهودي القادم من المغرب ٠ أمّا الشخصيتان البارزتان من

بين تلك الشخصيات فهما أم سارة والخواجا· والآخرون ذوو حضور أقل -مع اختلاف- ، ونحن نعرف عن ابنتي أم سارة من خلال ما تقصه أمهما عنهما ، ونعرف أيضا عن ابن الخواجا حين يقص والده عنه ، ومن خلال بعض ما يقوم به · وأمّا اليهودي المغربي فيمارس مهنته : مهنة السحر · ولا نعرف عنه أكثر من هذا ·

تقيم أم سارة ، التي هي أساساً من سكان فلسطين ، في القرية مثل الآخرين ، وتشعر بالانتماء إليهم : تفرح لأفراحهم ، وتحزن لأحزانهم ، وتعاني ما يعانون منه ، ويكون مصيرها في حرب ١٩٤٨ شبيها بمصير الفلسطينيين الآخرين · إنها تقتل في المعارك ·

أما الخواجا -وابنه يسير على نهجه- فهو منافق ومخادع ومُحتال · فهو يفسد بين الباشا والبيك ، ويشجع هذا على ذاك حتى يصطدم الاثنان معا ليكون الرابح الوحيد · وله موقف مشابه في سلوكه مع الانجليز ، إنه يظهر لهم الوّد ، ولكنه في غيابهم يطعنهم· ويميز الكاتب بوضوح بين يهود البلاد واليهود الغربيين ، ويورد على لسان فلاّح فلسطيني النص التالي :

«الحكاية وما فيها أنّ أخي يوسف أفندي باع نصف الأرض لأحد اليهود الأجانب ··· قال لي اليهودي الأجنبي إنّه يريد أرضه · أيّام آخرزمن · أتصدق أذناك هذا! ذلك اليهودي الامريكاني أو الألماني ، لا أدري رماه الشيطان علينا من أين ، يقول عن أرضي أنا وأرض اجدادي إنّها أرضه»(٦٤) ·

ولفظة "اليهود الأجانب" تستثني يهود البلاد ، وتقتصر على اليهود القادمين فقط ، الذين ينعتون بالصهيونيين وينعت الخواجا بيهودي أجنبي مرة، وبيهودي صهيوني ثانية(٦٥) ·

إنّ الشخصيات لدى أفنان القاسم هي شخصيات ثابتة منذ بداية الرواية حتى نهايتها · إنها تبقى على موقفها؛ لا تتبدل ولا تتغير · وخلافا لذلك شخصيات سميح القاسم أو شخصيات القصص التي كتبها أيضا أدباء عاشوا تحت الحكم الاسرائيلي بعد حرب حزيران مثل جمال بنورة وأديب رفيق محمود

وسامي الكيلاني(٦٦) ٠

والكتاب الآخيرون -على الرغم من أنّ بعضهم أنفق وقتا من عمره في السجن- صوروا جنوداً يغيّرون ، من خلال تجاربهم ، مواقفهم ٠ وما قيل عن أفنان القاسم ينسحب ايضا على الشخصية الأساسية في رواية رشاد أبو شاور "أرض العسل" التي سيتطرق إليها فيما بعد ٠ ومن المؤكد أنّ هناك استثناءً(٦٧) ، ولكنّ الملاحظ عموماً هو أنّ الأدباء الذين عاشوا في بيئة واحدة مع يهود ، أكثروا من الكتابة عن شخصيات نامية لدى الطرفين ٠

## ٠٣٠٣ العالم المنقسم إلى يهود ولا يهود :

إن موتيف تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود لا يختفي كلياً ٠ وهو يظهر في نصوص أدبية لكتاب يعيشون في المنفى ٠ وبخاصة في مجموعة أحمد عودة القصصية "زعتر التل" (١٩٨٠) ، وفي كتابة فوز الدين البسومي النثرية "تلك الأيام" (١٩٧٤) وفي رواية أمين شنار "الكابوس" (١٩٦٨) ، وفي رواية نبيل خوري "ثلاثية فلسطين" (١٩٧٤) ٠ إن ما كتبه هؤلاء جميعا يقوم غالباً على أساس تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود ٠ وفيما كتبوه تظهر مفردة "يهودي" و"يهود" ٠ واليهود يوصفون بصفات متشابهة دائما ٠

في مجموعة أحمد عودة القصصية يتصف اليهود بالصفات السلبية : المكر والخداع والدعارة ٠ وتعيد الأم في قصة "تحت سقف الليل" على مسامع ابنها ، رأي زوجها في اليهود ، الذي تؤكده أحداث القصة :

"لقد كان دائم الحديث عن غدرهم ٠ وإنّ وجوههم أقنعة تخفى لؤماً دفينا ٠

وقد مات على اعتقاده"(٦٨) ٠

ويكرر عودة هذا من خلال وصف السارد لبطولة والده في قصة "زعتر التل" حيث يوصف اليهود بالجبن ٠

"لقد حذا حذو كثير من الرجال ، يجتازون خطوط الهدنة ويقاتلون

العدو ، ثمّ يعودون ليحكوا قصصاً طريفة عن جبن اليهود ، ويعجبون كيف حدثت النكبة ثمّ يختمون حديثهم بالقول : إنّها الخيانات • إنهم الانجليز"(٦٩) •

ولكنّ صورة الذات -أي صورة العرب- لم تكن في أعمال هؤلاء -باستثناء قصص أحمد عودة- ايجابية دائماً • إنّ هؤلاء يسخرون من الذات ويبالغون في جلدها ، ويبدو هذا واضحاً في أعمال نبيل خوري وأمين شنار المذكورة آنفا •

## ٤٠٣ : تصور جديد : تفوق اليهود وميلهم إلى العزلة •

### ١٠٤٠٣ الأسباب والمصادر التي تبين تفوق اليهود وميلهم إلى العزلة •

ثمة موتيفان يظهران في أدب هذه الفترة بخاصة؛ الأول شعور اليهود بالتفوق ، والثاني ميلهم إلى العزلة • ولعلّ الأسباب في ظهور هذين الموتيفين تعود إلى :

أولاً : الاهتمام العربي المتزايد بمعرفة كل شيء -إن امكن- عن العدو • وقد أدى هذا الاهتمام إلى الانشغال بالأدب الصهيوني الذي يحتوي فعلا على نصوص تركز على فكرة تفوق اليهود • وقد نشر غسان كنفاني عام ١٩٦٦ كتابه "في الأدب الصهيوني" • إنّ التصور الصهيوني لليهود يظهر أنهم متفوقون على غيرهم وبخاصة العرب • لقد وصف العرب في النصوص الادبية الصهيونية التي عاينها كنفاني بأنهم جبناء وخونة ولا انتماء لديهم لأوطانهم(٧٠) •

ثانياً : لقد ضخم الانتصار الذي احرزته القوات الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ ، شعور الاسرائيليين بالتفوق اليهودي(٧١) ، وعزّز تصوّر الصهيونيين للعرب بأنهم جبناء • وكمثال على هذا النوع من التفكير يمكن الإشارة إلى كتاب يائيل دايان الصادر عام ١٩٦٧ تحت عنوان "A.Soldier's

"Diary"(٧٢) ٠

ولا يستثني هذان العاملان ، وجود عوامل اخرى عززت لدى العرب الاعتقاد بأنّ اليهود يمتلكون تفكيراً كهذا ٠ إن المصطلح الذي يرد في العهد القديم في أثناء الحديث عن شعب اسرائيل ، "المختار"(٧٣) ، اقتبس من الطرف العربي ليدلل به على أنّ الحركة الصهيونية تعتمد على العهد القديم(٧٤) عندما تتحدث عن تفوق اليهود ٠ كما أنّ مواضع تقول إنه لا يسمح للاسرائيليين بالزواج من شعوب أخرى(٧٥) فسّرت كدليل على ميل اليهود إلى العزلة ٠

وطبعا فانّ هذا لا يكفي ٠ ولكي يعزّز الكتاب العرب وجهات نظرهم هذه، فانهم يعتمدون على دراسات غربية للتلمود تذهب إلى أنّ التلمود نفسه يعترف بتفوق اليهود حقا على غيرهم(٧٦) ٠ وقد ترجم إلى العربية غير مرة الكتاب المعروف بـ "بروتوكولات حكماء صهيون" ، هذا الكتاب الذي يقسم العالم إلى عالم اليهود وعالم اللايهود(٧٧) ٠

ويذهب كتاب عرب آخرون إلى أبعد من هذا ٠ إنّهم يرون أن نشوء الغيتو، الذي أجبر اليهود على العيش فيه في أوروبا ، يعود إلى أنه في خلال العصور التاريخية المختلفة وفي كل البلدان والمناطق ارتبط اليهود بلا استثناء بأحياء سكنية معزولة وبخاصة في المدن ، وهي ما تعرف بالغيتو(٧٨) ٠ إنهم -أي الكتاب العرب- يوضحون أن وجود الغيتو هو عادة اختارها اليهود أنفسهم بمحض ارادتهم في كل مكان ٠

إنّ هذه الرؤية ، بأنّ اليهود يميلون إلى العزلة ويشعرون بالتمييز ، لم تنعكس في دراسات معينة ، يُشغل بها المهتمون فقط ، بل إنّها ترددت في كتابات صحفي مشهور ، نشرها اولاً في الجرائد ، ثم جمعها معا ليصدرها في كتاب طبع غير طبعة(٧٩) ٠

## ٢٠٤٠٣ معارضة أسطورة التفوق لدى كاتبين ٠

### ١٠٢٠٤٠٣ غسّان كنفاني :

لا يختار غسان كنفاني في "عائد إلى حيفا" (١٩٦٩) أساساً شخصيات يهودية ليكتب عنها ٠ إنّ هدفه الأساسي هو نقض أسطورة التفوق التي يعزوها الكتاب الصهيونيون لليهود ٠

كنفاني الذي كان في الستينات عضواً في حركة القوميين العرب، تحوّل بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ إلى الماركسية ٠

ويبدو أنه أفاد في فكرة هذه الرواية ، وكذلك في إقامة بنائها الروائي ، من مسرحية برتولد بريخت "دائرة الطباشير القوقازية"(٨٠) ٠ إنّ الطفل الذي تركه والداه خلفهما هاربين أثر احداث حرب ١٩٤٨ ، دون أن يعملا فيما بعد على إعادته إليهما أوعودتهما إليه ، ينتمي في نهاية الأمر إلى أمّه التي ربّته وثقفته ، ويرفض من ثمّ العودة إلى والديه الأصليين ٠

الشخصية الرئيسية في الرواية هي شخصية سعيد٠س ، الذي غادر وزوجته عام ١٩٤٨ مدينته حيفا ٠ ويقرر الاثنان أن يزورا ، اثر حرب ١٩٦٧ ، حيفا على أمل أن يعيدا معهما ابنهما خلدون ٠

لا تظهر صورة اليهود في الرواية من خلال الحوار الذي يجريه سعيد٠س وزوجته ، فقط ، بل ومن خلال النقاش مع الشخصيات اليهودية ، ومن ضمنها خلدون ، الذي يحمل خلال الفترة بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧ الاسم العبري دوف ٠ ولا تكتمل الصورة التي يظهرها كنفاني لليهود - سواء من خلال تصور الشخصيات العربية لهم أو من خلال تصور الشخصيات اليهودية -المتصور أيضا- لنفسها ، لا تكتمل هذه الصورة إلاّ من خلال تبيان تصور الفلسطينيين لأنفسهم٠

يرى سعيد٠س أن ما فعله اليهود إثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، حين أقدموا على السماح لفلسطينيي الضفة الغربية بزيارة المناطق المتروكة عام ١٩٤٨ ، ليس له هدف سوى تعزيز الفكرة الصهيونية ، فكرة جدارة اليهود ومن ثمّ أحقيتهم في فلسطين ٠ ففلسطين هذه التي تصحرت إبان سيطرة العرب عليها سيحولها الصهيونيون إلى جنة(٨١) ٠ يتضح هذا من خلال إجابة سعيد٠س لزوجته التي قالت له إنها لم تكن تتوقع أن ترى حيفا ثانية :

"أنت لا ترينها ، إنّهم يرونها لك"(٨٢)

ويبدو هذا أيضاً في الفقرة التالية :

«لا ٠ ذلك جزء من الحرب ٠ إنهم يقولون لنا : تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم وأكثر رقيا ٠ عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدماً لنا ، معجبين بنا ٠٠٠ ولكن رأيت بنفسك ٠ لم يتغيّر شيء ٠٠ كان بوسعنا أن نجعلها أحسن بكثير ٠٠»(٨٣) ٠

نعثر في النص أيضا على شخصيات يهودية ترى أنها خدعت من الصهيونية ، ولكنها مع تراخي الزمن ، وتحقيق بعض احتياجاتها ، تنسى ذلك لتدافع عن الواقع الجديد ٠

افرات كوشن ، اليهودي القادم من أوروبا إثر مذابح النازية ، يرى أنّ فلسطين ليست صحراء أعادت الوكالة اليهودية اكتشافها بعد ألفي سنة ٠ ويفاجأ أيضاً من انها لاتتطابق والصورة التي قرأها عنها في رواية ارثر كوستلر "لصوص في الليل" ٠ إنّ فلسطين أرض خضراء يسكنها شعب ، هذا ما يكتشفه افرات ٠ ولا تقل دهشة زوجته مريام عن ذلك ٠ مريام هذه تتوصل إلى الحقيقة وتعرف أن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سيحول سكانها إلى ضحية كما كان اليهود ضحية للحكم النازي في المانيا ٠

في الحوار الذي يجريه كنفاني بين سعيد٠س وخلدون / دوف باعتباره

يهوديا ، هناك تصور أكثر تفصيلا للصهيونيين وليس لليهود · ويعتبر دوف واحداً ممن يحملون الفكر الصهيوني ويدافعون عنه ، وبالنسبة له فان شيئاً لم يتغير حين عرف أن والديه عربيان ·

«أنا لم أعرف أن ميريام وايفرات ليسا والدي إلاّ قبل ثلاث أو أربع سنوات ·· منذ صغري وأنا يهودي · أذهب إلى الكنيس وإلى المدرسة اليهودية وآكل الكوشير وأدرس العبرية ··»(٨٥) ·

يصف كنفاني هنا الصهيونية التي اقنعت اليهود حتى أصبحوا يدافعون عن وجودهم من خلال مبادئها · إن الانسان -هكذا يرى كنفاني- هو مجموع ما يفكر به ، وما يقوم به ، وبالتالي فانه نتاج المحيط الذي ينشأ فيه · ويترك كنفاني دوف -باعتباره صهيونيا- يخاطب سعيد·س بالتالي :

«كان عليكم ألاّ تخرجوا من حيفا · وإذا لم يكن ذلك ممكناً فقد كان عليكم بأي ثمن ألاّ تتركوا طفلاً رضيعاً في السرير ، وإذا كان هذا أيضا مستحيلا فقد كان عليكم ألاّ تكفوا عن محاولة العودة ·· لو كنت مكانك لحملت السلاح من أجل هذا · أيوجد سبب أكثر قوة؟ عاجزون · عاجزون! مقيدون بتلك السلاسل الثقيلة من التخلف والشلل · لا تقل لي إنكم أمضيتم عشرين سنة تبكون · الدموع لا تسترد المفقودين ولا الضائعين ولا تجترح المعجزات»(٨٦)

هذا هو موقف الصهيونية التي ترى أنّ العرب لا يستحقون فلسطين ، لأنهم تركوها وهربوا دون أن يدافعوا عنها ، بل وعاشوا في المنفى دون أن يقاتلوا من أجل استردادها ·

وقد تعكس أقوال دوف السابقة رأي كنفاني نفسه ، فهو يدين جيل

سعيد٠س الذي لم يعمل من أجل العودة إلى فلسطين ٠ لقد كتب كنفاني عام ١٩٦٣ روايته "رجال في الشمس" وعبّر فيها ايضا عن مثل هذا التفكير(٨٧)٠

يوضح النص التالي من "عائد إلى حيفا" موقف كنفاني أيضا - هنا يختفي كنفاني وراء سعيد٠س - :

"زوجتي تسأل إن كان جبننا يعطيك الحق في أن تكون هكذا ، وهي، كما ترى ، تعترف ببراءة بأننا كنّا جبناء ، ومن هنا فأنت على حق ، ولكن ذلك لا يبرر لك شيئا ٠"(٨٨)

ولا يعترف كنفاني بتلك المقولات الصهيونية ٠ إنه -مختفيا وراء سعيد٠س- يناقش الفكر الصهيوني -ممثلا في دوف- ، ويذكر سعيد٠س دوف بما حدث لليهود إبّان الحكم النازي :

"إن خطأً زائد خطأ لا يساويان صحا ، ولو كان الأمر كذلك لكان ما حدث لايفرات ولميريام في أوشفيتز صوابا ، ولكن متى تكفون عن اعتبار ضعف الآخرين واخطائهم مجيرة لحساب ميزاتكم ؟ لقد اهترأت هذه الأقوال العتيقة ، هذه المعادلات الحسابية المترعة بالأخاديع ٠٠ مرة تقولون إنّ اخطاءنا تبرر أخطاءكم ، ومرة تقولون إنّ الظلم لا يصحح بظلم آخر ٠٠ تستخدمون المنطق الأول لتبرير وجودكم هنا ، وتستخدمون المنطق الثاني لتتجنبوا العقاب الذي تستحقونه٠٠"(٨٩) ٠

هكذا يصورهم سعيد٠س -ومن ورائه كنفاني- : الشعور بالتمايز والتفوق واللجوء إلى الخداع لتبرير اخطائهم ، بل والاستفادة من أخطاء الآخرين وضعفهم ليحقق اليهود حياتهم على حساب الآخرين ٠

ينهي الكاتب الحوار بين سعيد٠س ودوف بقول الأول للثاني :

"وأنت تعتقد أننا سنظل نخطىء ٠ وإذا كففنا ذات يوم عن

الخطأ ، فما الذي يبقى لديك"(٩٠) ٠

ويبدأ كف الآخرين عن الخطأ ، روائيا وواقعيا ، حين يأمل سعيد٠س في أن يكون ابنه خالد قد التحق بالفدائيين ، خلافا لرغبته سابقا ٠ ويجد خالد امتداداً له في رواية "أم سعد" (١٩٦٩) التي ركز فيها كنفاني على الجيل الفلسطيني الجديد ، الذي لم يعد ينتظر من أحد أن يفعل له شيئا ٠

## ٢٠٢٠٤٠٣ : معين بسيسو(٩١) :

يختار معين بسيسو في مسرحيته "شمشون ودليلة" (١٩٧١) شخصية شمشون(٩٢) لكي يصور من خلالها الاسرائيلي ٠

في كتابه "يوميات غزة" (١٩٧١) يرفض بسيسو قصة شمشون كما وردت في العهد القديم ٠ إن شمشون الذي يمجده اليهود بطلاً ، ليس -بالنسبة لبسيسو- أكثر من محتل أجنبي او كاوبوي أمريكي جاء لكي يفرض سيادته على الفلسطينيين ٠ ويعتقد بسيسو أيضا بأنّ مطالعة لقصة العهد القديم تري أنّ دليلة ليست رمزاً للمرأة الخائنة ، -كما صورت- المرأة التي أغرت شمشون لكي تسلمه إلى أعدائه ٠ إن دليلة -هكذا يراها بسيسو- مقاتلة فلسطينية تمثل تطلع شعبها إلى الحرية(٩٤) ٠

إنّ موقف بسيسو يبدو واضحاً عندما يعرف المرء أنّ قصة شمشون وصلت إلينا من خلال رواية طرف واحد لها - تحديدا اليهود٠ وما هو غير معروف هو كيف كان الفلسطينيون سيقصون هذه القصة من طرفهم(٩٥) ٠ "إنه من الممكن أن تكون شخصية شمشون الخرافية قد بنيت من الفلسطينيين الذين كان تعاطفهم مع دليلة ، بينما بدا شمشون في تصورهم غولاً ذا قوة خارقة"(٩٦) ٠

لقد صورت دليلة في بعض النصوص الأدبية بطلةً محبة لوطنها تمارس الخيانة فقط لأسباب وطنية(٩٧) ٠ وهذا يعني أن رؤية بسيسو ليست جديدة٠ إنه شخصيا لا يكتب القصة التوراتية وفق رؤية جديدة لها ، والذي فعله فقط

هو أنّه وظف شخصيات قصة العهد القديم ليعبر من خلالها عن رؤيته للصراع في الشرق الأوسط منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٧٠ · ولا تظهر في نص المسرحية شخصيات العهد القديم وحسب ، بل إنه يُدخل شخصيات جديدة · وتستبدل دليلة بريم التي تعتبر من الطرف الاسرائيلي استمراراً لدليلة · هذا يعني هنا أن الأمور لم تتغير : إن الفلسطينيين اليوم هم فلسطينيو الماضي السحيق ·

شخصية راحيل أيضا لا توجد في القصة كما وردت في العهد القديم · ولكنها هنا تلعب دوراً مهماً في حرب شمشون ضد اعدائه · وهنا نفترض أنّ راحيل هي الكاتبة اليهودية يائيل دايان ، التي شاركت في حرب حزيران وكتبت تبعا لذلك كتابا عنها · ويبدو ان بسيسو الذي درس الادب الانجليزي قد قرأ الأصل الانجليزي لهذا الكتاب ، وفي قصيدته "نلقاكم في كشوف القتلى على جبهة السويس"(٩٨) ، يذكر يائيل دايان بالاسم ·

وعندما يقارن المرء بين أقوال بعض الشخصيات الاسرائيلية في مسرحية بسيسو بأقوال الجنود الاسرائيليين في كتاب يائيل دايان "مذكراتي الحربية" يرجح ما ذهبنا إليه ، وأنه تأثر أيضا بما ورد فيه· إن بسيسو ينطق شخصيات مسرحيته -تحديداً اليهودية- بما ورد على لسان الجنود الاسرائيليين في كتاب يائيل دايان ·

تجري احداث المسرحية قبل حرب حزيران ٦٧ وتستمر إلى ما بعدها· ويصور الجزء الأول منها واقع النفي الفلسطيني اثر حرب ١٩٤٨، ويصوّر متاجرة الحكام العرب بالقضية الفلسطينية ، الذين لا يفعلون شيئا سوى سلب الفلسطينيين حريتهم في العمل من أجل تحرير بلادهم · ويبدأ الجزء الثاني مع انطلاقة الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ ، ومن ثمّ اشتدادها بعد عام ١٩٦٧· وتطالعنا صورة الاسرائيليين في هذا الجزء ، إثر انتصارهم في الحرب ·

ثمة شخصيتان اسرائيليتان بارزتان في النص هما شمشون وراحيل ، ونعرف أكثر عن الاسرائيليين من خلال تصور الشخصيات العربية لهم ·

وينطق المؤلف الشخصيات الاسرائيلية ، بعد انتصار اسرائيل في حربها ،

بما يلي :

"نحن على مرمى حجر من كل عواصمكم
أقرب لأصابعكم
من كل خواتمكم"(٩٩) ٠

التعبير نفسه يعثر عليه في كتاب يائيل دايان ٠ وهي تكتب "بعد أن تحطم الأمل بالوصول إلى القاهرة ، ألحّ على جنودنا ، على الأقل ، أن يقتحموا دمشق"(١٠٠)

إن صيغة "نحن" في نص بسيسو تعكس تصور الاسرائيليين لأنفسهم ، كما يرى المؤلف ، وهي تعني كما لو أنّ الاسرائيليين يشكلون ذاتا لا ترضى العيش مع الآخرين أو الاندماج فيهم ٠

صيغة الـ "نحن" هذه تبدو هنا امتيازاً ، كما لو أنّ اليهود لهم تاريخ مميز وحاضر مميز وربما ايضا مستقبل مميز ٠ وتتكرر صيغة الـ "نحن" على لسان الشخصيات الاسرائيلية ، وتحديداً على لسان راحيل حين تخاطب شمشون ٠

إنّ هذه الـ "نحن" تنتفي إذا أثبت الـ "هم" ذاتهم ٠

و"نحن" اليهود في صراع دائم مع "هم" أي غير اليهود ٠ وعلى اليهود أن يظلوا في صراع دائم مع الآخرين حتى لا يفقدوا ذاتهم ، كما أنّ عليهم أن ينتصروا دائماً وأبداً : وتخاطب راحيل شمشون بالتالي :

"قدرك أن تكسر
أو تتكسر
إنّ لنا قدراً آخر يا شمشون
غير جميع الناس
إنّ لنا قدر الأجراس
إن كفت تقرع ماتت
أنا كالمحكوم عليه بأن يضرب بيديه السكين
فلا يجرح

لو سال الدم مات
في الصدر الجرح يميت
في الكف الجرح يميت
قاتلُنا الجرحُ الأول
وعلينا ألاّ نجرح أبداً"(١٠١) ٠

إنّ النص السابق دليل آخر على أنّ تصوّر بسيسو لشخصياته الاسرائيلية لم يبتعد عن تأثير قراءته لكتاب يائيل دايان المذكور ٠ وفي كتابها نقرأ النص التالي :

«ما يعني لبلد آخر الهزيمة ، يعني لنا الفناء ٠ نحن لا نستطيع أن نخسر الحرب ، ونبقى في الوقت نفسه على قيد الحياة ، ولمّا اتجهنا نحو الغرب كان هذا واضحاً لكل واحد منّا ٠ البعض فهم هذا بالعقل وبأنه ذو دلالة للتاريخ ، وآخرون شعروا ذلك بغريزة بدائية ولكن قوية»(١٠٢) ٠

ضمن هذا المنطق تتصرف الشخصيات الاسرائيلية في النص ٠ وحين تواجه راحيل عاصم الفلسطيني تخاطبه قائلة :

"ستدوس على هذا المدفع
إمّا أن تتكسر أنت
أو نتكسر نحن"(١٠٣) ٠

ويبدو أن الاسرائيليين لا يرون في الفلسطسيني الحالي سوى استمرار للفلسطيني القديم ، ولا يرون في ريم سوى دليلة ٠ وكأنّ الزمن لا يتبدل ولا يتغير حسب وجهة نظر الشخصيات الاسرائيلية في المسرحية ٠ تقول راحيل مخاطبة ريم:

"أنت دليلة ٠٠٠؟
هذا هو اسمك ٠٠

أمّا ريم ٠٠٠
فهو الاسم السري ٠٠
من أرسلك لشمشون ٠٠
ما عادت قوته في شعره
عبثا تُخفين مقصك تحت الأربطة البيضاء ٠٠"(١٠٥) ٠

مقابل هذا التصور الاسرائيلي للذات ، هناك التصور الفلسطيني لهم ٠ إنّ عبارات شمشون التالية:

"كل قنابلكم تتفجر في داخل هذه الخوذة ٠٠ كصواريخ الأطفال ٠٠"(١٠٦)

و"أنا شمشون قاهركم في خمسة أيام"(١٠٧) ٠

لا تلاقي من الفلسطينيين سوى السخرية ، فالاسرائيليون حتى في ذروة انتصارهم يرتجفون ، تماماً كما يرتجفون وهم يرتدون خوذاتهم الفولاذية ٠ ولا يصف بسيسو اليهود هنا بالجبن ، ولكنه يعتقد أن الإصرار الفلسطيني على المقاومة سوف يضع الاسرائيليين امام الواقع وجهاً لوجه ، أمام واقع جديد ٠ فاذا كانوا حقا قد انتصروا انتصاراً سريعاً كاسحاً ولدّ لديهم شعوراً بالاستعلاء، فانّ مقاومة الآخرين لهم سوف تحدّ من ذلك ٠

ينهي بسيسو النص المسرحي بالعبارة التالية على لسان ريم :

"در حول المدافع ٠٠
هذا هو طاحونك يا شمشون
ستظل تدور إلى أن تسقط
ستظل تدور إلى أن تسقط
هذا هو قدرك
هذا هو قدرك"(١٠٨) ٠

وهكذا يلتقي بسيسو مع كنفاني : إنّ فكرة الاستعلاء والتميز التي يلصقها الصهيونيون -لدى كنفاني- الاسرائيليون -لدى بسيسو- بأنفسهم ، ليست سوى كذبة ، فهم وإن بدوا في لحظات متفوقين على الآخرين ، فانّ ذلك لا يعود إلى أنّهم يرثون هذه الصفة كما يرثون صفاتهم الجسدية ، وإنّما يعود إلى ضعف الآخرين الذين إذا ما كفوا عن ضعفهم وبدأوا يفعلون ، أسقطوا تلك المقولات وأثبتوا أنهم لا يقلون عنهم ٠

## ٣٠٤٠٣ موقفان متضادان لمؤلفين حول السؤال فيما إذا كان اليهود يميلون إلى العزلة :

## ١٠٣٠٤٠٣ : عبد الله عيشان : نفي وجود ميل يهودي عام إلى العزلة :

يقص السارد في قصة "المعلم يوئيل" لعبد الله عيشان(١٠٩) ، قصة معلم يهودي يذهب إلى قرية عربية ليعلم فيها ، ولكنه لم يستطع الاندماج ، هناك ، مع سكانها ٠ فهو -كما يقول السارد- ذهب إليها ، مرغماً ، ليعلم الطلبة العرب اللغة العبرية ، لغة الدولة الاسرائيلية الرسمية بعد تأسيس الدولةعام ١٩٤٨ ٠ وتعود عدم رغبته في الذهاب إلى القرية الى أسباب ، منها ما هو ذاتي -أي يخص شخصه- ، ومنها ما هو موضوعي - أي يتعلق بالأوضاع التي شهدتها فلسطين عام ١٩٤٨ ، وما جرته الأحداث من تعميق للتوتر الذي كان سائداً أصلاً قبل ١٩٤٨ ٠

إنّ يوئيل -كما يقول السارد- شاب عاش في مدينة "اورشليم" وذهب ليدرس في قرية عربية شبه منعزلة ، وكان عليه ان يقيم بين أهلها هناك لصعوبة حركة المواصلات ، وهناك يحشر نفسه في غرفة ، يطالع ما أحضره معه من كتب ، غير مكترث لإقامة علاقة بينه وبين التلاميذ أو بينه وبين أهالي التلاميذ ٠ فهو أولا -كما يقول السارد- شخص حذر للغاية القصوى ، كما أنّه أرسل من جماعة -لا يقص السارد عنها شيئا- حذرته من الاندماج ٠ وهو

ثانيا يعيش بين عرب صورتهم التي كوّنهم عنها من الكتب ، ثم من خلال بعض ملاحظاته في أثناء إقامته في القرية حيث خلاف الناس لأتفه الأسباب ، لا تبعث على الاطمئنان • وهو أيضا على ما يبدو غير واثق من نفسه ، إذ غالبا ما يندب حظّه لمجيئه إلى هذه القرية وإقامته فيها ، فهو على الرغم من أنّه يعرف العربية إلاّ أنه كان يغتاظ من تلاميذه حين يبتسمون بخبث نتيجة نطقه لها •

ولكنّ يوئيل ليس الشخصية الوحيدة ، فثمة شخصية أخرى هي المعلم "داني" الذي يحل محلّ "يوئيل" في العام الدراسي الجديد ، وهي شخصية مغايرة ، شخصية تختلف اختلافا كليا عن شخصية يوئيل • فـ "داني" حين يذهب إلى القرية يحوّل الغرفة التي يقيم فيها إلى نادٍ يجتمع فيه التلاميذ مع معلمهم ، يستمعون إليه ويستمع إليهم ، ويحملون إليه الهدايا ، ولم تقتصر العلاقة على الطلبة والمعلم بل امتدت لتشمل طلبة آخرين لا يدرسهم ، ثم اتسعت لتشمل أهالي القرية • وحين يستمع داني إلى قصة "يوئيل" زميله السابق في الجامعة يضحك ويعلق قائلا :

«أصلح الله يوئيل : إنّه يستحق منّا الشفقة والرثاء •• إنّ خياله كان يصوّر له الأمور بعكس الحقيقة ويجسمها!! وما أحرانا واخلقنا ان نلتمس الحقائق في أغوار تفكيرنا وعقولنا ، لا بخيالنا المريض •• إنّه الوهم الذي يصيب البعض فيتشبث بفكرة معينة جامدة تسيطر عليه ، ومن العبث إقناعه بأنّ هذه الفكرة خاطئة ••••

أصلحك الله يا يوئيل فأنت زميلي في الدراسة وأنا أعرفك بل أدرى الناس بمعرفتك !!"(١١٠)•

بهذه الفقرة ينهي الكاتب قصته • إن القصة تتكون من عشر صفحات ، يقص السارد في ثمانية منها عن المعلم يوئيل ، ولا يقص عن داني إلاّ القليل ، ثمّ يترك داني ليبدي رأيه في "يوئيل" • ويؤكد رأي "داني" رأي السارد الذي نقرأه من خلال القص • ويحاول أن يظهر السارد -ومن خلفه عبد الله عيشان-

أنّ "يوئيل" استثناء ، وأن "داني" هو القاعدة او الأكثرية التي تميل إلى عدم العزلة ، وأنّ عزلته ناجمة عن سبب يخصه في المقام الاول ٠

لقد نشر عبد الله عيشان ، على أية حال ، قصصه في جرائد ومجلات قريبة الصلة بالسلطة الاسرائيلية الحاكمة ، مثل جريدة "الأنباء" و مجلة "الشرق"(١١١) والسارد -ومن خلفه عيشان نفسه- يحاول نفي ما يقال عن ميل اليهود إلى العزلة ٠

## ٢٠٣٠٤٠٣ رشاد أبو شاور : الزعم بأن ميل اليهود إلى العزلة يعود إلى اعتقادهم بالتفوق :

العمل الادبي الوحيد من اعمال رشاد ابو شاور(١١٢) الذي شخوصه كلهم يهود هو رواية "ارض العسل" (١٩٧٣) ٠ وفي اعماله القصصية الأخرى قلما تظهر لنا شخصيات يهودية لها حضورها ، وقد نعثر هنا أو هناك على شخصية اليهودي العسكري(١١٣) ٠ لقد الّف رشاد روايته المذكورة آنفا "لتملأ قلب الفتى العربي وعقله بالحقد على الصهيونية والاستعمار"(١١٤) ٠ وقد اعتمد في كتابة الرواية هذه على عدد كبير من الوثائق(١١٥) ، ولكنه يذكرها ٠

يختار الكاتب شخصيات يهودية حقيقية ليكتب عنها ، شخصيات لم يلتق بها أصلاً ، ولكنه قرأ عنها ، وعاشت في فترة مغايرة لتلك الفترة التي يعيش فيها ٠ إنّ الزمن الروائي يرتد إلى ما قبل عام ١٩١٧ ، كما أنّ المكان الروائي ليس فلسطين ، وإنما تجري الاحداث في بريطانيا ، حيث هناك عاشت الشخصية المحورية في الرواية "وايزمن" ٠ والكاتب يعرّف عمله الأدبي بأنه "رواية تسجيلية عن ظروف إصدار وعد بلفور البريطاني الذي أعطى أرض فلسطين للعصابات الصهيونية"(١١٦) ٠

تعرض الرواية أساساً لجانب من حياة وايزمن السياسية في بريطانيا أثناء فترة الحرب العالمية الاولى حيث كان يعمل هناك في حينه ، مدرسا للكيمياء في إحدى الجامعات (مانشستر) ٠ وتشير الى نشاطه في الحركة الصهيونية ،

وعمله الدؤوب من خلال استغلال الوسائل كلها ، الأخلاقية وغير الاخلاقية ، من أجل استعداد وعد بريطاني يمنح اليهود حق إقامة وطن لهم في فلسطين ، وينجح في ذلك ٠

ليس وايزمن الشخصية اليهودية الوحيدة في الرواية ، فهناك شخصيات اخرى منها زوجته وخادمته اليهودية الفقيرة ، ثم سولوكوف ، وهناك حديث عن الشخصية اليهودية البريطانية المشهورة روتشيلد ٠

وسارة هي اليهودية الفقيرة الوحيدة في الرواية ٠ وتفكيرها يتركز اكثر شيء على تأمين لقمة عيشها ، ومعالجة ابنها المريض ٠ هنا تبدأ لعبة الروائي في التمييز بين اليهود والصهيونيين ، ويتكرر ايضا هنا الموتيف في ان اليهود ضحايا للصهيونية باعتبارها حركة استعمارية ، ولكنها في الوقت نفسه تعتمد على الدين اليهودي لكي تنجز اهدافها ٠ وهذا ما يدركه وايزمن وسولوكوف حيث يتوصلان معا إلى أنه :

«فعلاً بالمال والدين ، والتحالف مع الدول القوية ٠٠ يمكن ان نحصل على ارض العسل ٠٠ ونبني دولتنا»(١١٧) ٠

وعلى الرغم من هذا الهامش ، هامش التمييز بين يهود صهيونيين ويهود غير صهيونيين ، إلاّ أنّ الحضور البارز في الرواية هو للشخصية اليهودية الصهيونية التي تسخّر ما يتطابق ما في الدين اليهودي مع أفكارها لتنفيذ مخططاتها الرامية إلى انشاء وطن خاص لليهود يتمكنون من العيش فيه ٠

يورد الكاتب عن لسان وايزمان العديد من العبارات التي تركز على شعور اليهود بالتعالي والتميز اللذين يؤديان إلى العزلة وعدم الرغبة في الاندماج مع الاخرين ٠ وهي عبارات تكتظ الرواية بها ، منذ بدايتها حتى نهايتها ٠

إنّ وايزمان يخاطب سارة موضحاً لها أنّ اليهود غرباء في بريطانيا ، ويطلب منها ألاّ تذهب إلى طبيب انجليزي حتى لو كان ماهراً جداً ، إذ عليها أن تذهب فقط إلى طبيب يهودي ٠ وحين يستقبل وايزمن هربرت صموئيل السياسي البريطاني اليهودي الأصل ، يعد له وجبة من الأطعمة اليهودية ، التي ليس فيها أي صنف انجليزي ٠

وهاتان الصفتان : التعالي والتميز لا تؤديان إلى العزلة وحسب ، بل وتؤديان إلى احتقار الآخرين ، أي غير اليهود بالدرجة الاولى ، وهم في الرواية العرب والانجليز ، العرب بعامة والفلسطينيون بخاصة ٠

هنا نشير إلى تأثير الزمن الكتابي على الزمن الروائي ، فالرواية التي تجري احداثها قبل عام ١٩١٧ كتبت عام ١٩٧٣ ٠ وفي عام ١٩١٧ كان الفلسطينيون يذكرون بعرب فلسطين ، خلافا لذلك كان الوضع عام ١٩٧٣ ، حيث كان الحس الفلسطيني يزداد باطّراد ٠

إنّ وايزمن الذي ينطلق اساساً من منطلق تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود ، يرى، باعتباره رائداً من روّاد الصهيونية ، أنّ عليه أن ينمي الحقد بين اليهود وغيرهم من البشر ٠ وهو غالباً "ما يستعيد في ذهنه بعض الجمل التي جاءت في التلمود والتي تقول إنّ الناس في كل العالم هم (جوييم) أي وثنيين ، وأنه سيأتي اليوم الذي يسيطر فيه اليهود على البشر ويجلعونهم خدماً لهم"(١١٨)٠

ولذا نجده يصف نساء السادة الانجليز بما يلي :

"إنني أعرف أنهنّ نسوة بلهاوات لاهمّ لهن سوى الترويج للفضائح وأخبار انحلال الطبقة الحاكمة ، ولكننا من خلالهن نستطيع أن ننفذ إلى أزواجهن"(١١٩) ٠

وأمّا العرب فـ "اغبياء ، بلهاء ، سوف يكتسحهم الطوفان ٠ لن يستطيعوا الصمود أمامنا"(١٢٠) ٠ وهم أيضا "متخلفون"(١٢١)٠

إنّ التعالي على غير اليهود يؤدي في نهاية الامر ، كما يرى الكاتب ، إلى تعالي يهود على قسم منهم ، بعبارة أخرى هنا تعالي الصهيونيين من اليهود على اليهود الذين لا يتمشون ومخططاتهم ٠ والرواية فيها الكثير من العبارات التي تشير إلى تعالي اليهود وميلهم الى العزلة ٠

ومن المحتمل جداً أن رشاد أبو شاور قد قرأ كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" وتأثر به ٠ إنّ تركيز وايزمن على تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود ، واحتقاره لغير اليهود ، ورغبته بأن يسود اليهود على الآخرين كلهم ، يذكر

بهذا الكتاب · وتحتوي الترجمة العربية للكتاب على مقدمة تفصيلية ، يذكر فيها وايزمن باعتباره رائداً بارزاً من روّاد الصهيونية · وكما ذكرنا سابقا فقد كتب ابو شاور روايته ليملأ عقل الفتى العربي وقلبه بالحقد على الصهيونية · وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون يساعده في ذلك · لكنّ ابا شاور لم ينجح في روايته في تصوير شخصية يهودية مقنعة ·

## ٥٠٣ : الفارق الثقافي والاجتماعي بين العرب واليهود :

قبل عام ١٩٦٧ لم يعثر سوى على نص واحد يصور كاتبه الفارق الثقافي والاجتماعي بين العرب واليهود · أما في هذه الفترة ١٩٦٧-١٩٨٧ فهناك غير نص يعالج هذه الفكرة ، وهذه النصوص هي لمؤلفين يعيشون في اسرائيل أو في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ·

وفي الحديث عن مشكلة الهوية للعرب ، فان *Eisenstadt* في كتابه "المجتمع الاسرائيلي" يقتبس مقولتين لاثنين من المثقفين العرب · أحدهما هو عطا الله منصور الذي يرى "أنّ تأسيس اسرائيل عمل على رأب الصدع الثقافي بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، واتجه إلى خلق مجتمع اسرائيلي له ثقافة واحدة ، ويشكل فئة اجتماعية متجانسة · وليس الحال كذلك بالنسبة للمواطنين العرب"(١٢٢) ·

إن الطابع الثقافي الاجتماعي للمجتمع الاسرائيلي مطبوع بالطابع الغربي ، وهذا يشكل إرباكاً للمجتمع العربي البطريركي(١٢٣) · وكمثال محدد على ما أورده *Eisenstadt* فانّ مكانة المرأة في المجتمع العربي يمكن أن تشكل عائقاً حين يحاول رأب الصدع بين المجتمع العربي والمجتمع اليهودي · ففي المجتمع العربي ثمة فصل بين الجنسين(١٢٤) · وخلافا للرجل فان المرأة لا تظهر في الحياة العامة ·

بعد حرب ١٩٦٧ وهزيمة العرب فيها ، ظهرت في العالم العربي اصوات

تنادي بضرورة النقد الذاتي • وخير مثال لهذه الأصوات صادق جلال العظم في كتابه "النقد الذاتي بعد الهزيمة" • إن العظم ينتقد العرب الذين دخلوا الحرب بعقلية عصر الفروسية • وفي وقت تحسم الحرب فيه من خلال اسلحة فتاكة كالصواريخ والمدافع فانهم ثمنوا عاليا مفاهيم الرجولة والشجاعة في اثناء المواجهة(١٢٥) ويثير العظم السؤال التالي : كيف يحق لقادتنا -ضمن المفاهيم السابقة- ان يواجهوا جيشا نصفه من النساء؟(١٢٦) •

ولكن العظم لا يمثل المثقفين العرب معظمهم • وثمة متعلمون كثيرون، لا يدافعون فقط عن ضرورة الفصل بين الجنسين ، بل يدافعون على البنية التقليدية كلها للمجتمع العربي(١٢٧) •

## ١٠٥٠٣ خليل السواحري : رجولة وأنوثة :

في قصص خليل السواحري(١٢٨) لا نعثر على نماذج قصصية يهودية تشكل محوراً أساسيا من محاور القصة • نقصد اننا لا نقرأ قصة واحدة تدور حول شخصية يهودية • إننا نعرف عن اليهود من خلال وصف البطل القصصي لهم ، إمّا على لسانه هو أو على لسان هو القاص (السارد) • وليس هناك تطابق دائم في معظم القصص بين البطل القصصي والمؤلف • على العكس من ذلك فقد نجد تضاداً بينهما ، بحيث انّ القاص / المؤلف يسخر من المفاهيم التي يعتقد بها بطله • هنا لا ينحاز المؤلف إلى جانب شعبه ضد اليهود انحيازا كليا، بمعنى أنّ كل ما لدى شعبه هو ايجابي ، وكل ما لدى اليهود هو سلبي ، وإنّما يحاكم السلبي أيضا لدى شعبه •

لقد كتب السواحري قصصه بعد هزيمة العرب في حرب ١٩٦٧م مباشرة (بين عامي ١٩٦٧-١٩٦٩) في مدينة القدس حيث كان يقيم ، ولعلّه اخذ يتساءل عن سّر الهزيمة ، ولعله رأى أنّها لاتكمن في ضعف العرب عسكريا مقابل قوة اسرائيل ، إنّ هناك شيئا أبعد وأعمق: المفاهيم الاجتماعية السائدة : مفاهيم لم تجلب معها سوى الهزيمة : مفاهيم مثل رجولة العرب وجبن اليهود•

مفاهيم كانت سائدة ويُعتقد بها وكأنها اليقين • هنا يسخر المؤلف من هذه المفاهيم اساسا ، ومن خلال قصصه التي تصوّر ذلك تطالعنا صورة اليهود •

ثمّة قصتان يمكن من خلالهما التعرّف على صورة اليهود ، ليس في ذهن المؤلف ، وإنّما في ذهن الشخصيات القصصية التي تمثل على أية حال قسما كبيراً من المجتمع العربي ، على الأقل في الفترة التي كتبت فيها القصتان •

القصة الأولى هي قصة "في الطريق الى القدس" ١٩٦٧م ، وفيها يختار الكاتب شخصية قروية لم تزر مدينة القدس قبل حرب حزيران سوى مرة واحدة بصحبة والدها • وإذ يقرر البطل القصصي محمد العمل عند اليهود بعد الحرب ، لا يتراءى في مخيلته عنهم سوى الصورة التي سمعها من جدته وهي أنّ اليهود أناس لهم أذناب • ثمّ حين يزور القسم اليهودي من القدس ويلتقي بهم يرى أنّهم أناس عاديون ، شوارعهم مرتّبة ، ويسيرون بانتظام صامتين دون أن يكلّم أحدهم الآخر •

طبعا هذه الصورة تفترض صورة مغايرة للقرية العربية ، بل وحتى للمدينة العربية • وحين يواصل السير يشاهد بركة ماء محاطة بالبلاط يسبح فيها الرجال والنساء معا ، وتجلس الفتيات على العشب، بعضهن يدخن وبعضهن يقرأ • وهذا كله يثير لديه التعجب ، فضمن تربيته وثقافته يراوده السؤال التالي :

"كيف لا تستحي هذه الفتيات من الجلوس هكذا بالسراويل القصيرة مع الشبان"(١٢٩) •

هنا يتطابق ما رآه مع ما سمعه من أهل قريته عن اليهوديات اللاتي يكشفن عوراتهن -باعتبار ذلك أمرا سيئا اخلاقيا- ، ولكن ما يثيره أكثر من ذلك أنه رآهن يجدن السباحة التي تعتبر من أمور الرجال في مجتمعه ، حيث يتباهى الرجال باجادتها • هذا الأمر يُعتبر تحديا لرجولته ، لرجولة العرب ، ولذلك يطرح السؤال التالي : هل الفتيات اليهوديات أكثر شجاعة مني ؟! وما من

شك في أنّ القاص أراد أن يسخر من بعض المفاهيم التي تعشش في المجتمع العربي ، ومنها مفهوم الرجولة ، ولذلك يوقع بطله في مأزق ليجعله نفسه يكتشف أن الأمر ليس كذلك ، ليس أمر رجولة وانوثة • فالبطل القصصي يحاول السباحة لكي يثبت لليهود أنه أشجع منهم ، لكي يبين لهم مراجل العرب، وهنا تنقصه ملابس السباحة ، فيفعل ذلك بملابسه غير اللائقة مما يجعل الجمهور يسخر منه ، ويحضر له الشرطي ليطرده • ويغادر محمد المكان إلى قريته وهو موضع سخرية• وينهي القاص القصة بالعبارة التالية :

«إلاّ أنّ ضحكات السابحين وصراخ الشرطي عليه ظلّت تقرع سامعيه حتى بعد أن وصل القرية»(١٣٠) •

ولعل القاص يرمي إلى إظهار أبعد مما حدث مع البطل القصصي ، فقد يقصد القول : إنّ مواجهة اليهود كعدو لا يتم إلاّ من خلال مفاهيم عصرية جديدة قادرة على الصمود أمام مفاهيمه العصرية • وأنّ انتصار اليهود على العرب إنّما يعود في جانب منه إلى تخلف العرب اجتماعيا • ويركز القاص على ذلك في القصة الثانية ، القصة التي حملت المجموعة اسمها "مقهى الباشورة" ١٩٦٨ • فأبو بلطة صاحب المقهى ، رجل عربي عرف اليهود وخبرهم قبل عام ١٩٤٨ ، وحين يُهزم العرب لا يصدق ذلك ، ويرفض في البداية أن يقدم لهم الطلبات لأنّهم في نظره أقل مرتبة :

«أنا أقدم الطلبات لليهود • أبو بلطة الذي كان يغلق كل حي محنيودا قبل الثمانية والأربعين بعصاه ، ولا يظل يهودي واحد يجرؤ على عبور الشارع ، أنا أبو بلطة الذي كان ينشماية يهودي بالعصا في حي موشيرم أقدم الطلبات لليهود ؟»(١٣١) •

ضمن مفهوم الرجولة والأنوثة يرفض في البداية ذلك لأنّه لا يستسيغ الواقع الجديد : انقلاب المعادلة ، أو انتصار هؤلاء الجبناء على اولئك الشجعان الرجال(١٣٢) ولذلك حين يفتح مقهاه ويبيع البضائع اليهودية مستجيبا على

الرغم منه ، لا يستسيغ أخلاق هؤلاء اليهود الذين بدأوا يصطحبون معهم النساء ويدخنون الحشيش ، ويترافق مع ذلك ان سلطات الاحتلال تفرض عليه الضرائب الباهظة ، فيحتار فيما يفعل ، وحين يراهم يدخنون الحشيش في مقهاه يشرع في استعمال يديه ، صارخاً ايضا في وجوههم بالعبارة التالية :

"انذال حقيرون ٠ من قال لكم أنني حوّلت قهوتي إلى محششة"(١٣٣) ٠

ومع أنّ في القصة إشارات إلى عرب يصطحبون النسوة ويبيعون الحشيش، إلاّ أنّ السياق العام يشير إلى أنّ هذا الانفتاح -الفساد- إنّما نما وترعرع بتشجيع من اليهود أنفسهم ٠

إنّ مفهوم الرجولة يلازم أيضا الحارس الليلي في قصة «فرج الهمشري»(١٣٤) فقد ظل هذا الحارس يواصل مهنته إبّان الاحتلال باعتبارها مهنة رجولة ، كما كان يقول لزوجته التي طلبت منه التخلي عنها بسبب المشاكل الناجمة عن الاحتلال ٠

## ٢٠٥٠٣ ٠٠ توفيق فيّاض : الانحلال الاخلاقي :

يختلف توفيق فيّاض في قصته "أبو جابر الخليلي" (١٩٧٤) عن خليل السواحري ويلتقي معه في الوقت نفسه ٠ يختلف معه في أنّه لا يحاكم مفاهيم اجتماعية كمفهوم الرجولة مثلا ، ويلتقي معه في اختيار شخصية قصصية محافظة تحدد موقفا رافضا للاحتلال ، لا لأنّ الشخصية القصصية ترى فيه احتلالا عسكريا وحسب ، بل-وهذا هو الأهم- لأنّها ترى في اخلاق افراده ما يهدد الاخلاق العربية ٠ أبو جابر هنا وأبو بلطة لدى السواحري يرفضان مظاهر الفساد : خلاعة الرجال والنساء وتدخين الحشيش ، وكلاهما يشكل مفهوم الرجولة عنصرا مهما من عناصر شخصيته ، وكما لاحظنا في قصص السواحري فان المؤلف يسخر منها ، وهو ما لا نلحظه واضحا لدى توفيق فيّاض٠

"أبو جابر الخليلي" عمل إبّان الحكم الاردني للضفة الغربية - أي قبل عام ١٩٦٧ في الشرطة ، وفصل من عمله لاكتشافه أنّ ثمة علاقة غير محترمة بين الضابط المسؤول عنه وبين امرأة غير حسنة الأخلاق · وحين يبلّغ عن هذه العلاقة يلّفق له الضابط تهمة شتم الذات الملكية والانتماء الى حركة القوميين العرب مما يؤدي إلى سجنه لفترة يعمل بعد انقضائها حارساً ليليا · وحين يقع الاحتلال الاسرائيلي يواصل عمله في هذه المهنة ·

هذه هي السمة الأساسية في شخصيته : رجل اخلاقي لا يستطيع السكوت عمّا يراه غير اخلاقي -وفقا لمفهوم الأخلاق لديه : الشرف-· إنّ الاستثناء الذي كان زمن الحكم الأردني يتحول إلى قاعدة ، ويمارس علانية في شوارع القدس تحت الحكم الاسرائيلي ، والاسرائيليون "يفعلون كل ما يغضب الله ورسوله في منتصف الشارع دون حياء وخجل"(١٣٥) وهم فوق هذا محميون من القانون الذي لا يتيح له التدخل إلاّ في حالتين غير معقولتين ، وهما : إذا استنجدت به الفتاة أو طلبت الشرطة ، وثانيا إذا كان الاثنان يمارسان الدعارة بمعناها الحرفي في الشارع(١٣٦) ·

ليس اليهود لديه مجرد جيش يحتل البلاد ، إنّهم اخطر من ذلك، لأنهم يهدفون إلى إفساد الأخلاق · هنا يختلف توفيق فيّاض عن الكثيرين من الكتّاب في تصويره لليهود · إنهم ليسوا مجرد عسكر دولة محتلة يقمعون الناس وحسب ، كما ظهروا في كثير من القصص· إنّهم قوم لهم اخلاقهم التي تتنافى والاخلاق السائدة عند أبي جابر وقومه أيضا -والمؤلف من وراء ذلك أيضا- ·

وهكذا يصف السارد مشاعر البطل القصصي ازاء ذلك :

«فلو بقي الأمر بالاحتلال فقط لهان الأمر ، فالدبابات والجنود في شوارع القدس أهون عليه مصيبة من ذلك ، ومصيرها أن تنسحب آجلا أم عاجلا ·· أمّا أن يحتلوها بالمومسات والقوادين فهذا أمر خطير ما من بعده خطر»(١٣٧) ·

ويبدأ الكاتب بسرد تفصيلي مجسّم • ففي أثناء واجب الحراسة الليلي يلتقي ابو جابر باستمرار بشباب يهود صيّع يقبلون بعضهم في الشوارع ، ويفعلون ما هو اكثر من ذلك • ولم يعد يميز بين الشباب والشابات :

«من الصعب عليه تمييز هؤلاء ممن يلقاهم في الليل ، ما إذا كانوا صيّع واللاّ صايعات ، فسراويل الجن هذه التي يلبسونها ، تلتصق والعياذ بالله بمؤخراتهم ، وقمصانهم فاقعة اللون ، كالتي تلبسها الفتيات ، تماماً ، وقد برزت صدورهم البضة الحلطاء الملطاء منها»(١٣٨) •

والأصعب من ذلك أنّ هؤلاء لا يحترمون كبر سن أبي جابر -هنا نقطة اختلاف ايضا بين المجتمع العربي والمجتمع اليهودي كما يصفه المؤلف هنا-(١٣٩) • إنّهم يعرضون عليه سيجارة حشيش ويمزحون معه وكأنه من جيلهم ، ثم يحاولون أن يلوطوا به • ومن خلال وصف السارد له تطالعنا صورة لليهود لم نعثر عليها من قبل :

«فهؤلاء الخواجات لا يعرفون كيف يمزحون مع واحد ليس من ابناء جيلهم ، ناهيك عن أن أقفيتهم مشاع بين بعضهم وها الشغلة مش عيب عندهم»(١٤٠) •

وضمن القصة يعرض القاص لتصرفات مختلفة اخرى من حياة اليهود • تصرفات لا تتشابه وتصرفات العرب ، إنها تختلف عنها ، وما هو حيا وخجل ، ما هو عيب عند العرب ليس كذلك عندهم • فحين يخرج احد الشباب اليهود صوتا يعتقد :

«أنّ أحد الأولاد "فلّت" ، فالخواجات كثيراً ما يفعلونها أمام بعضهم "لا حيا ولا خجل" لأنهم لا يعتبرون ذلك عيبا ، كما يفعل العرب ، بل العكس تماما ، فالتفليت من فوق هو العيب عندهم»(١٤١) •

لا يستسيغ ابو جابر هذه الاخلاق ، ولانه يرى فيها خطرا فانّه يلجأ إلى قتل الجندي الاسرائيلي • وكأنّ القاص يرى أنّ الخروج من هذا المأزق ، من هذا

الإفساد للأخلاق لا يتم إلا من خلال إنهاء الاحتلال ٠

وفي ثنايا القصة نقرأ غير مرة عن تصوّر ابي جابر لنفسه ، وتصوّره للآخرين : الرجولة مقابل النذالة ، ولكنه أيضا يشير إلى الحالة التي وصل إليها ، إذ انقلبت الأمور ٠ فهو يخاطب نفسه حين تصل به الأمور إلى مرحلة مذلّة :

"اخص عليك يا ابو جابر ، عمرها ما نزلتلك دمعة ، يستقردوك ويذلوك ، وينزلو دموعك علحيتك!! طب مش الموت كان أشرفلك ولا هالمذ ٠٠"(١٤٢)٠

وحين ينادي الجندي الاسرائيلي عليه يردد :

"هذا اللي ما حسبناش حسابه عصبحة ربنا ٠ صدق المثل : شمّر للنذل مرّة بتعود عليك ٠٠"(١٤٣) ٠

## ٣٠٥٠٣ عبد الله عيشان : عدم امكانية التعايش العربي اليهودي بسبب الفارق الثقافي الاجتماعي :

يرى عبد الله عيشان في قصته "الغلطة" (١٩٧٩) أنّ التعايش بين العرب واليهود غير ممكن ٠ ولهذا يختار لقصته التي يسرد فيها قصة حب بين شاب عربي هو ابراهيم وفتاة يهودية هي شولميت عنوانا لافتا ٠٠ يحمل في ثناياه رأي المؤلف وموقفه ، وتأتي نهاية القصة لتقول ما يقوله العنوان : إنّ الزواج أو الالتقاء بين العرب واليهود يحمل في طياته الكثير من المشاكل التي تؤدي في النهاية إلى الانفصال أو عدم الالتقاء(١٤٤) ٠

وإذا كان محمود درويش قد حكم ايضا على امكانية الالتقاء بالنفي ، فانّما حكم عليه بسبب الواقع السياسي العسكري ليس غير ٠ هكذا يقول بوضوح مقطعه الشعري :

بين ريتا وعيوني بندقية(١٤٥) ٠

أمّا عبد الله عيشان فيرى أن الأمر أبعد من ذلك ، صحيح أنّ الواقع

السياسي العسكري يشكل عائقا ، ولكنّه ليس الأساس في عدم الالتقاء • هناك الاختلاف الحضاري بين الطرفين ثمّ يأتي الخلاف السياسي ليشجع ذلك وليدفع كُلاً من الطرفين إلى التعصب لقوميته • إنّ الحب وحده لا يكفي إذ لا بّد أيضا من عوامل مشتركة تثبت هذا الحب •

يسرد عبد الله عيشان قصة حب بين شاب عربي وفتاة يهودية ، حب كلّل بالزواج ثمّ انتهى بالانفصال لأنّه كان مبنيا على أسس خاطئة • إنها غلطة ارتكبها الطرفان اللذان لم يتساءلا إنْ قدر لهذا الزواج أن ينجح بسبب اختلاف الواقع الاجتماعي لكليهما •

إنّ شولميت التي تعرّفت إلى ابراهيم في الكيبوتس وأحبته لأنّه انقذها من شخص لاحقها وحاول الاعتداء عليها ، لا ترى مانعا من الذهاب معه إلى الشاطىء ، كما لا ترى مانعا من الزواج منه ، وهو يوافق على ذلك دون أدنى اعتراض وحين يقيمان معا في القرية تبدأ المشاكل ويخيب ظن كل منهما •

«فشولميت ابنة الكيبوتس لم تكن لتستطيع أن توفق بين نظم القرية وحياتها ، فكانت تخرج من البيت تتجول بين الكروم وتصعد الجبل القريب لتمتع نفسها بالمناظر الجميلة ، الأمر الذي أنكره والداه ، وأثار القيل والقال في قريتهم»(١٤٦) •

هنا تبدو الصورة واضحة : الفتاة اليهودية المتحررة والمجتمع العربي المحافظ ، المجتمع الأبوي حيث يتدخل الأب في شؤون ابنه ، على العكس من المجتمع اليهودي ، فشولميت مثلا "ترعرعت في بيت يدلّلها ويرعاها ، وكانت تحظى بقسط وافر من الحرية حيث تسمح لها تقاليدها لتفعل ما تشاء"(١٤٧) •

وهذا هو السبب الرئيسي في القصة الذي يحكم على التعايش بالفشل ، وهي لتحررها ولممارستها هذا السلوك "كانت تشعر أنّها منبوذة بين أهله ، وكل نظراتهم إليها تدل على اشمئزاز وقرف • وكانت تسمع الكلام القارص اللاذع

من جيرانها وأهل القرية وتعليقاتهم البغيضة ، وكانت أصابعهم تشير إليها اثناء مرورها في الطريق كأنّها تتهمها بالجريمة"(١٤٨) ٠

ثمّ إلى جانب الخلاف هذا يبرز خلاف آخر سببه اختلاف النمط المعيشي : اختلاف الطعام ، واختلاف الأذواق ٠ وهو خلاف يعود إلى أن كلا منهما : ابراهيم وشولميت عوّد على عادات مختلفة ، وثقف ثقافة مختلفة أيضا ، فبينما كانت تحب سماع الموسيقى الغربية ، وترقص على أنغامها ، كان هو لا يرتاح لهذا اللون بل كان يعيش على أنغام المزمار ويطرب لسماع العتابا والميجانا ٠ ولم يراع كل منهما رغبة الآخر ، فهي تسخر من ذوقه ، وذوقها يثير حفيظته ٠

في القصة يشير السارد إلى أنّ سبباً آخر لرفض شولميت ، في مجتمع القرية ، يعود إلى كونها يهودية ، فأبناء القرية كثيرا ما كانوا يرجمون ابنها بالحجارة ويعفرونه بالتراب ويسمّونه بالعار وشتى الألقاب ٠ ولكن ذلك لا يبدو حادا وتصل الأمور إلى ذروتها بسبب الأحداث السياسية التي شهدتها فلسطين بين الطرفين ٠

وهو ما يشير إليه السارد بوضوح :

«لم تكن في الماضي تهتم بالدين والانتماء ٠ لم يكن لهذه الأمور شأن ولا أهمية لديها ٠ بل لم تفطن إليها مطلقا ٠ ولكنّ الرياح التي هدّمت واجتاحت البلاد كانت عاتية ، حطّمت النوافذ وكشفت الغطاء عن أشياء غامضة مجهولة»(١٤٩) ٠

إنّ الغلطة التي ارتكبها كلاهما تكمن في أنّهما لم يلتفتا الى الاختلاف الحضاري الديني القومي ٠ إنّ اليهود هنا يظهرون أناساً متحررين ، لهما نمط حياتهم المغاير معيشيا وثقافيا ٠ وقد عرض القاص لذلك ورأى أن الالتقاء ضمن هذا الاختلاف غير ممكن ٠ لقد عرض لذلك دون أن يشير بوضوح إلى انحيازه لأي طرف ، وإن كان ينقد أحيانا مجتمع القرية العربي وما يهمنا هنا هو تصوّره لليهود ٠

## هوامش الفصل الثالث

١- انظر *Bunzl* ، ص٨٨ وما بعدها ٠

٢- انظر قرارات الأمم المتحدة بخصوص الصراع في الشرق الأوسط؛ اعتمدت النص الألماني بترجمة *Arnold Harthung*، برلين ١٩٧٨ ص٢٨٢ وما بعدها ٠

٣- انظر *Bunzl* ، ص١٠١ ٠

٤- حول الأحزاب والحركات انظر *Bunzl* ، ص١٠١-١٦٩ ٠

٥- انظر : *Gresh , Alain : The PLO : The Struggle within , 7-51 , London 1988* ٠

٦- انظر ، ص٨٥ ٠

٧- *Lustick , 84* ٠

٨- نفسه ، ٨٥ ٠

٩- محمود درويش : ولد في البروة عام ١٩٤١ ٠ انتلقت عائلته في عام ١٩٤٨ إلى دير الأسد حيث درس الابتدائية وأكمل دراسته الثانوية في كفر ياسيف ٠ بعد تخرجه اتجه نحو الصحافة ٠ غادر اسرائيل واستقر في بيروت ليشرف على تحرير مجلة شؤون فلسطينية منذ ١٩٧١ ٠ عام ١٩٧٥ عيّن مديراً عاما لمركز الأبحاث الفلسطيني (أبو حمد ص٤١٢) ٠

١٠- اليوم السابع : مجلة اسبوعية سياسية تصدر في باريس باللغة العربية ٠ تأسست ١٩٨٤ ٠

١١- نشر درويش قصيدة في بداية الانتفاضة اعتبرها الاسرائيليون ذات دلالة تحريضية وقد كتب درويش هذه المقالة رداً على الهجومات الاسرائيلية ٠

١٢- درويش : ديوان ، ص١٩٢ ٠

١٣- يذكر المؤلف نفسه أنه حقيقة احد شخوص الحكاية ٠ انظر القاسم ٠ س : إلى الجحيم ، ص٤٧ ٠

١٤- القاسم ٠ س : إلى الجحيم ، ص١٤ ٠

١٥- القاسم ٠ أ : المسار ، ٢٥٨ ٠

١٦- ابو شاور : من المقدمة بدون ترقيم ٠

١٧- تتكرر هذه المفردات على لسان السارد في الصفحات ١٢ ، ١٦ ، ٤٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ٠ ويكرر الشخوص ذوو التفكير اليساري هذه المفردة مثل عادل الكرمي ١٦٥ ، أما الشخوص العاديون فغالبهم يستخدم مفردة يهودي ، مثلا ابو صابر ١٦٥ ٠ (خليفة : الصبار) ٠

١٨- نشير هنا إلى أنّ مفردة "اسرائيل" أو "حكومة اسرائيل" وردت في قصة نجاتي صدقي "دموع في العيد" ٠ وكانت القصة نشرت في بداية الستينات (صدقي : الشيوعي ، ١١٣ وما بعدها) ٠

١٩- يتكرر وصف الجيش الاسرائيلي في "المسار" بـ "الجيش الصهيوني" ، وبخاصة في أثناء وصف ما يفعله الجنود في الضفة الغربية وقطاع غزة ، في الصفحات ٤٦١ ، ٤٧١ و ٤٧٣ ٠

٢٠- في إحدى المقابلات التي أجراها الكاتب الاسرائيلي عاموس عوز يُرى كيف عامل اليهود الغربيون اليهود الشرقيين ٠ انظر عاموس عوز : في أرض اسرائيل (اعتمدت الطبعة الألمانية ، فرانكفورت ١٩٨٤ ٠ ص٢٧-ص٤٧) ٠

٢١- عسقلاني ، ٤٤ وما بعدها ٠ وانظر قصة "خروج" لسلمان ناطور ، حيث يخدع اليهودي المصري من الصهيونية (ناطور : كاتب ، ١٢ وما بعدها) ٠

٢٢- صالح ، ١٧ ٠

٢٣- القاسم ٠ س : الصورة ، ٧٨ ٠ شفارتسي خايي تعني حيوان أسود ويقصد بها اليهود الشرقيون (هكذا أورد المؤلف في الهامش) ٠ وفي رواية ليلى الأطرش "وتشرق غربا" تخاطب السجانة راحيل السجينة العربية زكية بما نصه : "زكية ، أنا أنتمي إلى اليهود السفارديم ٠٠ الشرقيين ٠ وكما تعرفين فان كلامنا لا يستمع إليه كما يستمع إلى كلام الغربيين ٠ وليست لدينا الفرصة مثلهم لكي نحصل على وظائف عالية" الأطرش ، ٢٤٧ ٠

٢٤- تايه ، ٤٨ ٠

٢٥- خوري ٠ ن ، ٢٠٩ ٠

٢٦- خليفة : عباد ، ٢٠٢ ٠

٢٧- ستدرس هذه الرواية تحت ٢٠٢٠٢٠٥ ٠

٢٨- شاهين : الأرض ، ٢٧٠ ٠

٢٩- تظهر في رواية سليم خوري "روح في البوتقة" (١٩٨٦) شخصية الفلسطيني اليهودي الذي يدافع عن الصهيونية على الرغم من صلاته الجيدة بالعرب ٠ ويرى فيه الشخوص العرب ضحية للصهيونية ٠

٣٠- شاهين : الهجرة ، ٦٤ ٠

٣١- نفسه ، ٧٩ ٠

روائيا ، حول امكانية تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود ، يختار أفنان القاسم في روايته "المسار" شخوصا ذوي ديانات مختلفة ، ويمنحهم أسماء تدلنا على ذلك ٠ يكرر ذلك أيضا في روايته "العصافير لا تموت من الجليد" التي تدور أحداثها في باريس -جزئيا- (بيروت ١٩٧٩) ٠

٣٢- درويش : ديوان ، ١٩٥ وما بعدها ٠

٣٣- نفسه ، ٢٠٠ ٠

٣٤- نفسه ، ٣٣٢ وما بعدها ٠

٣٥- بسيسو : ديوان ٤٧٠ وما بعدها ٠

٣٦- طوقان ٠ ف ، ٦٢٦ وما بعدها ٠

٣٧- بنورة : حكاية ، ٥٩ ٠

٣٨- الكيلاني ، ٨٦ وما بعدها ٠

٣٩- محمود ، ١٣٤ ٠

٤٠- هنية ، ١٥ وما بعدها ٠

٤١- القرى هي : يالو وعمواس وبيت نوبا ٠

٤٢- قدري ، ٥٤ ٠

٤٣- المجموعة القصصية التي نعثر فيها على ذلك هي مجموعة احمد عودة "زعتر التل" ٠

٤٤- مارس الكتاب العرب بعد هزيمة حزيران النقد الذاتي ٠ وابرز كاتب هو صادق جلال العظم في كتابه "النقد الذاتي بعد الهزيمة" ٠

٤٥- حول هذه الرواية انظر : وادي ، ثلاث ٤٦ و٥٢ وما بعدها ٠

٤٦- سميح القاسم : مواليد الرامة ١٩٢٩ ، انهى دراسته الابتدائية في الرامة ، والثانوية في كلية تراسنطة في الناصرة ٠ عمل بعد تخرجه في جهاز التعليم مدة خمس سنوات ٠ وبدأ نشاطه الصحفي في التحرير في مجلة اسبوعية باللغة العبرية كان يصدرها نائب الكنيست والصحفي (اوري افنيري) ، ثم انتقل إلى التحرير في مجلة الفد وجريدة الاتحاد ، وفيما بعد أصبح مسؤولا في مجلة الجديد الشهرية ٠ شاعر وكاتب غزير الانتاج (أبو حمد، ١٩٦) ٠

٤٧- نشرت هذه المسرحية في الجديد أولا ، ومن ثم في مجلة الآداب الصادرة في بيروت ، العدد ٩ / ١٩٧٠ ، ص١٨-٢٣ .

٤٨- في نصوصه المتأخرة يرى في الصهيونية صناعة انجليزية وتابعا للاستعمار . يبرز هذا بوضوح في مطولة "ثالث أكسيد الكربون" ، عكا ١٩٧٦ .

٤٩- القاسم ، س : إلى الجحيم ، ١٠١ .

٥٠- انظر متن ملاحظة ٢٣ من هذا الفصل .

٥١- القاسم ، س : الصورة ، ٤٦ .

٥٢- نفسه ، ٥١ .

٥٣- نفسه . وترجم الكتاب إلى العربية غير مرة ، والترجمات المختلفة ليست متوفرة لي ، ولذا لا أستطيع مقارنة النص كما ورد في الرواية بما اتكأ عليه سميح القاسم . وحول ترجمة كتاب هتلر الى العربية انظر : *Wild , Stefan : National Socialism in the Arab Near East between 1933 and 1939 , in WI , S. 126-173 \ 25 1985 .*

ويقارن الكتاب العرب منذ اواسط السبعينات بين الصهيونية والنازية .

٥٤- القاسم ، س : الصورة ، ٧٤ .

٥٥- تكتب *Parfitt* ما معناه : "هذا المصطلح يبدو مرادفا للجبن . وقد شرح لي عدد من اليهود السفارديم المقيمين في القدس هذا المصطلح بالتالي : لقد جاء الاشكناز من مناطق بعيدة ولم يكونوا يعرفون شيئا عن عادات العرب وتقاليدهم ولغتهم" (*Parfitt* ص٢٧٨) . ونقرأ في رواية *Exodus* لـ *Leon Uris* أن ذلك أطلق على اليهود "لأنهم رفضوا الخدمة في الجيش العثماني" (*Uris* ، ٢٧٨ من الترجمة الألمانية) .

٥٦- القاسم ، س : الصورة ، ٦٢ .

٥٧- أفنان القاسم : من مواليد يافا ١٩٤٤/١/١٢ . وأصل عائلته من مدينة نابلس حيث أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدارسها . عمل استاذاً في دار المعلمين في الجزائر بين عام ١٩٦٤-١٩٧٠ ثم سافر إلى باريس . حصل عام ١٩٧٥ على لقب دكتور حلقة ثانية حول غسان كنفاني من السوربون . وفيها درس لمدة ثماني سنوات (١٩٧٥-١٩٨٣) . حصل على لقب دكتور دولة عام ١٩٨٤ وذلك حول دراسة "البطل السلبي في القصة العربية المعاصرة" . عمل بين عامي ٨٤-١٩٨٧ في الصحافة العربية الصادرة في باريس ، وهناك يقيم الآن . (من رسالة خاصة بتاريخ ١٩٨٨/٨/١٧) .

٥٨- يشير الكاتب إلى أنه كتب النقيض عام ١٩٧٢ ، والباشا عام ١٩٧٣ ، والمسار عام ١٩٧٢ . ولكنه لم يستطع نشر أي منها في حينه بسبب صعوبات النشر .

٥٩- انظر متن ملاحظة ١٥ من هذا الفصل .

٦٠- يكتب وادي أنّ هذا التصور التجريدي الرمزي ينعكس في أعمال أفنان القاسم كلها .

انظر : وادي : أفنان ، ١٢٣ .

٦١- يقتبس افنان القاسم من كتاب غسان كنفاني فقرات من الصفحات ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ و ٩٠ وتظهر على التوالي في النقيض في الصفحات ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٣١ و ١٣٣ . واعتمد هنا على ط٢ من كتاب كنفاني (١٩٨١) .

٦٢- القصائد التي يقتبس منها هي "جندي يحلم بالزنابق البيضاء" (ديوان ، ١٩٥ وما بعدها) ، و"القتيل رقم ١٨" (ديوان ٢١٤ وما بعدها) ، و"مغني الدم" (ديوان ، ٢٠٧) .

٦٣- وادي : أفنان ، ١٢٦ .

٦٤- القاسم ، أ : الباشا ، ٢٤٤ وما بعدها .

٦٥- على سبيل المثال يتكرر القول "يهودي أجنبي" على الصفحات ٢٤٤ و ٢٤٦ ، و"اليهودي الصهيوني" على الصفحات ٢٣٤ و٤٥٥ ٠

٦٦- انظر متن الملاحظتين ٣٥ و٣٦ من هذا الفصل ٠

٦٧- في رواية غسان كنفاني "عائد إلى حيفا" هناك شخصية مريم التي هاجرت الى فلسطين ناجية من جرائم النازية ، وحين ترى في البداية ما يفعله الصهيونيون بالفلسطينيين تستنكر ذلك وتفكر بمغادرة فلسطين لأنها ترى أنّ وجودها في فلسطين هو على حساب الأخرين ، ومع مرور الزمن يتغير رأيها هذا ٠

٦٨- عودة ، ٣ ٠

٦٩- نفسه ، ٤٤ ٠

٧٠- انظر كنفاني : الصهيوني ، ١٢٢ ، ١٢٤ و١٢٧ ٠ لقد أخذ الكتاب العرب ، بعد حرب حزيران ٦٧ ، يشغلون انفسهم بالكتابات الصهيونية التي تركز على تفوق اليهود ٠ انظر حفني ، ١٦٧-١٨٧ ٠ وحول صورة العرب في الروايات الصهيونية ، انظر بديعة أمين : الشخصية العربية في الرواية الصهيونية ، كيف يقدم العربي إنساناً وحضارةً في الأدب الصهيوني ٠ الأقلام ٧ ، تموز ١٩٨٧ ، ١٧-٢٥ ٠

٧١- حول هذه الفكرة ، انظر : *Ben - Ezer II* ، ص٢٩ ٠

٧٢- نشر الكتاب بالانجليزية تحت عنوان "*A Solidier's Dairy*" ونقل في السنة نفسها إلى الألمانية (فرانكفورت ٠ م / ١٩٦٧) ٠

٧٣- العهد القديم ، ٦/١٠٥ و ٥/١٠٦ ٠ (النص الألماني) ٠

٧٤- انظر ، على سبيل المثال ، "العنصرية والصهيونية" في الموسوعة الفلسطينية ٠ دمشق ، ١٩٨٤ ٠ ص ٣٤٧ وما بعدها ٠ وانظر أيضا *Haddad , 347 , 353* ٠

٧٥ نفسه ، ٣٤٧ ٠ وهذه النصوص في العهد القديم ٥ ، موسى ٧ / ٣ (النص الألماني) ٠

٧٦- على سبيل المثال ، عبد الوهاب المسيري في كتابه "اليهودية والصهيونية واسرائيل" ، بيروت ١٩٧٥ ٠ ص٢٢ وما بعدها ٠ وانظر . *Haddad , 326 , 329* ٠

٧٧- حول ترجمة هذا الكتاب إلى العربية إنظر : د٠ محمود السمرة : فلسطين الفكر والكلمة ، بيروت ١٩٧٤ ٠ ص٣٧ وما بعدها ٠ وانظر : *Haddad , 324 ff* ٠

٧٨- هذا الرأي هو للمؤلف المصري جمال حمدان ٠ هذا الاقتباس من حفني ٠ انظر حفني ، ص١٨٧ ٠

٧٩- على سبيل المثال ، أنيس منصور ، انظر كتابه "الحائط الرابع" ، بيروت ١٩٧٢ ٠ ص٣٣ وما بعدها ، و١٢٧ وما بعدها ٠

٨٠- حول تأثير بريخت على كنفاني انظر *Siddig , 49 ff* ٠

وهناك مقال بالألمانية لـ

*Hartmut Fahndrich : "Der Kaukasische Kreidkreis auf arabisch" . Neue Zuricher Zeitung 14. 1. 1983* ٠

حول كنفاني انظر رضوى عاشور : الطريق إلى الخيمة الأخرى ، دراسة في أعمال غسان كنفاني ، بيروت ١٩٨١ ٠ ط٢ ٠

٨١- في رواية "أرض قديمة جديدة" (*1903*) (*Alt neu land*) يتصور هرزل فلسطين بعد عشرين عاما من استيلا الصهيونية عليها على أصبحت جنة بعد أن كانت صحراء ٠ (اعتمد على النص الألماني وهناك ترجمة للرواية عام ١٩٦٨) (ص٥٠ و ٦٤ من ط ١٩٨٥) ٠

وفي رواية "لصوص في الليل" لارثر كوستلر وصفت فلسطين غير مرة بأنها تحولت ، بعد عشرين عاما من سيطرة الصهيونية عليها ، من صحراء إلى جنة ، وتصف شخصية صهيونية هذه الأرض على النحو التالي : "لم تنتج هذه

السهول أية محاصيل منذ أن تركها أجدادنا" وتخاطب عربيا بالتالي : "لقد اهملتم هذه الأرض · وجعلتم السلاسل تنهار ، وتركتم المطر يجرف التربة · سوف ننظف السهول من الحجارة ···" (أعتمد على النص الألماني المترجم عن الانجليزية انظر :

· *Koestler , Arthuer : Diebe in der Nacht , Frankfurt 1983 , 47 , 248f*)

٨٢- كنفاني : عائد ، ٨ ·

٨٣- نفسه ، ٩ ·

٨٤- نفسه ، ٢٧ · إن المقولات الصهيونية التي ترى أنّ فلسطين حوّلت على يد الصهيونية من صحراء إلى جنة ، وجدت دحضا من الجانب الفلسطيني ومن آخرين · انظر : ريتشارد بيفر وزينب اليافي "هل حوّل الصهيونيون الصحراء إلى جنة ؟" شؤون فلسطينية ، ٢ ، أيار ١٩٧١ · ص١٢٣-١٢٩ ·

٨٥- كنفاني : عائد ، ٧٦ ·

٨٦- نفسه ، ٨٤ · وهنا يمكن المقارنة بين أقوال دوف في رواية كنفاني وبين أقوال دوف في رواية "اكسودس" · إنّ عبارة "لو كنت مكانك لحملت السلاح" تذكر فعلا برواية ليون اورويس "اكسودس" ففيها يصف القاص / السارد مقاومة اليهود في جيتو وارسو ، والدور الذي قام به دوف · في وارسو إبان الاحتلال النازي يقاوم دوف · وهنا في اسرائيل يدافع دوف نفسه عن وطنه الجديد بمحض اختياره (؟) · هكذا يصف السارد شباب اسرائيل : "إن شباب اسرائيل يسجلون انفسهم طوعا لكي ينفقوا عمرهم في مستوطنات ، كهذه ، على الحدود ·· لقد كانت هذه وظيفتهم · لم يكن لهم أي تفكير حول امور شخصية أو منافع مادية · بل فكروا فقط باسرائيل والمستقبل" · وعلى العكس من اليهود ، فان اللاجئين العرب - في الرواية- يتصرفون على النحو التالي : "هؤلاء اللاجئون أقاموا بلا عمل ، وعاشوا على ما تنفقه عليهم المنظمة الدولية" · (٧١٢ ، من الطبعة الألمانية الرابعة ، ميونيخ ١٩٩٠) ·

٨٧- انظر متن ملاحظة ٤٥ من هذا الفصل ·

٨٨- كنفاني : عائد ، ٨٦ وما بعدها ·

٨٩- نفسه ، ٨٧ ·

٩٠- نفسه ، ٨٧ ·

٩١- معين بسيسو : ولد في غزة عام ١٩٢٠ · ودرس في مدارسها ، ثم التحق بجامعة القاهرة حيث تخرج منها عام ١٩٥٢ ، وعمل مدرساً في غزة والعراق · قضى أربع سنوات في معتقل "الواحات الخارجية" في مصر حتى عام ١٩٦٣ · تنقل بين العواصم : القاهرة وبيروت ودمشق وموسكو ثم استقر في بيروت (عام ١٩٧٠ حتى ١٩٨٢) · كان عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني ، وعضو الأمانة العامة لاتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين · عمل رئيس تحرير مجلة اللوتس ، ونال جائزتها عام ١٩٨٠ · (انظر ، يعقوب حجازي : معين بسيسو شاعر فلسطين ، عكا ١٩٨٥ · ص ٩-١٢) ·

٩٢- انظر العهد القديم ، كتاب القضاء ، فصل ١٣-١٦ ·

٩٣- هذا الكتاب ، للأسف ، غير متوفر لي · أعتمد هنا على كتاب بلاّص · انظر بلاّص ، ٧٦ ·

٩٤- نفسه ، ٧٦ ·

٩٥- انظر ، فاروق عبد القادر : مسرح معين بسيسو؛ تنويعات عل لحن الثورة المحاصرة ، القدس ، ١٩٨٧ · ص ١٩ ·

٩٦- *Frenzel , s 695* ·

٩٧- نفسه ، *697* ·

٩٨- انظر متن ملاحظة ٣٥ من هذا الفصل ·

٩٩- بسيسو : شمشون ، ١١٠ · نشير هنا إلى مسرحية محمد نفّاع "وداعا أفريقيا وإلى غير لقاءَ التي نشرها ضمن مجموعته القصصية "ودية" ١٩٧٨ · ويوصف الاسرائيليون بالغرور والتعالي · ويختلف نفّاع عن بسيسو في أنه يرى أنّ نهاية هذا الغرور كان إثر حرب ١٩٧٣ (انظر ؛ نفاع ، ص٨٧-١٢٥) ·

١٠٠- انظر : *Dayan , 137* ·

١٠١- بسيسو : شمشون ، ١٥١ ·

١٠٢- *Dayan , 62* ·

١٠٣- بسيسو : شمشون ، ١٥٦ ·

١٠٤- هنا نحيل القارىء إلى مقالات محمود درويش النثرية التي أصدرها في كتاب "وداعاً أيتها الحرب وداعاً أيها السلم" ، بيروت ١٩٧٤ · وفيها يشير إلى عقد الصهيونيين الموروثة · انظر ص٤٨-٥٢ و ص٦٥-٦٩ ·

١٠٥- بسيسو : شمشون ، ١٥٧ وما بعدها ·

١٠٦- نفسه ، ١٢٣ ·

١٠٧- نفسه ، ١٢٣ ·

١٠٨- نفسه ، ١٦٠ ·

١٠٩- عبد الله عيشان : ولد في قرية البروة عام ١٨٣٥ · استقر في قرية المكر حيث أنهى دراسته الابتدائية والثانوية · حصل على التوجيهي عام ١٩٥٥ · عمل مدرساً في مدارس القرى : كفر ياسيف وأبو سنان والمكر · في عام ١٩٦٨ التحق بجامعة حيفا ونال شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها · (أبو حمد ، ٢٦٨) ·

١١٠- عيشان : عام ، ٥٢ ·

١١١- "الأنباء" ، صدرت ١٩٦٨ عوضاً عن "اليوم" · حول الصحافة العربية في اسرائيل ، انظر :
*Geffner , Ellen :Attitudes of Arab Editorialists in Israel 1948-1967 : An Analysis of al - Ittihad al - Mirsad and al - Yawm . Michigan 1973* ·

١١٢- رشاد أبو شاور : ولد في ذكرين ، قرب الخليل ، عام ١٩٤٢ · كاتب قصصي وصحفي وناقد · هاجر عام ١٩٤٨ إلى أريحا ، ومن ثم إلى بيت لحم ومن ثم ثانية إلى أريحا · هاجرت عائلته عام ١٩٥٧ إلى دمشق · في بداية الستينات انضم إلى مجموعات المقاومة العربية الفلسطينية · عام ١٩٦٥ عاد إلى أريحا · ومنذ عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧١ عاش في عمان ، وبعدها عاش في بيروت ودمشق (*Seekamp , 296*) ·

١١٣- على سبيل المثال قصة "ممنوع التدخين" من مجموعة "مهر البراري" ، بيروت ١٩٧٩ · ط٢ · ص٣٠-٣٧·

١١٤- أبو شاور ، ٣ ·

١١٥- نفسه ، ٣ ·

١١٦- نفسه ، ٣ ·

١١٧- نفسه ، ٧١ ·

١١٨- نفسه ، ٣١ · يستخدم الكاتب لمفردة "غوييم" معنى حيوانات بدل وثنيين · وفي الطبعة العربية من كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" تستخدم مفردة عجماوات وحيوانات · انظر : نويهض ، ص٥٩ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٤٩ ، ٢١٥ ·س

١١٩- ابو شاور ، ٢٧ ·

١٢٠ - نفسه ، ١١ ·

١٢١- نفسه ، ٤٠ ·

١٢٢- *Eisenstadt , 401* ·

١٢٣- حول المجتمع الفلسطيني انظر

• *Buren , Rainer : Ein Palastinensischer Teilstaat ? , Munchen , 1979 . S . 61 - 82*

١٢٤- انظر :

• *Mernissi , Fatima : Geschlecht Ideologie Islam , Munchen 1987 . S . 153-166*

١٢٥- العظم ، ٣٠ ٠

١٢٦- نفسه ، ٣٢ و ١٥١ وما بعدها ٠

١٢٧- حول بنية المجتمع العربي التقليدية انظر حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ، بيروت ١٩٨٤ ٠

١٢٨- خليل السواحري : ولد عام ١٩٤٠ في السواحرة الشرقية ، شرق القدس ٠ كاتب وصحفي وناقد ٠ يكتب القصة القصيرة والشعر منذ نهايةالخمسينات ٠ في الستينات بدأ يكتب النقد وينشره في مجلة "الأفق الجديد" التي صدرت في القدس حتى عام ١٩٦٦ ٠ أبعدته في تموز ١٩٦٩ ، السلطات الاسرائيلية ، ومنذ ذلك الحين يعيش في عمّان ٠ عمل في شؤون الأرض المحتلة ومحرراً ادبيا لجريدة الدستور ٠ (*Seekamp 308*) ٠

١٢٩- السواحري ، ٦٠ وما بعدها ٠

١٣٠- نفسه ، ٦٥ ٠

١٣١- نفسه ، ٩٣ ٠

١٣٢- هذه المعادلة المقلوبة بعد عام ٦٧ تطغى على رواية نبيل خوري "ثلاثية فلسطين" ويقر بطل الرواية بأنّ العرب أصبحوا جبناء ، وأن اليهود أصبحوا شجعان ، خلافا لما كان سائد قبل حرب حزيران ٠

١٣٣- السواحري ، ٩٣ ٠

١٣٤- نفسه ، ١٠٥ وما بعدها ٠

١٣٥- فيّاض : البهلول ، ٦٤ ٠

١٣٦- نفسه ، ٦٤ ٠

١٣٧- نفسه ، ٦٧ ٠ والكتابة عن محاولات الاسرائيليين إفساد الأخلاق العربية من خلال تشجيع البغاء وبيع الحشيش يتكرر في قصص جمال بنورة (مثلا قصة "حتى لاننسى" من مجموعة "الشيء المفقود" ص٥-٢٢) وفي رواية ليلى الاطرش حيث تقول الأم لابنتها : "الشرطة بتدس تجار الحشيش من اليهود بين عمّالنا وشبابنا وبتخطيط منظم مثل ما بيسلطو البنات الساقطات على شبابنا" (الأطرش ، ٢٠٨) ٠

وللأسف فانّ عدم عثوري على مقالات علمية تبين تأثير الاحتلال على أخلاق الشباب العرب في الضفة الغربية، حال دون شرح ذلك ٠ ولكني أتذكر العبارة التي كانت تتكرر على الألسنة "احتلال أم انحلال" ٠

١٣٨- نفسه ، ٧٥ ٠

١٣٩- انظر حليم بركات ، ١٧٤-٢٢٢ ٠

١٤٠- فيّاض : البهلول ، ٨٦ ٠

١٤١- نفسه ، ٨٠ ٠

١٤٢- نفسه ، ٨٨ ٠

١٤٣- نفسه ، ٩٠ ٠

١٤٤- حول الزواج بين العرب واليهود كما هو في الواقع انظر :

*Shipler , David , K. : Arab and Jew , Wounded Spirits in a Promised Land , New York , 1986 , S468 - 494* ٠

١٤٥- انظر متن ملاحظة ١٢ من هذا الفصل ٠

١٤٦- عيشان : الغلطة ، ٨ وما بعدها ٠

١٤٧- نفسه ، ١٠ .

١٤٨- نفسه ، ١٠ وما بعدها .

١٤٩- نفسه ، ١٢ .

# الجزء الثاني

## ١- الثابت والمتغير في تصور الفلسطينيين لليهود :

من خلال النصوص المعاينة في هذه الدراسة ، يلاحظ المرء أنّ هناك صفات وموتيفات لا يكررها جميع الكتاب • فثمة صفات ينعت اليهود بها تظهر في زمن ما ، وفي مكان محدد أيضا ، دون أن تظهر في زمان آخر أو مكانٍ آخر •

إن قتل المسيح أو صلبه ، على سبيل المثال ، وإلصاق هذا باليهود ، يظهر قبل عام ١٩٤٨(١) • وخلافاً لهذا فانّ ما يقال عن اليهود من أنهم يقتلون الأطفال لكي يسحبوا دمهم • لا يظهر إلاّ نادراً -تحديداً- بعد عام ١٩٤٨(٢)•

وعلى الرغم من أنّ اليهود وصفوا قبل عام ١٩٤٨ بـ "أبناء الميتة"(٣) ، إلاّ أنّ هذا النعت لم يظهر في الأدب إلاّ بعد عام ١٩٦٧(٤) •

ونقرأ أيضاً -وإن لم يكن هذا موجوداً لدى جميع الكتاب وفي الأوقات جميعها- أنّ اليهود يستغلون النساء لكي يحققوا اهدافهم ، ولكي يفسدوا أيضا اخلاق الشباب العرب ، وأنهم -أي اليهود- محبون للمال وجبناء • كما وصف اليهود أيضاً بأنهم نشيطون ، ويعملون حقا لأجل المصلحة العامة لشعبهم •

إن الموتيف -إن اليهود يستغلون نساءهم ليحققوا اهدافهم ، ولكي يفسدوا اخلاق الشباب العرب- يظهر مرات عديدة قبل عام ١٩٤٨ • والكتاب الذين أبرزوه كانوا يعممونه على اليهود كافة • وخلافا لذلك فنادراً ما يعثر عليه بعد عام ١٩٤٨ • إنّ التعميم لم يعد صفة تنسحب على جميع الكتاب(٥) • وقد نعتت الصهيونية لا اليهود كافة بارتكاب مثل هذه الأفعال هو الحركة الصهيونية • وفي هذه الفترة تظهر صورة ايجابية للمرأة اليهودية التي ترفض أن تقبل ممارسة سلوك كهذا(٦)• -أعني موافقتها ايضا على تسخير جسدها بناءً على طلب غيرها منها ، أو بناء على مبادرتها هي على فعل ذلك- • ولدى

كاتبين(٧) فقط ، نجد الموتيف المذكور حاضراً بعد عام ١٩٦٧ ٠ هنا يوصف اليهود بأنهم يمارسون الجنس علنا أمام الآخرين -أي العرب تحديداً- لإفساد أخلاقهم ٠ وتبرز في هذه الفترة المرأة اليهودية التي تصادق العربي دون أي تخطيط مسبق أو دون أي نوايا سيئة(٩) ٠

وكان وصف اليهود بحب المال بارزاً لدى معظم قبل عام ١٩٤٨ الكتاب٠ وقد ذكر شايلوك مراراً(١٠) ٠ واللافت للنظر أنّ ذكره بعد ١٩٦٧ لا يوجد في كتابات عودة الذي لا يميز بين اليهود اطلاقا، وإنما في كتابات كُتّاب يرفضون أساساً تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود ، مثل محمود شاهين وأفنان القاسم ٠ فالأول يصف اليهودي في روايته "الأرض الحرام" بأنه مراب(١١) ويسأل ، في مقدمته التي كتبها لروايته الثانية "الهجرة إلى الجحيم" ، نفسه كيف يمكن له وهو الضحية أنْ يغيّر من صورة هذاالمرابي -يقصد شايلوك- أمام العالم(١٢) ٠ والثاني -أي افنان القاسم- يقصر هذه الصفة في روايتيه "الباشا" و"المسار" على اليهودي الصهيوني ٠ واللافت للنظر أنّ هذا الوصف لا يبرز في نصوص الكتاب المقيمين في اسرائيل أو في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ٠

ونادراً ما يعثر المرء بعد هزيمة حزيران ٦٧(١٤) على صفات كثر ورودها في أدب ما قبل ١٩٤٨(١٣) ، مثل الجبن ٠ في هذه الفترة ينعت العرب أنفسهم بهذه الصفة ، لأنهم تركوا انفسهم ينهزمون ببساطة(١٥) ٠

جزئيا ، فقد نعت اليهود أيضا ايجابيا ٠ لقد فعل ذلك ، قبل ١٩٤٨ ، الشاعر ابراهيم طوقان الذي نَبّه بني قومه لكي يتعلموا من جهود العدو(١٦)٠ كما فعل الشيء ذاته كتاب المنفى بعد عام ١٩٤٨ ، مثل كنفاني(١٧) وصدقي(١٨) والنشاشيبي(١٩) ، وكتاب الداخل الذي كانوا قريبي الصلة من السلطة الاسرائيلية ، مثل منصور(٢٠) وعباسي(٢١)٠ ونعت اليهود بعد عام ١٩٦٧ بالذكاء(٢٢) واستخدام التكنولوجيا الحديثة(٢٣) ٠

أما وصف الملامح الخارجية لليهود فلم يركز عليه قبل عام ١٩٤٨ ٠ يعلق الدكتور ناصر الدين الأسد على أسلوب بيدس بالتالي:

"وخليل بيدس أحد الرّواد الأوائل في هذه البلاد الذين تحرروا من الأغلال التي تقيّد أسلوب الكتابة ٠٠٠ وهذا حكمٌ لا ينقصه ما نجده في ثنايا القصة من عبارات محفوظة أمّحت دلالاتها لكثرة تكرارها حتى أصبحت قوالب جامدة مثل قوله يصف استير "وقد أفرغ عليها الشباب أجمل حلله فأصبحت أبهى طلعة من شمس الضحى ، وأرق لطفا من نسمات السحر"(٢٤) ٠

يفهم مما سبق أنّ بيدس في وصفه للملامح الخارجية كان يعتمد على ما يحفظ من عبارات لا تتوافق والواقع ، بل إنّه يستخدم عبارات محفوظة ٠ على العكس من ذلك نجد وصف صدقي لريتا في قصة "أيام من العمر" :

"فتنهدت ريتا وشبكت أصابعها الطوال بعضها في بعض ، وتطلعت بعينيها العسليتين إلى أسفل ، فانسبل شعرها على خديها الناصعي البياض المشوبين بمسحة من الحمرة الطبيعية"(٢٥)

ولا يصف الكاتب ، في قصصه الأخرى ، النماذج النسائية على هذه الشاكلة٠ ومن هنا فهو يبتعد عن التنميط ، ولا تبدو النسوة اليهوديات -من حيث الشكل أيضاً- على نمط واحد ٠ وفي بعض القصص مثل قصة "شمعون بوزاجلو" ، لا نعثر على أي وصف للملامح الخارجية ،باستثناء وصف الملابس٠

ويوصف يعقوب خانكي في قصة "عنبر رقم ٥" بما يلي :

"وخانكي هذا رجل مديد القامة ممتلىء الجسم ، شديد البنية ، أحمر الوجه، اشقر الشعر ، أزرق العينين ، لا تفارق ثغره ابتسامة خبث عريضة"(٢٦)

يتكرر مثل هذا الوصف بعد عام ١٩٤٨ ، وبخاصة حين تكون الشخصية القصصية أوروبية الموطن ٠ فالعيون إمّا عسلية ، وإمّا زرقاء(٢٧) ٠ والشعر إمّا أشقر(٢٨) أو خروبي(٢٩) أو أحمر(٣٠) ٠

وتختلف الملامح الخارجية لليهود الشرقيين ٠ هكذا يصف أحد شخوص رواية "الهجرة إلى الجحيم" - وهو يهودي شرقي- ، أمّه :

"كانت سمراء ، سوداء الشعر والعينيين ، وأنفها كان طويلا معكوفا ،

ولهذا أصبح لديه احتمال أن تكون يهودية"(٣١)٠

ويصف اركاديوش -يهودي بولوني الأصل- اليهود الشرقيين في الرواية المذكورة بالتالي :

"لم تكن هنا أية فتاة بيضاء باستثناء اليهودية السورية ، لكن بياضها ليس كالبياض الأوروبي القريب من لون الشمع ٠ كلا فهو بياض مائل إلى السمرة الخفيفة ٠ نقي جذّاب يرغمك على الخشوع أمام سحره ، ولو بينك وبين نفسك ٠ أمّا الأخريات فكانت السمرة تغلب على بياضهن وخاصة اليمنيات والمصريات ٠ إنّها سمرة ساحرة أيضا !! وكان الشباب كذلك ٠ أي ان السمرة تغلب على لون بشرتهم"(٣٢) ٠

والملاحظ -بغض النظر عن لون البشرة أبيض كان أم أسود- غالبا التعبير عن الإعجاب بالجمال اليهودي ، والمقطع التالي من أشعار محمود درويش نموذج معبر عن هذا :

"والذي يعرف ريتا
ينحني ويصلي
لإله في العيون العسلية"(٣٣)

ويشبه غسان كنفاني وجه اليهود بوجه الدجاجة(٣٤)٠ ويقترب منه محمود شاهين فيصف أنف اليهودي بالمعكوف ٠ ووصف اليهود العراقيون بأنهم ذوو شوارب يُعرفون من خلالها(٣٥) ٠

هناك ظاهرة مميزة تكمن في الحديث عن إتقان اليهود اللغة العربية وعدمه ٠ إنّ اليهود القادمين من بلدان عربية يجيدون العربية كابنائها ، خلافا للقادمين من أوروبا ، فمن الأخيرين من يجيدها إجادة تامة ، ويتعدى ذلك إلى معرفة اللهجات الحضرية والبدوية والقروية ، مثل يعقوب خانكي(٣٧) ، ومنهم من لا يستطيع ذلك ٠ وغالبا ما تتعثر الشخصيات الأوروبية الموطن في

نطق حروف معينة نطقا صحيحا ، فالحاء تنطق خاءً ٠ ويتكرر هذا باستمرار ، وأبرز مثال على ذلك هو قصة "أبو جابر الخليلي" ، وفيها يخاطب دوف ، اليهودي الصغير ، أبا جابر على النحو التالي :

"إنت بشوف أبو غابي انتو كتير مليون ، واحنا مش كتير يهود، بس احنا بغلب ٠٠ احنا تساهل زغير كتير ، بس بعطيك خازوك كبير انتو ٠٠"(٣٨)٠

وما من شك في أنّ هذه العربية عربية مكسرة ، وواضح ما فيها من استبدال حروف بأخرى ٠

## هوامش الجزء الثاني / ١

١- انظر متن ملاحظة ٢٨ و٢٩ من الفصل الاول ٠

٢- انظر متن ملاحظة ٢٢ و٢٣ من الفصل الثاني ، وملاحظة ١١٣ من الفصل الثاني أيضا ٠

٣- انظر الفوري ، ١٢ و *Parfitt 181* ٠

٤- انظر ملاحظة ٥٥ من الفصل الثالث ٠ ويتكرر هذا لدى السواحري ٣٨ ، القاسم ٠ س : الصورة ، ١٠ ، وفياض: البهلول ، ٨٨ ٠

٥- الكتاب هم بيدس ودروزة والعبوشي ٠ انظر ملاحظة ٢٢ من الفصل الاول ومتنها وانظر ايضا ملاحظة ٣٢ ومتنها من الفصل نفسه ٠

٦- على سبيل المثال النشاشيبي في روايته حبات البرتقال ٠ انظر متن ملاحظة ٣٩ من الفصل الثاني ٠ والشيء ذاته يتكرر في رواية "حفنة رمال" ٠

٧- على سبيل المثال ، قصة أحمد عودة "يوم واحد في أرض الميعاد" (عودة ، ٥٥ وما بعدها) ٠ وأيضا قصة حسين مهنا "ثور تلقيح" (مهنا ٤٣ وما بعدها) ٠

٨- على سبيل المثال ، قصة جمال بنورة "حتى لا ننسى" (بنورة : الشيء ، ١٧) وأيضا رواية ليلى الأطرش "وتشرق غربا" (الأطرش ١٨٧) ٠

٩- على سبيل المثال ، محمود درويش ٠ انظر متن الملاحظة ١٢ من الفصل الثالث ٠
وسميح القاسم ، انظر ١٠٥٠٢٠٣ من هذه الدراسة ٠
وانظر قصة احمد حسين "الوجه والعجيزة" (حسين ٠ أ : ص٦٩-٩٥) ٠
وانظر على حسين خلف "كفر عانة" (خلف ، ٢٣-٢٧) ٠

١٠- على سبيل المثال ابراهيم طوقان والعدناني ٠ انظر مابعد متن ملاحظة ٥٢ من الفصل الأول٠
ومتن ملاحظة ٧٥ من الفصل نفسه ٠

١١- شاهين : الأرض ، ٢٦٧ وما بعدها ٠

١٢- انظر شاهين : الهجرة ، ٦ ٠

١٣- على سبيل المثال ابراهيم طوقان والعبوشي ٠

١٤- على سبيل المثال لدى أحمد عودة ٠ انظر متن ملاحظة ٦٩ من الفصل الثالث ٠

١٥- على سبيل المثال في رواية "ثلاثية فلسطين" لنبيل خوري في الصفحات ٧٧ ، ٨٠ و٢٢٢ ٠
وفي قصة السواحري "مقهى الباشورة" (٨٢) ٠

١٦- انظر متن ملاحظة ٤٩ من الفصل الاول ٠

١٧- انظر متن ملاحظة ٥١ من الفصل الثاني ٠

١٨- في قصة "عنبر رقم ٥" تطالعنا شخصية يعقوب خانكي (صدقي : الشيوعي ، ٨٢-٩٦) ٠

١٩- النشاشيبي : حبات ، ٣٥٩ ٠

٢٠- انظر متن ملاحظة ٩٧ من الفصل الثاني ٠

٢١- عباسي ، ٤٨ ٠

٢٢- شنار ، ٥٧ و ٦٢ ٠ خليفة : الصبار ، ١٥٨ ٠

٢٣- عسقلاني ، ٧ وما بعدها ٠

٢٤- الأسد ، ٧٧ وما بعدها ٠

٢٥- صدقي : الأخوات ، ١٩ ٠

٢٦- صدقي : الشيوعي ، ٨٩ ٠

٢٧- حول وصف العيون باللون العسلي انظر : درويش : ديوان ، ١٩٢ ٠ والقاسم ٠ س : الصورة ، ٣٦ ٠
وحول وصف العيون باللون الأزرق انظر شنار ، ١٨ ، وخلف ، ٣٦ ، وعودة ، ٢١ ، وخليفة : الصبار ، ٢٠ ٠

٢٨- القاسم ٠ أ : المسار ، ٨٨ ٠ خليفة : الصبار، ١٤ و ١٧١ ٠

٢٩- القاسم ٠ س : الصورة ، ٨٦ ٠

٣٠- القاسم ٠ أ : المسار ، ١٤١ ٠

٣١- شاهين : الهجرة ، ٤٢ ٠

٣٢- نفسه ، ١٥٩ وما بعدها ٠

٣٣- دوريش : ديوان ، ١٩٢ ٠

٣٤- كنفاني : القصص ، ٦٦١ ٠ كنفاني : عائد ، ٤١ و ٥١ ٠

٣٥- القاسم ٠ أ : المسار ، ٢٢٣ ٠ خليفة : الصبار ، ١٤ ٠

٣٦- عباسي ، ٣٨ ٠ صدقي : الشيوعي ، ٨٤ ٠ شنار ، ٢٠ ٠ أبو شاور : ٣٢ ٠
القاسم ٠ أ : الباشا ، ٢٠ و ١٤٢ ، ١٤٣ ٠

٣٧- صدقي : الشيوعي ، ٨٩ ٠

٣٨- فياض : البهلول ، ٨٣ ٠

## ٢- صورة العرب لدى اليهود كما يتصورها العرب :

تعكس الأعمال الأدبية المدروسة أيضا تصوراً آخر هو تصور الاخر للعرب كما تتصورها الذات الفلسطينية ، وكما أنّ تصور الذات للآخر اعتمدت على مصدرين أساسين هما التجربة الحياتية من خلال الالتقاء بالآخر ، والمعلومات التي يلّم بها الكاتب من خلال مطالعته لما يكتبه اليهود عن انفهسم وعن العرب، فان تخيل تخيل الآخر للآخر اعتمد ايضا على هذين المصدرين ٠

يصف إيان لوستيك في كتابه "العرب في الدولة اليهودية" (١٩٨٠) ما يسمعه المرء في اسرائيل من اليهود عن العرب على النحو التالي :

*"Ordinary language in Israel includes the use of "Arab" as an adjective to denote faulty work, undependable performance , etc . Epitherts such as "Araboosh" and "dirty Arab" are widely used . It is also common to hear Arabs referred to as "dogs" , especially among working class Jews"(1 )*

إنّ صورة العرب في الكتابات القصصية الصهيونية الاتجاه ، سواء في ذلك المكتوبة بالانجليزية أو العبرية ، تُري ، كما قدمها دارسون عرب ، أنّها سلبية جداً ٠

لقد أشغل كل من غسّان كنفاني(٢) وبديعة أمين نفسيهما بالروايات التي كتبها مؤلفون صهيونيون بالانجليزية ٠ وانتهى كل منهما إلى النتيجة نفسها٠ وقد لاقى كتاب كنفاني لدى القارىء العربي قبولاً حسنا ٠

من جهة ثانية فان هناك دراسات عديدة حول صورة العربي في الأدب العبري ٠ والدراسات التي انجزها كتاب عرب تعطي انطباعاً غير حسن ٠ ومن هذه الدراسات دراسة غانم مزعل "الشخصيةالعربية في الأدب العبري الحديث" (١٩٨٥) ، ودراسة انطوان شلحت "شخصية العربي في الأدب العبري" (١٩٨٥) ٠ وقد طبع كلا الكتابين في الداخل ثم أعيدت طباعتهما في العالم

العربي نظراً لاهتمام العربي المتزايد بدراسات كهذه ٠

يختار انطوان شلحت ثلاثة عناوين فرعية لكتابه ، ترينا بوضوح كيف أنّ صورة العربي في الأدب العبري سلبية جداً ٠ والعناوين هي : "العربي الخائن واليهودي المنتصر" و"العربي الصالح هو العربي الميت" ثم "العربي بلا هوية فردية" ٠

ولم يكتفِ الدارسون العرب بهذه الدراسات التي أنجزها عرب ٠ لقد أخذوا يترجمون بعض الكتب التي ألفت بلغات أخرى ، وعلى سبيل المثال ، فقد ترجمت إلى العربية رسالة الدكتوراة التي ألفتها *Risa Domb* تحت عنوان "*The Arab in Hebrew Prose 1911-1948*"٠ وقد جاء في مقدمة المترجم :

«إنّ قراءة هذا الكتاب تُشير إلى أي مدى وظّف الصهاينة الأدب في خدمة السياسة الصهيونية ٠ إنّ تحضير العربي على هذا النحو ، الذي نجده في هذا الكتاب ، كان بهدف تبرير الاستيلاء على أرضه وإبادته ، لأنّ خير مبرر لإبادة الشعوب تحقيرها»(٤) ٠

وما يجدر ذكره هنا ، هو أنّ الباحثين العرب لم يلتفتوا إلى بعض الدراسات التي ترى أن هناك صورة ايجابية للعربي في الأدب العبري -إلى جانب الصورة السلبية-(٥) ٠ ولم تترجم الروايات العبرية التي تبرز صورة إيجابيه للعربي إلاّ في بداية الثمانينات(٦)٠

لقد كان تصور الذات لتصور الآخر لها نادراً قبل عام ١٩٤٨ في رواية الحسيني "مذكرات دجاجة" يخاطب الدجاج الطاريء الدجاج المحلي على النحو التالي :

"مبادئكم ؟ وهل لمثلكم مبادىء يَصْدُرُ عنها ؟"(٧)

وقدم لنا برهان الدين العبوشي في مسرحيته "وطن الشهيد" تصورات شخصيات يهودية مختلفة للعرب ٠ فهناك يهود يسبغون على العرب صفات ايجابية كالمروءة وحب الأرض ، وهناك آخرون يرون في العرب أمة على فطرة

الماضي وشملاً مبعثراً ، وأنهم -أي العرب- أبناء الصحراء ٠

ويبدو هذا التصور بعد عام ١٩٤٨ -سواء في أدب الداخل أو أدب المنفى- سلبيا ٠

في قصة "الكمين" لتوفيق معمر ، يرى ممثل السلطة الاسرائيلية أنّ العرب لصوص ومخادعون(٨) ٠

وفي قصة "عاصفة في عش" لمحمد علي طه يصف حاييم العرب، قبل أن يتعرف عليهم من خلال الالتقاء بهم ، بأنهم "أناس قذرون ، حفاة متوحشون ولصوص يأكلون لحم البشر ، بل وللعربي ذيل كذيل القرد"(٩) ٠

ويعكس النشاشيبي في روايتيه "حبّات البرتقال تصّور الحركة الصهيونية للعرب ، وهو تصوّر لا يختلف كثيراً عمّا ورد سابقا ٠ إنّ العرب ، كما ترى الحركة الصهيونية ، متعصبون إرهابيون ينبغي أن يعاملوا بمثل أسلوبهم (١٠)٠

ولا نعثر في النصوص المكتوبة بعد عام ١٩٦٧ على تغيّر جذري بهذا الخصوص "وتشبيه العرب بالحيوانات هو الذي يغلب ٠ وعبارة "عرافيم خموريم" أو "عرب كلاب" ٠ تتكرر في كثير من النصوص(١١) ٠ ويوصف العرب من باب الاحتقار بأنهم لا يجيدون سوى تربية الشوارب(١٢) ٠ وأنهم اغبياء(١٣) ، بلهاء يفقدون كل منطق عندما يناقشون قضية فلسطين(١٤) ٠

والعرب ايضا يبيعون ما فوقهم وما تحتهم من أجل وليمة جنس(١٥) ، وامراؤهم لديهم الكثير من الحرم الذين يستبونهم في المعارك(١٦) ٠

وتبدو النظرة الصهيونية أوضح ما تبدو في رواية كنفاني "عائد إلى حيفا" فالعرب عاجزون عن الفعل ولا يعرفون شيئا سوى البكاء ٠

وتصور دوف في الرواية للعرب على هذه الشاكلة ، هو تصور دوف نفسه لهم في رواية ليون اوريس "اكسورس" ٠ هذا يعني ان كنفاني لم يتخيل الآخر

للعرب وإنّما أفاد مما قرأه من روايات صهيونية درسها في كتابه "في الأدب الصهيوني" ٠

هذا هو التصور الغالب ولكنه لس الوحيد ٠ فالكتاب الذين لم يلجأوا إلى التعميم ، أعني الذين صوروا نماذج يهودية ايجابية وخيرة، عكسوا من خلالها تصوراً ايجابيا للعرب ٠ إنّ اليهود العرب وغير الصهيونيين أو الذين عرفوا العرب أيضا من خلال الاحتكاك جيداً بهم، يعطون تصوراً مغايراً ٠ ولعلّ أبرز مثال لذلك ، نجده في قصة عبد الله عيشان المدروسة سابقا ، قصة "المعلم يوئيل"(١٧) ، وداني الشخصية الثانية في القصة يرى أنّ العرب اصحاب مروءة، ويكرمون الضيف ، وداني على العكس من يوئيل الذي لا يرى في العرب من الصفات إلاّ أسوأها ٠ على أنّ تصور داني هو الاستثناء ٠

## هوامش الجزء الثاني / ٢

١- *Lustick , 85* ٠

٢- كتب كنفاني عام ١٩٦٦ كتابه "في الادب الصيهوني" ٠

٣- نشرت بديعة امين مقالاً عنوانه "الشخصية العربية في الرواية الصهيونية : كيف يقدم العربي انساناً وحضارة في الأدب الصهيوني" الأقلام ٧ ، تموز ١٩٨٧ ، ص١٧-٢٥ ٠

٤- عمان ، ١٩٨٥ ٠

٥- نذكر هنا مقالات (*Ehud Ben - Ezer*) ٠٠ الحرب والحصار في الأدب الاسرائيلي بين ١٩٤٨-١٩٦٧ في "*Jerusalem Quarterly*" عدد ٢ ، شتاء ١٩٧٧ ٠ ص٩٤-١١٢ ٠ و"الحرب والحصار في الأدب العبري بعد ١٩٦٧" في المجلة نفسها ، عدد ٩ ، خريف ١٩٧٨ ٠ ص٢٠-٣٧ ٠

٦- نذكر هنا رواية أ ٠ ب ٠ يهوشع "العاشق" التي ترجمها محمد حمزة غنايم ورواية عاموس كينان "الطريق إلى عين حارود" التي ترجمها انطوان شلحت ٠

٧- الحسيني ، ١٤٢ ٠

٨- انظر متن ملاحظة ٧٥ من الفصل الثاني ٠

٩- طه : لكي تشرق ، ١٠٥ ٠

١٠- النشاشيبي : حبات ، ٢٣٧ وما بعدها ٠

١١- خليفة : الصبار ، ٨٨ ٠ طوقان ٠ ف : ٥٢٠ ٠ الأطرش ، ٢٢٦ و ٢٣٥ ٠

وادي :طريق ، ٢٣ ٠ السواحري ، ٧٤ ٠ شاهين : الهجرة ، ٨٨ ٠

١٢- فياض : البهلول ، ٩٠ ٠

١٣- أبو شاور ، ١١ ٠

١٤- خوري ٠ ن : ١٨٦ ٠

١٥- عودة ، ٦٣ ٠

١٦- القاسم ٠ س : الصورة ، ٧٧ ٠

١٧- عيشان : عام ، ٥٢ ٠

## *خاتمة البحث*

كما لاحظنا ، فانّ صورة اليهود في الأدب الفلسطيني كانت حتى عام ١٩٤٨ صورة -في معظمها- سلبية • وحتى عام ١٩٤٨ ، عام تأسيس اسرائيل ، صوّر اليهود سلباً • اليهود صرّافون وجبناء وخداعون ومكارون ، ولم يترددوا في توظيف النساء من أجل الوصول إلى أهدافهم • ولكنّ المرء يعثر أيضا على صفات ايجابية ، فهم نشطون ، وهم أيضا يعملون لخدمة وطنهم مفضلين المصلحة العامة على المصلحة الخاصة • وعلى الرغم من أنّ بعض المؤلفين كانوا يميزون بين يهود ويهود صهيونيين ، إلاّ أنّ استخدام مفردة "يهودي" في عموميتها ودلالتها -باعتبار اليهودي خصما- كانت تطلق على اليهود غير الصهيوني واليهودي الصهيوني سواء بسواء •

وعلى المرء أن يميز في تناول الأدب المكتوب بعد عام ١٩٤٨، بين كتاب المنفى والكتاب المقيمين على أراضيهم • فالأخيرون غالبا ما وصفوا نماذج فردية • صحيح أن معظم هذه النماذج صورت سلبا ، لكن المرء لا يستغرب هذا حين يعرف أن الحكم العسكري ظلّ معمولا به في اسرائيل حتى عام ١٩٦٦ • ولهذا ايضا غالبا ما تطالعنا نماذج يهودية تنتمي إلى الشرطة أو الجيش الاسرائيلي • وما هو لافت للنظر هنا هو أنّ كثيراً من المؤلفين كرروا الموتيف التالي : إن العرب واليهود كانوا يعيشون معا بوئام وسلام ، وأن الانجليز هم الذين أوجدوا العداوة بينهما • أما كتاب المنفى فمعظمهم رأى في اليهود أعداءً فقط • ولكن ما يلفت النظر هنا أيضا هو أن بعض الكتاب رأوا في اليهود ضحية للصهيونية ، فميزوا بين اليهود والصهيونية ، كما انهم ميزوا أحيانا بين اليهود العرب الأصل واليهود القادمين من أوروبا • والأخيرون اعتبروا مصدر السوء •

إنّ التغير الاساسي حصل بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ • فلم يلجأ عدد كبير من المؤلفين إلى تقسيم العالم إلى يهود ولا يهود ، كما كان السائد قبل ذلك • إن التمييز بين الصهيونية كحركة استعمارية واليهودية كديانة كان

واضحا كل الوضوح • وأسباب ذلك عديدة ، فهناك انتشار الماركسية بين المثقفين العرب ، وهناك أيضا مشروع فتح الداعي إلى إقامة دولة علمانية يعيش فيها أبناء الديانات الثلاث • ولهذا يجد المرء هنا نماذج يهودية كانت تعيش أيضا في فلسطين قبل المشروع الصهيوني وكان ولاؤها الأول لفلسطين ، وكما يجد أيضا نماذج ايجابية للجندي العسكري اليهودي باعتباره ضحية للصهيونية، والشيء ذاته بالنسبة للمرأة • ولكن هذا لا يعني أنّ الصورة السلبية لليهود قد اختفت • فصفات مثل الغرور وحب المال والخداع والميل إلى العزلة تسقط على النماذج اليهودية الصهيونية ، كما يسقطها بعض الكتاب -وهم قلة- على اليهود كلهم •

يُلحُ على المرءِ وهو يستقصي البحث عن صورة اليهود في الأدب الفلسطيني السؤال التالي : هل كان لهذه الفكرة لولا النشاط الصهيوني الذي نجم عنه تأسيسُ دولةَ اسرائيل وطردِ السكان العرب من ديارهم أن تحضر في الاعمال الادبية بهذا الشكل اللافت ؟ ويتبع هذا السؤال الافتراضي سؤالٌ افتراضيٌ آخر هو : كيف ستبدو صورتهم -أي اليهود- لولا الأحداث السياسية والحروب التي شهدتها المنطقة ؟

لقد كان اليهود موجودين في فلسطين قبل النشاط الصهيوني ، ونحن لا نعثر على نَصّ أدبي يشير إلى أنّ ثمة موقفا معاديا منهم كونهم يهودا • وقد يقول قائل -ومعه الحق في ذلك- : إنّ الحركة الادبية في فلسطين في حينه كانت ضعيفة ، وهذا هو السبب في ذلك أو قد يكون هذا هو السبب في ذلك • ولكنّ أولّ قصيدة نعثر عليها، يهاجم مؤلفها اليهود ، كانت تحمل عنوانا ذا دلالة مهمة هو "الخطر الصهيوني" ، ولم ينظمها مؤلفها إلاّ بعد أن اطلع على مقال نشرته صحيفة "فلسطين" عنوانه "صدى الصهيونية" ، وقد قدّم محرّر الجريدة للقصيدة بما يلي :

«هذا ولما اطلع فضيلة الاستاذ الشيخ سليمان أفندي التاجي على ما ورد في العدد الماضي تحت عنوان "صدى الصهيونية" أرسل لنا هذه الأبيات البليغة فجعلناها ذَيْلا لهذا الموضوع»(١) •

ونحن لا نعرف للشاعر نفسه أو لشاعر مسلم آخر قصيدة يهجو فيها ، مَثَلاً، المسيحيين لكونهم مسيحيين • والشي ذاته يمكن قوله عن الشعراء المسيحيين • فأبرز شاعر في حينه وهو وديع البستاني كان ذا حسٍ قومي بارز ، ولم يقف إلى جانب البريطانيين كونهم ينتمون إلى الدين الذي ينتمي إليه • بل على العكس من ذلك نجده يقف موقفا صارماً منهم ، موقفاً لا يقل حدة عن موقفه من الصهيونية التي رأى فيها شكلاً من أشكال الاستعمار • ووصل به الأمر أن نظم قصيدة تحت عنوان "كلنا مسلمون"(٢) خاطب فيها كل أبناء الضاد على اختلاف دياناتهم للوقوف في وجه الاستعمار الغربي الذي يهدف إلى السيطرة عل البلدان العربية ومنها :

أَيُها الناطقونَ بالضادِ صَحْواً أيكم نائمٌ وغير مفاقِ
صيحة الحق قد علتْ فاسمعوها وصداها يرن في الأبواقِ
لا نصارى ولا دُروز ولكنْ أرضُ سورية وأرض العراق
كُلّنا مسلمون في مذهب الغرب عُداةٌ منقوضة الميثاق
ويهود وأرمَنٌ ومجوسٌ سُلّمٌ دونَ غاية ومُراقِ •

وكان تَخَوّفُ الكُتّابِ العرب قبل ١٩٤٨ من فُقدان أرضهم وهويتهم القومية -وهو ما حدث لعرب فلسطين فعلاً- من الأسباب التي حدت ببعضهم أحيانا الى تعميم القول في اليهود ، ولم يكتفوا بالنعوت التي ألصقت بهم في القرآن ، بل استعاروا أيضا كل ما قيل فيهم في آداب الأمم الأخرى التي شنّعت في وصفهم • وعلى الرغم من ذلك ، فان من الكتاب -وحتى بعد تأسيس دولة اسرائيل وهزيمة العرب في حرب ١٩٦٧- من ظل يُميّز بين اليهود والصهيونيين منهم ، ولم تحولهم الكارثة التي ألمّت بالشعب الفلسطيني على امتداد سبعين عاما ويزيد إلى كتّاب متعصبين يضعون اليهود جميعا -أينما كانوا- في سَلّةٍ واحدةٍ • وحتى النصوص التي لم يُميّز فيها أصحابها بين يهودٍ ويهود ، ينبغي ألاّ تُدرس بمعزل عن صيغة الخطاب في الأدب العربي نفسه • لقد عرف الشعر العربي قصائد نظمها الشعراء العرب في هجاء بعضهم ، فيها من تشويه صورة المهجو ما هو أشد وأقسى مما قاله طوقان في الرد على رئوبين

الشاعر اليهودي الذي نظم قصيدةً في هجاء العرب يسخر منهم • وأوضح دليل على ذلك يجده المرءُ في قصائد شعراء النقائض الذين عاشوا في العصر الأموي، وهم: جرير والأخطل والفرزدق • بل إن عدداً من القصائد والروايات التي ألّفها اصحابها ، لم تخرج أصلاً عن إطار الدفاع عن الذات ردّاً على بعض الكتّاب اليهود الذين طعنوا في العرب وحاولوا تشويه صورتهم لتبرير حقّهم -أي اليهود- في إقامة وطنٍ قومي لهم في فلسطين • لقد فعل ذلك كل من ابراهيم طوقان وهارون رشيد وناصر الدين النشاشيبي • ولعلّ أكثر قصيدة لاقت رواجاً للشاعر محمود درويش ، وهي قصيدته التي نظمها في الستينات تحت عنوان "سَجّل أنا عربي" ، لا تخرج عن هذا الإطار : إطار الدفاع عن الذات التي يحاول الآخر تشويهها •

والشيء ذاته يمكن قوله عن بعض روايات غسان كنفاني ورشاد أبو شاور ومحمود شاهين وافنان القاسم • لقد أراد قِسمٌ من هؤلاء نقض الصورة التي يرسمها اليهود لأنفسهم ، صورة التميّز والتعالي على الآخرين ، وبخاصةٍ العرب •

وعلى العموم فان مُجمل الكتابات التي تعرّض فيها كتابها لليهود -وبخاصة بعد عام ١٩٦٧- تشير إلى أنهم ليسوا ضد اليهود كونهم يهوداً • إنّهم ضد الصهيونية باعتبارها في نظرهم حركة عنصرية سبّبت كارثةً لعرب فلسطين • عدا عن أنّها تنظر إلى العرب بتعالٍ واحتقار • ولا يقف الكُتّاب في تصوّرهم للصهيونية عند هذا الحدّ ، بل يتجاوزونه ذاهبين إلى أنّها جنت أيضا على الشعب اليهودي نفسه : الشعب الضحية الذي تحوّل إلى جلاّد •

لقد أوْردنا في مقدّمة هذه الدراسة مقولة لشموئيل موريه يقول فيها إنّه في حالة الصراع بين طرفين غالبا ما يلجأ كل طرفٍ الى تشويه صورة الآخر ، ومع أنّ هذا ينطبق على جانب من الكتابات لدى العرب واليهود على السواء ، إلاّ أنّه يمكننا القول : إنّ أبرز الكتّاب الفلسطينيين الذين اعيدت طباعة اعمالهم ، ثمّ تُرجمت إلى العديد من اللغات -محمود درويش وغسّان كنفاني ، على سبيل المثال ، لم يفعلوا ذلك حتى في أسوأ حالات الصراع • لقد عاب هؤلاء على

الصهيونية أنّها على الرغم من المآسي التي حلّت باليهود على أيدي النازية حوّلت الضحية إلى جلاّد ، وظلّ هؤلاء الكُتّاب محافظين على وعيهم الانساني ، فلم يتحولوا -وهم ضحية أيضا- إلى جلاّدين لليهود ولو من خلال الكلام • لقد ظلّوا يميّزون باستمرار بين اليهود والصهيونية كحركة سياسية • ولعلّنا هنا نثير السؤال التالي : كيف ستبدو صورة اليهود في الأدب الفلسطيني في السنوات القادمة ؟ قد يَشهد الصراع بين الطرفين مراحل مختلفة : ايجابية وسلبية ، ويبدو أنّ ما رأيناه سنراه أيضا • ولعلّ في تضاؤل حدة الصراع بين الطرفين ما يفتحُ مجالاتٍ أوسع للاختلاط والتعرف على بعضهما ، ليس من خلال لقاء عابر محكوم بالتوتر وإنما من خلال لقاء فيه قدر من الثقة ، وهذا يمكّن الأديب من رسم صورة واقعية ، لعلّها تُسقط الكثير من الآراء المسبقة أو الآراء المُتمّناه ، هذه الاراء التي تتكرر في كثير من الكتابات •

(١) جريدة فلسطين ١٩١٣/١١/٢٦م

(٢) نشرت القصيدة في مجلة الزهراء سنة ٢ عدد ٣ ــ ١٣٤٤ هجرية ص ١٨٤ وما بعدها •

# المصادر والمراجع

**اختصارات :**

ش : شعر
ق : قصة
ر : رواية
م : مسرحية
ن : نثر

# المصادر الأساسية


| | | |
|---|---|---|
| ابراهيم : | ابراهيم ، حنا : أزهار بَرّية ، حيفا ١٩٧٢م | ق |
| الأطرش : | الأطرش ، ليلى : وتُشرق غرباً ، بيروت ، ١٩٨٨م | ر |
| البستاني : | البستاني ، وديع ٠ ديوان الفلسطينيات ، بيروت ١٩٤٦م | ش |
| البسومي : | البسومي ، فوز الدين ٠ تِلْكَ الأيام ، عمّان ١٩٨٠م | ق |
| بسيسو-ديوان : | بسيسو ، مُعين : الأعمال الشعرية الكاملة ، بيروت ١٩٧٩م | ش |
| ـــ-شمشون : | ـــ ، ـــ : شمشون ودليلة ، القاهرة ١٩٧١م | م |
| بنورة - حكاية : | بنورة ، جمال : حكاية جدي ، القدس ١٩٨١م | ق |
| ـــ ، الشيء : | ـــ ، ـــ : الشيء المفقود ، القدس ١٩٨٢م | ق |
| تايه : | تايه ، عبد الله : العربة والليل ، القدس ١٩٨٢م | ق |
| جبرا - البحث : | جبرا ، جبرا ابراهيم : البحث عن وليد مسعود ، بيروت ١٩٨١م ٠ ط٢ ٠ | ر |
| ـــ ، البئر : | ـــ ، ـــ : البئر الأولى ، لندن ، د٠ت٠ | س |
| ـــ ، الملك : | ـــ ، ـــ : الملك الشمس ، بغداد ، ١٩٨٦م | م |
| حرب ، ـــ : | حرب ، أحمد : اسماعيل ، القدس ١٩٨٧م | ر |
| حسين ، ر : | حسين ، راشد : كتاب الشعر الثاني ، حيفا ١٩٧٩م | ش |
| حسين ، أ : | حسين ، أحمد : الوجه والعجيزة ، الناصرة ١٩٧٩م | ق |
| الحُسيني : | الحسيني ، اسحق موسى : مذكرات دجاجة ، القدس ، د٠ت٠ | ر |
| خلف : | خلف : علي حسين : الصهيل ، بيروت ١٩٨١م | ق |
| الخليلي : | الخليلي ، علي : المفاتيح تدور في الأقفال ، القدس ١٩٨٠م | ر |
| خليفة ، الصُبار | خليفة ، سحر : الصبار ، القدس ١٩٧٦م | ر |
| ـــ ، عباد : | ـــ ، ـــ : عباد الشمس ، القدس ، ١٩٨٠م | ر |
| خوري ، س:روح: | خوري ، سليم : روح في البوتقة ، عكا ، ١٩٨٦م | ر |
| ـــ ، وداع : | ـــ ، ـــ : الوداع الأخير وقصص أخرى ، تل أبيب ١٩٦١م | ق |
| خوري ، ن : | خوري ، نبيل : ثُلاثية فلسطين ، بيروت ١٩٧٤م | ر |
| درويش - ديوان : | درويش ، محمود : ديوان محمود درويش ، بيروت ١٩٨٤م - ط١١ ٠ | ش |
| ـــ ، ذاكرة : | ـــ ، ـــ : ذاكرة للنسيان ، بيروت ١٩٨٧م | ن |
| ـــ ، مديح : | ـــ ، ـــ : مديح الظل العالي ، بيروت ١٩٨٤م ط٢ | ش |
| رشيد : | رشيد ، هارون هاشم : ديوان هارون هاشم رشيد ، بيروت ١٩٨١م | ش |
| زياد : | زياد ، توفيق : ديوان توفيق زياد ، بيروت ١٩٧٠م | ش |
| سلمان : | سلمان ، فرج : ابرياء وجلاّدون ، عكا ١٩٦٠ | ق |
| السواحري : | السواحري ، خليل : مقهى الباشورة ، الكويت ١٩٨٠م ٠ ط٢ | ق |
| أبو شاوَر : | أبو شاور ، رشاد : أرض العسل ، بيروت ١٩٧٩م | ر |
| شاهين - الأرض : | شاهين ، محمود : الأرض الحرام ، دمشق ١٩٨٣م | ر |
| ـــ ، الهجرة : | ـــ ، ـــ : الهجرة إلى الجحيم ، بيروت ١٩٨٤م | ر |

| | | |
|---|---|---|
| شقير : | شقير ، محمود : الولد الفلسطيني ، القدس ١٩٧٧م | ق |
| شُنّار : | شُنّار ، أمين : الكابوس ، بيروت ١٩٦٨م | ر |
| صالح : | صالح ، مصطفى : الجراد ، عمّان د٠ت٠ | ق |
| صِدقي - الأخوات | صِدقي ، نجاتي : الأخوات الحزينات ، مصر د٠ت٠ | ق |
| ـــ ، الشيوعي | :ـــ ، ـــ : الشيوعي المليونير ، بيروت ١٩٦٣م | ق |
| طوقان ، إ : | طوقان ، ابراهيم : ديوان ابراهيم طوقان ، بيروت ١٩٧٥م طبعة دار القدس ٠ | ش |
| ـــ : | ـــــ : ـــــ ، القدس د٠ت طبعة دار المحتسب | |
| طوقان ، ف : | طوقان ، فدوى : ديوان فدوى طوقان ، بيروت ١٩٨٤م | ش |
| طه - لكي تشرق : | طه ، محمد علي : لكي تشرق الشمس ، الناصرة ، ١٩٦٤م | ق |
| ـــ ، جسر : | ـــ ، ـــ : جسر على النهر الحزين ، | ق |
| عباسي : | عباسي ، محمود : حب بلا غد ، الناصرة ١٩٦٢م | ر |
| العبوشي : | العبوشي ، برهان الدين : وطن الشهيد ، القدس ١٩٤٧م | م |
| العدناني : | العدناني ، محمد : في السرير ، القدس ١٩٤٦م | ر |
| ـــ : | ـــــ : ـــــ ، حلب ١٩٥٢م ٠ ط٢ | |
| عسقلاني : | عسقلاني ، غريب : الخروج عن الصمت ، القدس (١٩٧٩؟) | ق |
| عودة : | عودة ، احمد : زعتر التل ، عمّان د٠ت٠ | ق |
| عيشان - عام : | عيشان ، عبد الله : عام الكُركسة ، القدس ١٩٧٤م | ق |
| ـــ - الغلطة : | ـــ ، ـــ : الغلطة ، حيفا ١٩٧٩م | ق |
| فياض - البهلول: | فياض ، توفيق : البهلول ، بيروت ١٩٧٨م | ق |
| ـــ - بيت : | ـــ ، ـــ : بيت الجنون (غسان كنفاني ، الدراسات الأدبية مجلد ٤ ، بيروت ١٩٨١م ٠ ط٢ | م |
| قاسم،أ-الباشا : | القاسم ، أفنان : الباشا ، بغداد ١٩٧٧م | ر |
| ـــ ، النقيض : | ـــ ، ـــ : النقيض ، دمشق ، ١٩٧٨م | ر |
| ـــ ، العصافير: | ـــ ، ـــ : العصافير لا تموت من الجليد ، بيروت ١٩٧٩م | ر |
| -المسار : | ـــ ، ـــ : المسار ، بيروت ١٩٨٠م | ر |
| ـــ - الذئاب : | ـــــ : الذئاب والزيتون ، تونس ١٩٨٣م | ق |
| قاسم،س-المطعم: | القاسم ، سميح : المطعم ، مجلة الآداب ، أيلول ١٩٧٠م | م |
| ـــ ، الليلك : | ـــــ : إلى الجحيم أيها الليلك ، القدس ١٩٧٧م | ر |
| ـــ ، الصورة : | ـــــ : الصورة الأخيرة في الألبوم ، القدس ١٩٧٩م | ر |
| قدري : | قدري ، محمود : اسرار الضفة الأخرى ، بيروت ١٩٨٠م | ق |
| كنفاني-ما تبقى: | كنفاني ، غسان : ما تبقى لكم ، عكا ١٩٧٧م ط٢ | ر |
| ـــ - القصص : | ـــــ : القصص القصيرة ، الأثار الكاملة ، المجلّد الثاني بيروت ١٩٨٠م ٠ ط٢ | ق |
| ـــ ، عائد : | ـــــ : عائد إلى حيفا ، القدس ١٩٧٧م ٠ ط٢ | ر |
| الكيلاني : | الكيلاني ، سامي : أخضر يا زعتر ، القدس ١٩٨١م | ق |
| محمود : | محمود ، أديب رفيق : الحصار ، نابلس د٠ت٠ (١٩٨٠؟) | ر |

| | | |
|---|---|---|
| مرّار : | مرّار ، مصطفى : حمارُنا وبريطانيا ، اسرائيل ١٩٧٢م | ق |
| معمر - مذكرات: | معمر، توفيق : مذكرات لاجىء أو حيفا في المعركة ، الناصرة ١٩٥٨م | ر |
| ـــ، المتسلّل : | ـــــ : المتسلل وقصص أخرى ، الناصرة ١٩٥٧م | ق |
| منصور : | منصور ، عطا الله : وبقيت سميرة ، اسرائيل ١٩٦٢م | ر |
| مُهنّا : | مهنا ، حسين : وطني ردني إلى رُباك شهيداً ، عكا ١٩٨١م | ق |
| نحلة : | نحلة ، مفيد : الرحيل ، عمّان ١٩٧٥م | ر |
| النشاشيبي-حفنة: | النشاشيبي ، ناصر الدين : حفنة رمال ، بيروت ١٩٦٤م | ر |
| النشاشيبي-حبات: | النشاشيبي ، ناصر الدين : حبّات البرتقال (من مجموعة وقصص أخرى) بيروت ١٩٦٦م ٠ ص٢٦٤-ص٢٧٤ | ر |
| أبو النصر : | أبو النصر ، محمد : رجال وقضبان ، الناصرة ١٩٨٥م | ق |
| نفّاع : | نفّاع ، محمد : وديّة ، عكا ١٩٧٨م | ق/م |
| هنية : | هنية ، أكرم : طقوس ليوم آخر ، قبرص ١٩٨٦م | ق |
| وادي - طريق : | وادي ، فاروق : طريق إلى البحر ، بيروت ١٩٨٠م | ر |
| ناطور : | ناطور ، سلمان : الشجرة التي تمتد جذورها إلى صدري ، عكا ١٩٧٩م ٠ | |

# المراجع العربية


الأسد : الأسد ، ناصر الدين : خليل بيدس ، رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ، القاهرة ، ١٩٦٣ ٠

بلاص : بلاص ، شمعون : الأدب العربي في ظل الحرب ١٩٤٨-١٩٧٣ ، عكا ١٩٨٤ ٠

حفني : حفني ، قدري : الاسرائيليون من هم ، دراسة نفسية ، القاهرة ١٩٨٨ ٠

أبو حمد : أبو حمد ، عرفان : اعلام من أرض السلام ، حيفا ١٩٧٩ ٠

السعافين : السعافين ، ابراهيم : نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، عمان ١٩٨٥ ٠

السوافيري : السوافيري ، كامل : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من ١٩١٧ حتى ١٩٥٥ ، القاهرة ١٩٦٣٠

العودات : العودات ، يعقوب : اعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ ٠

غنيم : غنيم ، عادل حسن : موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية من الحرب العالمية حتى اضطرابات البراق ١٩٢٩ ، مجلة الشرق الأوسط عدد ١ ١٩٧٤ ٠ ص٢١٢-٢٢٢ ٠

الغوري : الغوري ، اميل : فلسطين عبر ستين عاما ، بيروت ١٩٧٢ ٠

قاسمية : قاسمية ، خيرية : نجيب نصار في جريدته الكرمل ١٩٠٩-١٩١٤ ، شؤون فلسطينية ، عدد ٢٣ ، ١٩٧٣ ٠ ص١٠١-ص١٢٣ ٠

كنفاني:الصهيوني كنفاني ، غسان : في الأدب الصهيوني ، بيروت ١٩٨٢ ٠ ط٢ ٠

كنفاني:المقاوم: كنفاني ، غسان : الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨ ، بيروت ١٩٨١ ٠ ط٢ ٠

كنفاني:الدراسات كنفاني ، غسان : الدراسات الأدبية ، ج٤ ، بيروت ١٩٨١ ٠ ط٢ ٠

الكيالي : الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٨٥ ٠ ط٩ ٠

المحاسني : المحاسني ، زكي : طوقان ، شاعر فلسطين في حياته وشعره ، القاهرة د٠ت٠

المناصرة : المناصرة ، عز الدين : مقدمة في نظرية المقارنة ، عمان ١٩٨٨ ٠

مزعل : مزعل ، غانم : الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث ، عكا ١٩٨٦ ٠

نويهض : نهويض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، ج١ ، عمان ١٩٨٧ ٠

وادي : ثلاث وادي ، فاروق : ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، عكا ١٩٨٥ ط٢ ٠

وادي : أفنان وادي ، فاروق : أفنان القاسم وهاجس البحث عن المعادل الوهمي ، شؤون فلسطينية ، عدد ١١٣ ، نيسان ١٩٨٣ ٠ ص١٢٢-١٣٤ ٠

## المراجع الالمانية والانجليزية


| | |
|---|---|
| Abboud | Abboud, Abdo : Deutsche Romane im arabischen Orient, Diss . Frankfurt\M . 1984 . |
| Abraham | Abraham, S : The Jew and the Israeli in Modern Arabic Literature, Jerusalem Quarterty 2, 1971, S. 119-136 . |
| Allen | Allen, Roger : The Arabic Novel : an historical and critical introduction, New York 1982 . |
| Altoma | Altoma, Salih : The Image of the Jew in Modern Arabic Literature 1900-1947, Al-'Arabiyya, II (1978) , S. 60-73 . |
| Alwan | Alwan, Mohammad Bakir : Jews in Arabic Literature 1830-1914, (Al-Arabiyya, II (1978), S. 46-59 . |
| Ansprenger | Ansprenger, Franz : Juden und Araber in einem Land, Munchen 1978 . |
| Ben Ezer I | Ben Ezer, Ehud : War and Siege in Israeli Literature (1948-1967) The Jerusalem Quarterly, Number 2, Winter 1977, S. 94-112 . |
| Ben Ezer II | Ben Ezer, Ehud : War and Siege in Hebrew Literature after 1967, The Jerusalem Quarterly, Number 9 Fall 1978, S. 20-37 . |
| Bunzl | Bunzl, John : Israel und die Palastinenser, Die Entwicklung eines Gegensatzes, Wien 1983 . |
| Cachia | Cachia, Pierre : Themes related to christianity and Judaism in moderm Egyptian Dram and Fiction, |

JAL 2, 1971, S. 178-194 .

Daemmrich — Daemmrich, Ingrid und Horst S. : Themen und Motive in der Literatur, Tubingen 1987 .

Dayan — Dayan, Yael : Mein Kriegstagesbuch, Frankfurt 1967 .

Domb — Domb, Risa : The Arab in Hebrew Prose 1911-1948, London 1982 .

Eisenstadt — Eisenstadt, S.N. : Die israelische Gesellschaft, Stuttgart 1973 .

Ende — Ende, Werner : The Palestine Conflict as Reflected in Contemporary Arabic Literature, in : The Contem Pora Middle Eastern Scene, hrsg . Von Gustav Stei U . Ud Steinbach, Opladen 1979, S. 154-167 .

Frenzel — Frenzel, Elisabeth : Stoffe der Weltliteratur, Stuttgart 1988 .

Abu Ghazaleh — Abu Ghazaleh, Adnan Mohammed : Arab Cultural Nationalism in Palestina during the British Mandat, Beirut 1973 .

Haddad — Haddad, M.Y.S. : Arab Perspektives of Judaism, a study of Image for Nation in the Writing of Muslim Arab Authors 1948-1978, Diss . Utricht Uni 1948 .

Haim — Haim, Sylvia : Arabic Antisemitic Literature, Jewish Social Studies, N.17, 1955, S. 307-312 .

Heller — Heller, Erdmute : Die arabische islamische Welt im Aufbruch, in : Das Zwanzigste Jahrhundert III Weltprobleme zwischen den Machtblocken, Fische Weltgeschichte, Frankfurt/Main 1987 .

| | |
|---|---|
| Kampmann | Kampmann, W. : Israel : Gesellschaft und Staat, Stuttgart 1973 . |
| Le Gassick | Le Gassick, T : The Image of the Jew in Post World War II Arabic Literature, aL-Arabiyya, II (1978) , S. 74-89 . |
| Lewis : Islam | Lewis, Bernard : Islam in History : Ideas and Events in the Middle East, London 1973 . |
| Lewis : Juden | Lewis, Bernard : Die Juden in der islamischen Welt, Munchen 1987 . |
| Lustick | Lustick, Ian : Arab in the Jewish State : Israels control of a National Minority, Diss . Austin 1980 . |
| Moreh : Studies | Moreh, Shmuel : Studies in Modern Arabec Prose and Poetry, Leiden 1988. |
| Moreh : Dmotu | Moreh, Shmuel : Dmotu sil hisraeli bisifirut ha arabit mi az kum hamadina, in : sihsuh arab-yesrael bi-ri i hasifirut ha arabit, Jerusalem 1975 . |
| Neuwirth | Neuwirth, Anglika : Kulturelle Sprachbarrieren zwischen Nachbarn, Orient 29 (1988), S. 440-466 . |
| | ترجم المقال الى العربية وسينشر في كراس خاص |
| Parfitt | Parffit, Tudor : The Jews in Palestine 1800-1882, Britain 1987 . |
| Peled | Peled, M : Annals of Doom : Palestinan Literature 1917-1948, Arabica 28/29, 1981-82, S. 143-183 . |
| Robins | Robins, E. : Pluralismus in Israel : Relations between Arabs and Jew, Diss . Tulane Univeristy 1972 . |
| Rowland | Rowland, Howard Douglas . The Arab Israel Conflict |

as Represented in Arabic Fictional Literature, Diss . Michigan 1971 .

Seekamp — Seekamp, Birgit : Die palastinensische Kurzprosa der Gegenwart . Eine kritische Bestandsaufnahme (Themen, Techniken, Tendenzen) , Frankfurt/M . 1988 .

Siddiq — Siddiq, Muhammad : Man is a Cause : Political Consiousness and the Fiction of Ghassan Kanafani, Washington 1984 .

Smooha — Smooha, Sammy : Arabs and Jews in Israel, Conflicting and Shared Attitudes in a Divided Society, Boulder 1989 .

Stehli — Stehli, Ulrike : Die Darstellung des Oktoberkriegs von 1973 in der syrischen Erzahlliteratur, Diss . Wiesbadin 1988 .

Straus — Straus, Walter : Judenbilder in der franzosischen Literatur, in : Juden und Judentum in der Literatur, hrsg . von Herbert A. Straus u. Christhard Hoffmann, Munchen 1985, S. 307-337 .

Wielandt — Wielandt, Rotraud : Das Bild der Europaer in der modernen arabischen Erzahl-und Theaterliteratur, Beirut 1980 .

Wild : Judentum — Wild, Stefan : Judentum, Christentum und Islam in der palastinensischen Poesie, WI 23/24 1984, S.259-297 .

ترجم المقال الى العربية وسينشر في الكاتب (آب / ايلول ١٩٩٢)

Wild Der Palastinenser — Wild, Stefan : Der Palastinenser im Literarischen Werk Ghassan Kanafanis, in : Akten des VII . Kogresses fur Arabistik und Islamwissenschaft, hrsg . von Albert Dietrich, Gottingen 1974, S. 395-400 .

ترجم المقال الى العربية وسينشر في الكاتب (تموز ١٩٩٢)

Wolffsohn **Wolffsohn, Michael : Israel : Politik . Gesllschaft . Wirtschaft . Opladen 1987 .**

# فهرس المحتويات


+ المقدمة ٠

**الجزء الأول :**

**١- صورة اليهود بين ١٩١٣-١٩٤٨** ١٤

١٠١ مدخل ٠ ١٤

٢٠١ اتجاهات رئيسة في تصوير اليهود ٠ ١٦

١٠٢٠١ الاتجاه الأول : اتجاه غير واضح ٠ ١٨

٢٠٢٠١ الاتجاه الثاني : اتجاه تعميمي سلبي ٠ ٢٠

١٠٢٠٢٠١ خليل بيدس : صورة اليهود التقليدية ٢١

٢٠٢٠٢٠١ ابراهيم طوقان : الأدب كرد فعل ٢٤

٣٠٢٠٢٠١ العبوشي : رؤية اسلامية عربية ريفية - كما يرى العبوشي ٢٧

٤٠٢٠٢٠١ محمد العدناني : اراء مسبقة يؤيدها الواقع أو يدحضها ٠ ٣٣

٣٠٢٠١ الاتجاه الثالث : التمييز بدل التعميم ٠ ٣٧

١٠٣٠٢٠١ اسحق الحسيني : نماذج ايجابية وأخرى سلبية في بيئة واحدة ٠ ٣٩

٢٠٣٠٢٠١ نجاتي صدقي : تصوير نماذج فردية ٠ ٤٣

**٢٠ صورة اليهود في الأدب بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ٠** ٥٥

١٠٢ مدخل ٠ ٥٥

٢٠٢ أدب المنفى ٠ ٥٩

١٠٢٠٢ اليهود من حيث هم أعداء فقط ٠ ٦٠

٢٠٢٠٢ اليهود ضحايا للصهيونية ٠ ٦٢

٣٠٢٠٢ التمييز بين اليهود العرب واليهود الأوروبيين والكتابة الموضوعية ٠ ٦٦

٢٠٢ صورة اليهود في أدب الداخل ٠ ٦٩
١٠٢٠٢ اليهودي الحاكم واليهودي المحكوم ٠ ٧٣
٢٠٢٠٢ اليهود الغربيون : الضحية الجلاّد ٠ ٧٨
٣٠٢٠٢ الاختلاف في بنية المجتمع بين العرب واليهود ٠ ٨١

**٣٠ صورة اليهود في الأدب الفلسطيني بين عام ١٩٦٧ - ١٩٨٧ ٠** ٩١
١٠٣ مدخل ٠ ٩١
٢٠٣ رفض تقسيم العالم الى يهود ولا يهود ٠ ٩٣
١٠٢٠٣ اليهود العرب ضحايا للصهيونية ٠ ٩٦
٢٠٢٠٣ اليهود الفلسطينيون ضحايا للصهيونية ٠ ٩٩
٣٠٢٠٣ الجندي الاسرائيلي ضحية للصهيونية ٠ ١٠١
٤٠٢٠٣ صورة الذات بناء على رفض تقسيم العالم الى يهود ولا يهود ٠ ١٠٤
٥٠٢٠٣ رفض تقسيم العالم الى يهود ولا يهود : نموذجان تفصيليان : ١٠٥
١٠٥٠٢٠٣ سميح القاسم ٠ ١٠٥
٢٠٥٠٢٠٣ أفنان القاسم ٠ ١٠٩
٣٠٣ العالم المنقسم الى يهود ولا يهود ٠ ١١٣
٤٠٣ تصور جديد : تفوق اليهود وميلهم الى العزلة ٠ ١١٤
١٠٤٠٣ الأسباب والمصادر التي تبين تفوق الهود وميلهم الى العزلة ٠ ١١٤
٢٠٤٠٣ معارضة أسطورة التفوق لدى كاتبين ١١٦
١٠٢٠٤٠٣ غسان كنفاني ٠ ١١٦
٢٠٢٠٤٠٣ معين بسيسو ٠ ١٢٠
٣٠٤٠٣ موقفان متضادان لمؤلفين حول السؤال فيما اذا كان اليهود
يميلون الى العزلة ٠ ١٢٥
١٠٣٠٤٠٣ عبد الله عيشان : نفي وجود ميل يهودي عام الى العزلة ٠ ١٢٥
٢٠٣٠٤٠٣ رشاد أبو شاور : الزعم بأنّ ميل اليهود الى العزلة يعود ا
اعتقادهم بالتفوق ٠ ١٢٧

٥٠٣ الفارق الثقافي والاجتماعي بين العرب واليهود : ١٣٠
١٠٥٠٣ خليل السواحري : رجولة وأنوثة : ١٣١
٢٠٥٠٣ توفيق فيّاض : الانحلال الاخلاقي ٠ ١٣٤
٣٠٥٠٣ عبد الله عيشان : عدم امكانية التعايش العربي اليهودي بسبب
الفارق الثقافي الاجتماعي ٠ ١٣٧

## الجزء الثاني

١- الثابت والمتغير في تصور الفلسطينيين لليهود ٠ ١٤٩
٢٠ صورة العرب لدى اليهود كما يتصورها العرب ٠ ١٥٦

خاتمة البحث ٠ ١٦١
المصادر والمراجع ١٦٦

# الكاتب في سطور

× عادل الأسطة.

× مواليد مخيم عسكر / نابلس ١٣ / ٦ / ١٩٥٤.

× بكالوريوس في اللغة العربية / من الجامعة الأردنية ١٩٧٦.

× مدرس في مدارس وكالة غوث اللاجئين ١٩٧٧-١٩٨٢.

× ماجستير في الأدب الفلسطيني من الجامعة الأردنية ٨٠/١٩٨٢.
"القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة بين ٦٧-١٩٨١"

× دكتوراه في الأدب الفلسطيني من جامعة بامبرغ في المانيا الغربية بين عامي ١٩٨٧ / ١٩٩١.

× محاضر في جامعة النجاح الوطنية.

× محرر ثقافي في جريدة الشعب.